
الطفل المفقود

روايات عالمية

الطفل المفقود

رواية بوليسية حافلة بالالغاز
بطلها البوليس السرى الصينى المحبوب
شارلى شــــان

بقلم الكاتب الانجليزى الكبير
ايرل دير بيجرز

الفصـــــل الاول

فوق الثلوج

ترك القطار مدينة (سكرمنتو) وابتدا يتسلق سفح الجبل متجها الى (تروكى) وهو يهشم قطع الجليد المتراكمة على القضبان فتتطاير على جانبيه متناثرة .

وكان الجو .. على الرغم من الجليد الذى يجعل من سفح الجبل صفحة ناصعة البياض .. جميلا معتدلا مما جعل المسافرين يفتحون نوافذ المركبات لأول مرة بعد مغادرتهم (سكرمنتو) .

ووقف رجل متوسط القامة .. عريض المنكبين فى سترة سوداء .. بجوار النافذة يتأمل فى اعجاب منظر الثلوج التى تكسب الطبيعة لونا من النقاء .! وكان يبدو هادئا متزنا قليل الاكتراث لشئون غيره من المسافرين .

ووقفت على بعد قليل منه سيدة صينية لا تتجاوز الخامسة والعشرين كانت تنظر اليه فى مزيج من الاعجاب والتقدير . وعلى شفتيها ظل ابتسامة تفصح عما تكنه لهذا الرجل فى قلبها من منزلة .

وذهب الرجل الى باب المركبة .. وكان هو الآخر صينيا .. يرى الناظر فى عينيه وميضا خاطفا من الذكاء .. وفى ابتسامته الفاترة نوعا غريبا من الحكمة والدهاء .

وتبعته بنظرها حتى ذهب الى الباب واستنشق الهواء فى نشوة وسرور ثم عاد أدراجه الى مقعده .

ولحسن حظ السيدة .. انه لمحها فى عودته .. فابتسم لها وأومأ برأسه فتقدمت منه مسرعة وقالت :

ـ كيف حالك ؟

ـ اننى احسن كثيرا !. وكيف حالك انت ؟

ـ شكرا لك ..

ـ لقد وصلت فى الفرصة المناسبة والوقت الذى كنت اتوق فيه الى أن أجد شخصا احقق معه تلك الرغبة الملحة التى تدفعنى الى الكلام !.

اننى لم احرك شفتى منذ بدء رحلتى .

وضحكت السيدة وقالت فى ارتباك :

ـ اننى سعيدة جدا

وكان جوابا غريبا !. ولـكن الرجل تلمس لها العذر لفـرط اضطرابها وقال :
ـ ان الطبيعة على جانب كبير من الجمال !
ـ حقا .. ولا سيما ..
ـ ولا سيما انني لم اعتـد رؤية هذا الثوب الأبيض الذى تتشح به فى هذا الفصل من الـسنة !.
ولم تقع عينى الا على النخيل واشجار جوز الهند الباسـقة .. ولم تلفح بشرتى سوى الرياح الاستوائية الحارة التى تبعث فى النفس التراخى والفتور !.
فقالت السيدة مبتسمة :
ـ فى هونولولو ؟! اليس كذلك ؟.
فنظر اليها مليا وقال :
ـ وربما كان ذلك فى بلد آخر ايضا ، الم تذهبى الى(هاواى؟) مثلا ؟. ان لها نفس هذه الخصائص .
ـ كلا .. انني ولدت فى (سان فرانسيسكو) ولكنى قرات كثيرا من مجلات الثقافة
اما ما دفعنى الى أن ارجح (هونولولو) فهو انك ..
فقاطعها الرجل قائلا :
ـ انك سيدة ذكيـــة !. حقا انى قضيت السواد الأعظم من أيامى فى (هونولولو) .. وذهبت الى كاليفورنيا وراقنى منظـر البرد الذى كان يتراكم فى الصباح فوق الأسطح وعلى حشـائش الحدائق .. ولكنى الآن فى بلاد الثلوج الحقيقية .
كم أنا مغتبط بهذه الرحلة !.
سأضع بعد حين قدمى لأول مرة على أرض تكسوها الثلوج !
ثم تنهد وقال :
ـ يا الهى !. ان الحياة جميلة حقا ..
فقالت السيدة :
ـ ان الكثيرين لا تروقهم الثلوج .. ويعدونها من (متعبات) الحياة ..
ـ كما ان الكثيرين يعتبرون النجوم فى الظلام اشياء لا قيمة لها ولا وزن !. ولكن مشاعرى ـ ومشاعرك على ما اظن ـ ليست مغمضة العينين عما فى الطبيعة من جمال .
وكلانا .. ذو عمل مرهق .. تصبو نفسه من بعـ[illegible] الى

حب التغيير والتبديل .. ولا يجلو مرآة خياله الا بهجة مناظر الطبيعة وبهاؤها .

فقالت السيدة مؤمنة على كلامه :

ـ تماما يا سيدى !. ان من ولدوا صما لا يصغون الى مايرتله النسيم من ساحر انغام الكون وما يردده من الاشادة بمفاتن الطبيعية لا ينقصهم الا فيلسوف مثلك يفتح آذانهم .. و .. اعينهم فتتضاعف سعادتهم فى الحياة .

وضحك الرجل وقال فى رقة :

ـ ان ما يحوطنى من جمال هذه الاصقاع لا يقوى على محو ما احتفظ به من ذكرى طيبة لبلادى .

لو قدر لك أن تزورى جزيرتنا . او الجزائر الصغيرة المتناثرة حولها والتى تصد عنها عواصف المحيط . وكانها حراس شفقة وعطف نصبها الله لهذا الفرض ، لغمرك شعور الاعجاب ، ووجدت نفسك مسوقة الى ان تغبطى اهلها على نعمتهم وتحررهم من تقاليد الدنيا وهم يسيرون فى مرح بين الغابات وكانهم قطع متحركة من الطبيعة الجميلة التى تكتنفهم ! .

فكرى فى زيارتنا فى يوم من الايام !. ان اسرتى باكملها تعيش هناك . ولى ابنة تقرب سنها من سنك ويسرها كثيرا ان تكون لك بمثابة القائد والمضيف ابان اقامتك بالجزيرة

ستريك هونولولو التى يقصد اليها الاغنياء من كافة انحاء العالم . ليتمتعوا باشجارها الباسقة المورقة ، وزهورها النادرة ونسائها اللواتى احتكرن أثمن شىء فى ارث حواء وهو السحر والجاذبية !.

وضحكت السيدة وقالت :

ـ وسترينى ايضا دار بوليس هونولولو الشهيرة .

وفوجىء الرجل وقال :

ـ انك تعرفيننى اذن !

ـ وكيف لا أعرفك يا سيدى !؟ وانت من سنوات خلت الدافع الوحيد الذى يحفزنى الى تصفح الجرائد كل يوم لتتبع اخبارك ومغامراتك التى تقرب من الخيال !

لا زلت اذكر اننى قرات وانا طفلة جريمة (فيليمور) . وكيف اعدت عقد اللؤلؤ الى اصحابه بعد أن فقد صفوة رجال البوليس فى العالم آخر أمل فى العثور عليه .

ومنذ ثلاثة اسابيع فقط عدت الى (سان فرانسيسكو) وفى

قبضة يدك القوية قاتل اثيم دوخ البوليس عدة سنوات ».
ـ ولكن كيف عرفتنى ؟.

ـ ان صورك تزخر بها الجرائد اليومية .. كما اننى رايتك شخصيا فى سان فرانسيسكو حينما عدت اخيرا واقيمت لك وليمة دعى اليها عدد كبير من المعجبين بك .
وكنت على قيد أقدام قليلة حينما دخلت المنزل مع احد أصدقائك .

ان امى تمت الى اسرتكم بصلة قرابة بعيدة ».
ـ ان هذا مما يزيدنى سرورا .
ومدت السيدة يدها وقالت وهى تصافحه :
ـ اننى (فيوليت لى) .. يا ..
ثم ترددت قليلا وقالت :
ـ هل هناك ما يحول دون ان اخاطبك باسمك الحقيقى ؟.

ـ كلا .. مطلقا ! وما دمت قد اكتشفت حقيقتى فانا اقدم نفسى اليك :
اننى (شارلى شان) مفتش بوليس هونولولو
فابتسمت السيدة وقالت :
ـ لى الشرف العظيم يا سيدى ! لقد عرفتك انا وزوجى بمجرد رؤيتك . انه (هنرى لى) .. وهو خادم عربة الأكل فى هذا القطار .

لقد نهانى زوجى عن التحدث اليك .. وقال لى : (ان المفتش شارلى شان لابد أن يكون الآن فى اثر مجرم خطير .. فلا تحاولى أن تحدثيه حتى لا تحسرى القناع عن شخصيته) ».
وابتسمت فيوليت وقالت فى زهو :
ـ ان زوجى لا يخطىء ابدا .
فقال (شان) :
ـ كما يجب ان يكون الأزواج !. ولكنه للاسف الشديد اخطأ هذه المرة ..
وسألته الفتاة وقد شعرت بشىء من خيبة الآمل
ـ الست الآن فى أثر احد المجرمين يا سيدى المفتش ؟
ـ كلا !. اننى اسافر لمجرد النزهة والرياضة . ولست فى أثر انسان الا (نفسى) ؟.
ـ لقد حسبت أن جريمة جديدة وقعت ».

فضحك (شان) وقال :

ـ انها ارض الجرائم ولا شك !. ولحسن حظى لا توجد بينها جريمة لها علاقة بى .

ـ هل لى اذن ان انبىء زوجى بذلك ؟. حتى لا يجد فى التحدث اليك غضاضة او حرجا .. سيفيض قلبه بالسرور بغير شك ؟.

وربت (شان) على كتفها فى رفق وقال :

ـ سأحدثه بنفسى .. واتمنى ان تتاح لى الفرصة لرؤيتك مرة اخرى ! وسوف لا انسى كلماتك الرقيقة التى تركت فى نفسى اطيب الاثر .

ثم غادرها وهى تكاد تطير من فرط السرور واتجه صوب عربة الأكل (البولمان) . فوجد الخادم فى سترته البيضاء الانيقة ينتقل من مائدة الى مائدة فى خفة ورشاقة الفراشة .

ولمح الخادم المفتش . فرمقه بنظرة اعجاب من عينيه اللتين يظللهما حاجبان كثيفان .

وجلس شان فى احد المقاعد . ولم يجد ـ كعادته ـ تسلية لقطع الوقت سوى ان يتفحص المسافر الذى يجلس على المقعد المقابل له .

كان رجلا اجنبيا . يبدو عليه انه من اصل لاتينى كما استنتج (شان) .. له شعر أسود فاحم تتخلل فوديه شعيرات بيضاء .

وكان المدقق فى وجهه .. وحركاته يلاحظ ما يعانيه من اضطراب مكبوت . فقد راح يدق بيده النحيلة دقات متتابعة فى عصبية ظاهرة .

واقبل الخادم على المسافر وهو ينحنى أمامه بصحفة من الفضة عليها قدح من القهوة . ما كاد يقدمه حتى انسحب .

واستوقفه (شارلى شان) قائلا :

ـ هل لك أن تحضر لى كأسا من عصير البرتقال ؟

فقال الخادم فى سرور شديد :

ـ لى عظيم الشرف يا سيدى

وانطلق مسرعا ثم عاد بعد بضع لحظات بعصير البرتقال . وقدمه الى شان وهو يقول فى ادب جم :

ـ يسرنى كثيرا ان احظى بخدمة سيدى المفتش شارلى شان فشكره شان بايماءة من رأسه . وحانت منه نظرة الى شاب

على مقربة منه كان على وشك اشعال سيجارة .. فما كاد يسمع الخادم ينطق باسم (شارلى شان) حتى حملق اليه وترك عود الثقاب يشتعل حتى مست النار اصبعيه فرماه واوقد غيره فى حركة آلية ولازالت عيناه مستقرتين على المفتش الصينى !.

واقترب الشاب من شان . وجلس على مقعد يجاوره وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى لتطفلى . ولكنى سمعت انك انت كذلك مسافر الى تروكى .. وهى نفس البلدة التى اقصد اليها .

فقال شان فى هدوء :

ـ نعم ..

ـ لقد انبأونى ان المكان مقبض ولا سيما فى هذا الفصل من السنة .

ـ اننى اخالفك فى هذا الرأى لأن الجليد يكسبه روعة قلما تجدها فى أى مكان آخر .

فقال صاحبه فى تعجب :

ـ الجليد !؟ يا الهى !. لقد ملته عيناى بعد ان قضيت عامين متتالين وأنا أحارب فى صفوف الجيش الايطالى فى الشمال ..

فقال شارلى مبتسما :

ـ لقد كنت روح الجيش وسبب تقدمه

وعجب الرجل وقال :

ـ ما الذى تقصده يا سيدى بهذا القول ؟

ـ الم تكن فى الفرقة الموسيقية التى تبعث الأنغام الحماسية وتلهب الحمية فى قلوب الجنود ؟.

وفغر الشاب فاه من فرط الدهشة وصاح :

ـ حقا .. لقد كنت فى الفرقة الموسيقية !. ولكن خبرنى كيف عرفت ذلك ؟.

هل رأيتنى قبل الآن ؟.

ـ كلا !.

ـ ومن أدراك اننى موسيقى ؟.

ـ انه أمر على غاية من السهولة .. كما انك تعزف على احدى آلات النفخ ! أليس كذلك ؟

ـ تماما يا سيدى !. انك تكاد تفقدنى صوابى

ـ ان الامر لا يحتاج الى هذه التضحية !. الواقع انك انت الذى انبأتنى بذلك ؟

ـ انا !؟ ولكننى لم اتكلم قط عن الموسيقى يا سيدى
ـ لقد حدثتنى به اصابعك الطويلة المفرطحة واوداج عنقك المنتفخة نوعا ما !.

وسكت الشاب قليلا ماخوذا من براعة استنتاج شارلى شان .. ثم قال :
ـ انك رائع حقا ياسيدى ..

وتلقى شان هذا الاطراء فى هدوئه المعروف عنه .
واستطرد الشاب :
ـ اننى (لويس رومانو) مدير الاوبرا .. وقد لا يعنيك هذا اللقب او لا تقيم له وزنا .. ولكن فى مدينتى (لاسكالا) وفى ميلان .. وحتى فى لندن وباريس ونيويورك كان اسمى فى يوم من الأيام على لسان كل رجل وامراة .
ثم اضاف فى حزن :
ـ بيد ان كل هذا قد انتهى الآن ..
ـ انه امر يؤسف له !.. اهجرت الموسيقى ؟
ـ كلا !. ولكنها هى التى هجرتنى .. او بالاحرى هجرتنى وحيها .. فانت لا تجهل يا سيدى ان لكل فنان قبسا من النور يهتدى به .. و ..
وقاطعه (شان) قائلا :
ـ وهذا القبس هو .. الحب ..
ـ او المراة اذا اردت على وجه التدقيق ..
ثم قال فى صوت حالم :
ـ لقد خلقتنى امراة ! .. وقفز بى حبها من موسيقى مقبور الى فنان يشار اليه بالبنان
ثم اضاف فى لهجة لا تخلو من الحدة :

ـ وهى ايضا التى هبطت بى الى اسوأ من الدرك الذى كنت فيه !..
واحترم (شان) شعوره وما يعانيه من آلام .. وظل صامتا .. غير ان الشاب هز كتفيه فى يأس وعدم مبالاة وقال :
ـ دعنا من هذا الآن !.. لقد سررت أيما سرور حينما عرفت انك معى فى نفس القطار .. وربما لا تصدقنى اذا اخبرتك اننى كنت ابحث عنك منذ مغادرتى سكرمنتو ..
فقال (شان) متعجبا :
ـ وهل كنت تتوقع سفرى فى هذا القطار ؟..

ومد يده بورقة مطوية وهو يقول :
ـ اقرا هذه البرقية ..
كانت البرقية معنونة باسم مستر (لويس رومانو) .. نقرا فيها :
« يسرني كثيرا ان اتشرف بزيارتك لى فى تاهو .. وستكون فى انتظارك عند المحطة سيارة تقلك الى البحيرة .. ومنها تستقل الزورق الى (بنيفيو)
« هذا وربما يرافقك فى السيارة بعض الضيوف .. وسيكون مستر شارلى شان من هونولولو .. واحدا منهم ..
« لا تتأخر .. فحضورك لأمر هام وسوف يعودعليك بفائدة مادية كبيرة وسيكون السفر على نفقتى الخاصة
ديدلى وارد .»
ولما انتهى شان من قراءة البرقية اعادها الى الشاب وقال له مبتسما :
ـ لقد فهمت ..
ـ انى أحسدك على هذا الفهم !. فانا لا اعرف شيئا سوى انتى ذاهب الى (بنيفيو) ولا شك انك تعرف سر هذه الدعوة لانك من اصدقاء مستر (ديدلى وارد) !.
فقال شارلى فى تعجب :
ـ هل تقصد أنك لا تعرف السبب الذى من اجله ارسل اليك مستر وارد هذه البرقية ؟.
ـ بلى
ـ ألست انت الآخر من اصدقائه !.
ـ كلا !. انني لم اره قط فى حياتى .. وكل ما فى الامر انتى اعرف انه من اسرة ثرية فى سان فرنسيسكو . وهو يقضى الصيف فى (تاهو) .
لقد وصلنى منذ ايام خطاب منه .. فى غاية الغرابة ، يدعونى فيه لزيارته فى قصره .. ونوه عن نفس الامر الهام الذى يعود على بفائدة مادية .
ولما كنت فى ضائقة مالية شديدة .. فانى رحبت بهذا الخطاب ولم امانع فى تلبية دعوته .
ـ الا تعرف شيئا عن الموضوع الذى استدعاك من أجله .. وطلب منك الحضور الى تاهو ..
ـ ربما اعرفه الى حد ما !

ثم اضاف وهو يهز راسه :
ـ نعم .. فمستر (وارد) كان فيما مضى زوجا لزوجتى !.. فظلت العلاقات بينى وبينه فاترة .
ثم ضحك فى سخرية وقال :
ـ ولو ان هناك رجلين آخرين فى نفس مركزه .
ـ ماذا تعنى !
ـ ما انا الا الزوج الرابع لهذه المراة يا سيدى !.
وتصنع شان صيحة الدهش . واسترسل الايطالى قائلا :
ـ بما هان عليك الأمر اذا عرفت من هى هذه الزوجة ذات الازواج الاربعة !. فاسمها معروف لكل انسان !. وانى التمس منك المعذرة اذا قلت لك انك ـ حتى انت ـ ربما تعرفها ..
ـ من هى ؟
ـ لادونا !. ايلين لادونا .. مطربة الاوبرا الذائعة الصيت يا سيدى !.
ثم جلس على حافة مقعده وقال :
ـ انها نابغة يا سيدى ، رائعة حقا .. ولكنها تحمل قلبا ابرد من الجليد الذى يغطى هذه الصخور .
ـ يؤسفنى ان اراك غير سعيد فى زواجك .
ونهض رومانو على قدميه .. وضحك فى عصبية زائدة وقال :
ـ ماذا تقول ؟. اكون سعيدا معها !. مع لادونا يا الهى
ثم اضاف فى غضب :
ـ اتنتظر لى السعادة مع امراة تبذل الآن كل ما فى وسعها للطلاق !
فهتف شان :
ـ للطلاق !؟ ولم ؟.
ـ لتتزوج من شخص .. او بالاحرى من شبه انسان!حبته! ولو قدر لك ان تراه ما ترددت لحظة واحدة فى ان تتحفه بصفة (موصى عليها) فله وجه لم يخلقه الله الا ليكون انموذجا للدمامة .. ان كان للدمامة انموذج
وصر باسنانه وقال :
ـ نعم !. لقد نسيتنى بعد ان كنت السبب الاول فى خلق مجدها الفنى !
وكانت اشبه بالثمرة التى تمتص رحيق الغصن . وتسائل

بعصارته حتى اذا ما نضجت . غادرته !. غادرته ان آ. للارض السوداء المتربة القذرة !

وغاص فى مقعده ثانية وقال فى باس :

ـ ماذا تنتظر من امراة مثلها .. او من اى امراة اخرى عرفت معنى تعدد الازواج !. انني انا الذى استحق ذلك .. فقد غاب عنى ان المراة اذا باعت قلبها مرتين .. هان عليها ان تبيعه بعد ذلك مرارا ! ولا يتزوج من امراة مطلقة الا كل أبله لا يملك ذرة واحدة من الكرامة وعزة النفس .

كنت اتخيلها كثيرا مع ازواجها السابقين وهى فى منزل الزوجية تضحك وتتمايل !. نعم ! كم تخيلتها وهى تهب جسمها لكل منهم يتمتع به الى اقصى حدود المتعة فكان هذا الخيال يحطم اعصابى ويشقى روحى !

ولكنى ضربت بكل ذلك عرض الحائط وما لبث تيار حبها ان جرف من مخيلتى كل شائبة من هذه الخواطر الاثيمة !.

والآن .. وقد فتر هذا الحب .. بهرت عينى الحقيقة المرة التى كنت اتردى فيها ! وهى اننى ما ارتديت الا ثوبا مهلهلا طرحه عنه الغير ! وما غذيت روحى .. واطعمت قلبى الا بفتات حقير تبقى من حب سالف اكل منه الغير حتى شبع !. بل ولم اثمل الا بثمالة كأس منبوذة عفت عنها نفوس اكثر منى عزة وكبرياء .

ثم ضغط على شفته السفلى باسنانه من فرط الغيظ واستطرد

ـ لقد ابتدات بدبدلى وارد !. طمعا فى ماله .. ثم تزوجت جون رايدر وكان الثالث هو .. هو ..!

اواه ! . لقد نسيت اسمه .. ثم تزوجتنى اخيرا . وانا الذى علمتها طريقة التنفس الايطالية القديمة التى لولاها لما تقدمت قيد انملة فى مرحلتها الفنية .

ودفن راسه بين يديه .. ثم قال :

ـ وهى الآن .. تحوم حول هذا المغنى القبيح المنظر !

واقبل الخادم فى هذه اللحظة وقال :

ـ تروكى على بعد ثلاث دقائق ..

فقال شان :

ـ انه وقت كاف لاعداد حقائبنا ..

***

وقف القطار اخيرا فى (تروكى) .. وحمل شان حقيبته بيده ووضع على كتفه معطفه الثقيل الذى اشتراه خصيصا لهذه الرحلة ..

وما كاد شارلى يهبط درجات القطار .. ويطا ارض المحطة بقدميه حتى شعربصدمة قويه فى ظهره .

والتمت شان خلفه .. فشاهد رجلا طويل القامة . ذا لحية شقراء حاملا حقيبته التى صدمت شان !. وانتظر منه ان يعتذر له كالعادة فى مثل هذه الظروف .. ولكن الرجل حدجه بنظرة غريبة .. ودفعه من طريقه فى جفاء .. وغاب بين الزحام !

وتجاوز شان بما هو معروف عنه من برود وثبات عن ذى اللحية الشقراء ثم سار على افريز المحطة وشعر بفرح كفرح الاطفال حينما سمع الجليد وهو يتهشم لاول مرة تحت قدميه !

وخرج من المحطة .. ووقف برهة يتلفت يمنة ويسرة . فراى رومانو مقبلا عليه وهو يقول :

ـ لقد وجدت المركبة يا سيدى ...

وذهب الاثنان الى المركبة التى كانت تنتظر على مقربة من المحطة ؛ ولشد ما كانت دهشة شان حينما راى بجانبها رجلا طويل القامة لم يكن الا صاحب اللحية الشقراء ..

ولما رآهما هذا الاخير قال لهما فى خشونة :

ـ هل انتما الآخران ضيفا ديدلى وارد ؟.. ان اسمى جون رايدر ..!

ودون ان ينتظر منهما جوابا .. دلف بجوار السائق .. وصعد شان الى المركبة .. ولاحت منه نظرة الى (رومانو) .. فوجده لا يزال واقفا فى مكانه .. وقد فغر فاه دهشة ونسى المركبة .. بل نسى نفسه ايضا .. فجذبه فى لطف .. وادخله السيارة التى ما لبثت ان انطلقت بهم فى الطريق ..

وجلس الرجل ذو اللحية الشقراء كالصنم .. فلم يحول راسه يمنة او يسرة طوال الوقت ..

وبعد مسير ساعة .. مرت المركبة فى طريق قد تناثرت على جانبيه بعض المنازل المتفرقة المتباعدة .



وقفت السيارة بعد قليل عند بحيرة صغيرة .. وكان فى انتظار الضيوف احد الخدم الذى اسرع بانزال الحقائب بعد ان حيا القادمين فى ادب ورقة ..

ثم سار امامهم الى حافة البحيرة حيث ربط قارب للذهاب بهم الى القصر ..

ووقف شان برهة يتامل سطح البحيرة الهادىء المنبسط ..

والجبال الشاهقة التى تطوقها وقد عقد على قممها تيجان هائلة من الثلوج الناصعة البياض ..

وقال رومانو متعجبا :

ـ ان البحيرة لم تتجمد بعد !.

فقال الخادم : ان تاهو لا تتجمد ابدا .. فهى عميقةالغور.

واستقل الجميع القارب .. وما تناول الخادم المجدافين حتى سمعوا صوتا يصيح : معذرة يا سادتى اناجبرتكم على انتظارى .

وقفز الى القارب رجل يلهث من التعب ويقول فى صوت متقطع :

ـ آسف لتعطيلكم .. اننى الدكتور فردريك سوان ..

وتصافح الجميع ..

وهمس رومانو فى اذن شان : لقد تذكرته الآن .. نعم .. أنه الزوج الثالث الذى نسيت اسمه يا سيدى ..

انه اجتماع غريب حقا ..! ذلك الذى يجمع بين قلوب وطئتها قدم واحدة .. واشخاص نبذتهم امراة نبذ النواة ..

وانطلق القارب فى الظلام يحمل تلك المجموعة العجيبة من الازواج ، وهو يشق ماء البحيرة كالسهم المارق !.

الفصل الثانى

الأزواج الأربعة

ولفح الجو القارص وجه (شان) فارتدى معطفه الثقيل ، وهو سعيد بهذه الرحلة التى تتفق وما جبل عليه من حب المغامرة والنزعة الى التغيير والتبديل ..

وكان القمر فى ذلك الوقت لم يكتمل بعد .. فظهرت المنازل على شاطىء البحيرة القريب كأنها أشباح تتطلع الى الماء .. وبعد قليل أمكن لركاب الزورق أن يتبينوا ضوءا خافتا يتذبذب على الشاطىء من نافذة أحد المنازل .. ثم دخل الزورق الى خليج صغير .. وما لبث أن استقر على مقربة من رصيف ممهد .. وهبط منه ركابه ..

ورأى (شان) رجلا مقبلا عليهم .. عارى الرأس لا يرتدى معطفا او دثارا يدفع عنه غائلة البرد ..

وصافحهم الرجل واحدا واحدا وهو يقول :

ـ هالو جون .. كيف حالك يا عزيزى .. انه جميل منك أن تحضر ..

وانت يا دكتور سوان .. انى ارى بريق النبل وطيبة القلب يشع من عينيك ..
وانت ـ اغلب ظنى ـ مستر رومانو .. لى الشرف العظيم بقبولك دعوتى ..
ولما وقع نظره على المفتش صاح مهللا :
ـ وانت أيضا يا عزيزى شان .. لقد مضت علينا سنوات طويلة دون ان نتقابل .. اليس كذلك ؟..

فابتسم شان وقال فى هدوء :
ـ شكرا لك .. ها نحن اولاء قد تقابلنا ..
وتصافح الاثنان فى حرارة.. والتفت وارد الى ضيوفه وقال فى رقة :
ـ هل لكم ان تتبعونى ؟..
وسار الجميع الى قصر كبير قائم بين اشجار السرو والصنوبر الشامخة بقممها الى السماء !..
وما وطئت أقدامهم الشرفة الكبيرة حتى برز خادم صينى.. انحنى امامهم فى احترام كبير .. وامره (وارد) قائلا :

ـ سنج .. خذ من السادة معاطفهم ..
وانتهز (شارلى) هذه الفرصة .. فنظر الى (وارد) نظرة فاحصة خفية ..
لقد كان رجلا يتراوح عمره بين الأربعين والخمسين ، ذا وجه احمر ، وجبهة عريضة ، انيقا فى مبلسه ، بادى الهمة والنشاط..
وقال (وارد) متلطفا :
ـ الليلة باردة على ما اظن ..
فقال شارلى : لمن كان على قدر احتمالى على الاقل ..
فربت وارد على كتفه وقال : هيا بنا اذن الى المدفأة ، فالنار لدينا كافية والحمد لله .. وشراب الكوكتيل متوافر ومن طبيعته أن يبعث الدفء والانتعاش الى النفوس ..

ونهض الجميع فى أثره ..
واشار وارد الى مائدة معدنية أنيقة صفت عليها كؤوس الكوكتيل وقال : سيكون لى عظيم السرور ان اقدمه لكم بنفسى ..
وناول كل واحد منهم كاسا ، فامتنع شارلى وهو يقول معتذرا :
ـ انسيت ان خمرتى المفضلة هى عصير البرتقال ؟..
ـ حقا .. انك لا تشرب الخمر ..

ورفع رومانو راسه وقال : لنشرب نخبا لا اظن ان هناك نخبا آخر يحل محله او يقوم مقامه ..

ونظر الجميع اليه نظرة استفسار : الا (شان) الذى ابتسم فى هدوء غريب ..

واستمر (رومانو) يقول : نعم .. لنشرب « نخبها » ولو ان أحدا منا لا يحمل فى قلبه شعورا طيبا نحوها ..

وصاح (رايدر) فى خشونة : انى اقترح ان «تسحب» هذا النخب .. والا امتنعت عن مشاركتكم فيه .. وكان ذلك فالا سيئا لمقابلتنا ..

وقال رومانو : اننى .. اننى آسف يا سيدى ..

وهز الدكتور (سوان) راسه وقال ضاحكا :

— يجب أن نتسامح يا رفاقى .. وينسى كل منا ما مضى .. ولنأخذ عن (لادونا) هذا الخلق الجميل .. وهو اهتمامها بلذتها وهنائها ونسيان ما عدا ذلك من الأمور !..

ثم سكت قليلا واردف : ولكنى التمس لكم الاعذار ..! فقد حسبت أنا نفسى اننى سانسى (لادونا) الى الأبد واجر على اسمها أذيال النسيان ، غير اننى بمجرد ان وقع بصرى عليها منذ سويعات قليلة .. جرفت قلبى موجة قوية من الحنين اليها حتى كدت ..

فقاطعه (ديدلى وارد) دهشا : ماذا تقول يا سيدى ؟.. ارايت (لادونا) اليوم ؟..

— نعم .. فقد تركت القطار فى محطة (رينو) لزيارة صديق لى يدعى جيم .. يقيم فى فندق قريب من المحطة منتهزا فرصة انتظار القطار بها نصف ساعة كالعادة ..

ولما تركت صديقى .. رايت فى بهو الفندق على مقعد قريب من المدفاة وشاحا اخضر اللون يبدو عليه انه لاحدى سيدات الطبقة الراقية .. واقبلت سيدة ولشد ما كانت دهشتى حينما تبينت فيها (لادونا) ..

وهنا اقترب منه رومانو فى اضطراب وقال :

— وكيف كانت يا سيدى ؟ هل ساءت صحتها عن ذى قبل ؟ وصوتها يا دكتور ؟ الا زالت به تلك الرنة الساحرة الشجية ؟!.. اغلب ظنى انها فقدت كل شىء..

فضحك (سوان) وقال : لقد بدت فى عينى اجمل من اى مرة رايتها.. فانستنى فتنتها شقاء الماضى .. وتمثلتها امامى ملاكا طاهر الذيل نقى السريرة ..

وتنهد ثم قال : وقد عرفتني ..
فصاح الأزواج الثلاثة الآخرون : و .. وقد عرفتك !
ولم يكتم (شان) ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتيه ..
وقال سوان :
ـ نعم عرفتني .. وكم كانت جميلة ساحرة ولهب المدفأة الاحمر ينعكس على شعرها فيظهركأنه جدائل من الذهب الخالص ومدت يديها الى .. وظلت كذلك برهة حتى حسبتها تمثالا من النور هبط من السماء ..
وصافحتها.. ولكنى لم انعم بها طويلا.. فقد لحقنى صديقى جيم ومعه شاب اسمه (بيتون) ..
وصرخ رومانو قائلا : من هو هذا الشاب ؟..
ـ اننى لا اعرفه.. وكل ما أعلمه عنه ان اسمه (بيتون) وقد قدمه الى جيم على أنه من المشتغلين بالغناء ..
فقال رومانو وهو يصر بأسنانه :
ـ يا الهى .. بيتون .. بيتون ..؟
والتفت الى شارلى وقال : هذا هو المخلوق العجيب الذى حدثتك عنه يا سيدى .. وهو الذى اغرمت به زوجتى وراحت تسعى للطلاق منى لتتزوج به !..
ثم قال لسوان : هل رايت (هيوزبيتون) فى نفس الفندق الذى تقيم فيه زوجتى فى مدينة (رينو) ؟! ..
فأوما الآخر برأسه ولم يجب ..
وقال رومانو فى غيظ : الى بكأس اخرى من الكوكتيل ..
وقال سوان : وأنا ايضا ..
ليتنى ما احترمت هذا المخلوق .. ولا صافحته .. لقد قدمت لى لادونا بعد برهة فتاة فى شرخ شبابها .. وافرة الجمال على انها شقيقته ..
فهتف رومانو : شقيقة بيتون ..
ـ نعم ..
ـ وهل تقول انها جميلة ؟..
ـ انها جميلة بغير شك ..
ـ هذا اغرب ما سمعت فى حياتى ..
ثم اضاف فى غضب وكأنه يريد ان يمسك بتلابيب سوان :
ـ من المستحيل ان يكون (لهيوز بيتون) شقيقة جميلة ..
وقال (وارد) فى برود : وماذا كانت لادونا تفعل هناك ..
فقال سوان : لا اعلم بالضبط .. واذكر انها اخبرتنى بانها

حضرت لزيارة صديقها (دانسلى) وعلى اى الحالات لن تمكث هناك مدة طويلة لانى تركتها وهى تعد حقائبها تاهبا للسفر ..

وآثر (وارد) ان ينهى الكلام فى هذا الموضوع .. فنادى سنج وقال لضيوفه :

ـ سيقودكم (سنج ، الى غرفاتكم .. ولا تنسوا يا سادتى ان العشاء فى السابعة والنصف ..

وهمس فى اذن (شان ، قائلا :

ـ اريد أن اراك يا عزيزى فى السابعة والربع فى غرفة مكتبى اى قبل العشاء بربع ساعة لو سمحت ..

وابتسم شان موافقا :

وانصرف الضيوف فى اثر الخادم .. ووقف (وارد ، يرمقهم بنظرة غامضة ساخرة ..!

***

ولما ذهب (سنج) مع (شان) الى الغرفة المعدة لضيافة هذا الأخير .. قال شان للخادم :

ـ لقد احسنتم اختيار هذه الغرفة الدافئة لى ..

ـ ان سيدى بعيد النظر ..

وكان (سنج ، رجلا مسنا ولكنه عظيم النشاط سريع الحركة تنطق عيناه الضيقتان بالمكر والدهاء ..

ونظر الخادم الى شان وقال له فى اقتضاب :

ـ بوليس سرى .. اليس كذلك ؟..

ولم يجب شان .. وانصرف الرجل مسرعا ..

وذهب شان الى النافذة وظل يتأمل على ضوء القمر الباهت اشجار الصنوبر التى تحيط بالقصر وقد ناءت غصونها تحت عبء ما تحمله من الثلوج المتجمدة ..

وأخذ هذا المنظر بمجامع قلبه .. حتى كاد ينسيه موعده مع صاحب الدار ..

واخيرا ذهب شان الى حجرة مكتب (وارد) .. فوجده ينتظره هناك وبادره هذا الاخير قائلا :

ـ لقد جئت فى موعدك يا سيدى .. ولكنى لن استطيع ان اعالج الموضوع بحذافيره فى هذا الوقت اليسير .. وسنكمله على المائدة ، وكل ما فى الامر اننى انتهز هذه الفرصة لاكرر لك شكرى لتلبيتك دعوتى ..

ثم قال فى استعطاف : وارجو ان تتمكن من مساعدتى ..

ـ سابذل كل ما فى وسعى يا سيدى ..
ـ حسنا .. اننى ما دعوتك الا لأبين لك السبب الذى من اجله دعوت هؤلاء الاغبياء الثلاثة .. ومعذرة لما فى قولى هذا من غبن لذكائك ..
لقد لاقيت الأمرين فى جمعهم .. ولكنى نجحت اخيرا .. فقد كان (رومانو) فى ضائقة مالية ، وكان (سوان) فى ظروف تجعله لا يرفض طلبى .
اما (رايدر) فهو صديق طفولتى .. وعلى الرغم من انه كان الزوج الثالث لـ (لادونا) .. فلم يؤثر ذلك على ما بيننا من صداقة باى حال من الأحوال ..
ـ هذا بديع حقا ..
ـ سأطرح على كل منهم بضعة اسئلة .. ولا ادرى ماذا تكون اجوبتهم .. ولكنى سأعتمد على ذكائك وقوة فراستك فى تبين وجه الكاذب .. وفضح ختله وطرق تغريره ..
وابتسم المفتش (شان) فى تواضع وقال :
ـ اخشى ان تكون مبالغا فى تقديرى يا سيدى .. فما انا الا ..
فقاطعه وارد قائلا : كلا . كلا . فمقدرتك تترفع عن كل مبالغة يا عزيزى .. وثقتى فى ذكائك لا حد لها ..
ثم قال وهو ينهض عن مقعده : هيا بنا اليهم الآن ..
وتناول سيجارة واوقدها .. فلاحظ (شان) ان يده ترتجف ارتجافا ظاهرا .. وأن جبينه قد نضح بالعرق رغم برودة الجو ..
ولكنه ماكاد يذهب الى البهو ويستقبل ضيوفه حتى استعاد رباطة جأشه ودعاهم الى غرفة المائدة .. فساروا فى اثره فى ممر ضيق طويل يؤدى اليها ..
وكان كل شيء فى الغرفة ينطق بثراء آل (وارد) ، ولم يتمالك المدعوون انفسهم من النظر الى محتويات القاعة فى اعجاب كبير .
اما (شان) .. فانه تنهد فى صمت حينما تذكر اطفاله الأحد عشر الذين يكتظون فى منزل متواضع فى هونولولو ..
ومر العشاء فى هدوء على غير ما كان ينتظر (شان) .. فلم يجرؤ (وارد) او احد ضيوفه على فتح باب الحديث ..
وبعد أن قدم (سنج) القهوة قال وارد :
ـ والآن يا سادتى .. لاشك انكم تتساءلون عن السر فى هذه

الدعوة ؟ .. وعن سبب وجود مستر شارلى شان مفتش بوليس هونولولو معنا ؟..

لقد ترددت كثيرا فى مفاتحتكم فى هـذا الموضوع وما ترددى الا لخطورة الامر واهميته ..!

ثم رفع قدح القهوة الى شفتيه وقال :

ـ ولابدا ـ كمقدمة للموضوع ـ بسرد قصـة حيـاتى التى اندمج بها حبى لـ (لادونا) .. فلما مات الحب « ماتت » هذه الحياة .. وان بقيت انا هيكلا لا حس فيه ولا وجدان ..

لقد تزوجت (ايلين لادونا) منذ عشرين عاما فى سان فرنسيسكو وكانت وقتئذ لم تتجاوز بعد الثمانية عشر ربيعا ..

كانت فتاة كاملة الأنوثة تجمع بين جمال الصوت والفتنـة والاغـراء ..

ثم اشاح بيده وقال :

ـ غير ان هذه الامور لاتهمنا الآن .. يكفى أن اقول لـكم انى تزوجتها فى حفل صغير .. ورحلنا الى باريس لتمضية شـهر العسـل هناك ..

وطال بنا المقام فى فرنسـا .. فلبثنا فى باريس سنة باكملها.. كانت اسعد فترة مرت على فى حياتى ..

وابدت لادونا رغبتها فى زيادة معلوماتها فى فن الغناء ، فرحبت بهذه الرغبة ولم أمانع فى ان تتلقى دروسا على يد أكبر مدرس فى أوربا .. وانا اجهل أن ذلك سيكون سبب شقائى وتحطيم ماكنت اعلقه من امل انشاء اسرة تكون هى ربتها .. وانجـاب اطفـال يعيشون تحت ظل حبنا المتبادل ..

واصبح املها الوحيد ان تكون مطربة محترفة .. ولـما كنت قد رايت بنفسى فى احدى المرات زوج احدى مطربات الأوبرا يحمل كلب زوجته الصغير على صدره .. وينتظر وراء الكواليس الفرصة الملائمة لرؤيتها .. فاننى رفضت ذلك لأن مثـل هـذه الحياة لا تتفق ومشاربى ..

ربما كنت مخطئا فى رفضى وقتئذ .. ولكنه امر كان مقـدرا علينا .. او بالاحرى على .. اذ انها بعـد هذا الرفض ابتدات تنغص حياتى فلمـا ضقت بها ذرعا صحبتها معى الى سـان فرنسيسكو ظنا منى أن ابتعادها عن جو باريس ينزع من مخيلتها بذور تلك الامنية فى أن تصبح مطربة عالمية ..

وبعد ذلك .. لم اذق للسعادة طعما ..

ثم سكت قليلا واردف : معذرة يا سادتى ان اكرهتكم على سماع قصتى .. ولكننى فى الواقع اسعى الى شىء اهم من هذا .

وبالاختصار .. صحبتها معى الى تاهو .. وفى احدى الليالى ـ فى نفس هذه الغرفة التى نجلس فيها الآن ـ نشب بيننا سوء تفاهم مستحكم فتركت المنزل ..

ثم قال فى صوت اقرب الى البكاء : وبعد ذلك لم ارها ابدا .

وعلمت برغبتها فى الطلاق .. فعارضت بادىء الأمر .. ولكنها ذهبت الى احدى ولايات أمريكا وادعت أمام المحكمة اننى هجرتها منذ عام .. فحكمت لها بالطلاق ..

ولبثت على حبى لها ـ أو بالأحرى على حبى للفتاة التى خيل الى انى تزوجتها ـ ولكنى اعتبرت نفسى اننى فقدتها الى الأبد . فسويت حسابى مع الأقدار .. ورضيت بنصيبى فى هذه الدنيا ثم اعتبرت موضوعها منتهيا ..

والتفت الى الطبيب وقال له :

ـ دكتور سوان .. الا تشرب قليلا من الخمر ؟. تجرع ما فى كاسى وسر عن نفسك ..

ثم قال لضيوفه : أما ما دعوتكم من أجله .. فهو امر خطير لم احط به علما الا بعد ان هجرتنى بعشرة أيام ..

لقد أخبرنى احدهم أن (ايلين لادونا) تركت منزلى وبين برديها سر خطير ..

فقال رومانو : اى سر تعنى ؟..

ـ لقد سمعت من مصدر جدير بالثقة انها وضعت طفلا فى أحد مستشفيات نيويورك ..

فصاح الجميع : طفل !! ..

فقال وارد فى هدوء مصطنع : نعم .. طفلها .. و .. طفلى !

وسكت قليلا .. وضيوفه ينظرون اليه ما بين مشفق .. ومتعجب ..

ثم استمر (وارد) قائلا :

ـ لقد كرهتنى ايلين . وربما كانت على حق فى هذه الكراهية نعم .. فيجب على أن أكون منصفا ..

ـ لقد حقدت على .. وآلت على نفسها الا تحيطنى علما بهذا الطفل الذى لا استحق بنوته كما تعتقد . وربما كتمت عنى امر ولادته حتى لا أجد فيه مبررا جديدا لاعادة علاقتى بها ..

وعلى اى الحالات كان هذا العمل منها ينطوى على قسوة منقطعة النظير ..

فقال رايدر فى صوت اجش : لقد كانت دائما قاسية ..

فقال (وارد) :

ـ على اى الحالات .. تخلت ايلين فيما بعد عن هذا الطفل .. واعطته الى احدى الاسر او بعبارة اخرى باعته لها .. فقد وطئت بقدميها كل عاطفة انسانية ووضعت نصب عينيها مستقبلها الفنى الذى كانت على استعداد لان تضحى بأثمن شىء لديها لتحقيقه .

ورفع الكاس الى شفتيه .. وابتلع ما فيها بجرعة واحدة .. ثم قال :

ـ تلك هى قصتى يا سادتى ..

لقد مات اخى .. وماتت اختى .. واصبحت فى هذه الدنيا وحيدا .. لا ادرى لمن اترك كل هذه الثروة الواسعة ..

اننى لا اريد شيئا سوى .. سوى ابنى .. لابد انه الآن فى الثامنة عشرة من عمره .. لو كان على قيد الحياة ..

هذا هو السبب الذى دعوتكم من اجله .. ودعوت ايضا مستر شارلى شان ..

لقد كان كل منكم زوجا لـ (ايلين) .. فلابد انه يعلم شيئا عن هذا الطفل .. لا اقول انها حدثت احدكم بقصتها التى حرصت ولا شك على اخفائها .. ولكنها ان تمكنت من الكتمان مع احدكم . فلن تقوى على عثرات لسانها مع الآخر .. فى لحظة من لحظات استغراقها .. واستمتاعها بهواها ..

فقال رايدر : من انباك بهذه القصة ؟..

ـ انك ضربت على الوتر الحساس بهذا السؤال .. فان ايلين حينما ذهبت الى (نافادا) لتسعى فى طلاقها من الدكتور سوان .. لتتزوج منك انت يا رايدر ..

ثم انحنى الدكتور وقال له : معذرة يا سيدى ..

فضحك سوان وقال : انك لا تذكر الا الحقيقة .. فقد ذهبت الى (نافادا) لتطلقنى وتتزوج من (رايدر) الذى احبته فى ذلك الوقت .. او بعبارة اصح خيل اليها انها احبته .. لم تكن كلنا سوى ضحايا لهذه المراة ..

لقد سعت للطلاق منى بادىء الامر لتتزوج من سائق سيارة اسمه (ميشيل) ! .. ولكن هذا الاخير خدعها وتزوج من خادمة

اسمها (سيسيل) فلجأت اخيرا الى .. الى رايدر !. ومعذرة ياسيدى .. فهى امرأة لايهمها فى الحياة الا اللذة الطارئة ولو ارتشفتها من اقذر المناهل واحطها ..

وقال رايدر محتجا : ان قصة السائق هذه لا اساس لها من الصحة

فقال وارد : كلا .. انها الحقيقة بعينها .. فعندما حضرت الى (تاهو) منذ اسبوعين بالطيارة .. شاءت المصادفات أن اقابل ميشيل وهو الآن طيار فى مطار (رينو) .. وقد علمت أن زوجته سيسيل فى عراك مستمر معه لعلاقته بايلين لادونا

فهتف رومانو : الا زالت على علاقتها به !؟ ..

ـ نعم .. و .. ولا ! .. وكل مافى الأمر انها تفضل السفر من هذا المطار ولو ركبت له القطار عدة ساعات ! ..

ومعذرة اذا قلت أن هذه المسألة لاتهمنا الآن .. وما ذكرت اسم ميشيل الا لأقول أن زوجته سيسيل حضرت الى قصرى فى الاسبوع الماضى واخبرتنى بقصة هذا الابن ..

فقال رايدر : أهذا هو المصدر الجدير بالثقة ؟..

ـ نعم ! ..

ـ انها اكذوبة امرأة تأكل قلبها الغيرة

فقال وارد مؤكدا : كلا . لقد وثب الى ذهنى هذا الخاطر بادىء الأمر .. ولكنى تذكرت بعض عبارات فاهت بها ايلين قبل مغادرتها لى وشواهد أخرى جعلتنى اتأكد من صحة هذه الرواية ..

وقال سوان : الم تسألها عن تفصيلاتها . ؟

ـ كلا .. لقد بهت !. وظللت صامتا كما لو كان لسانى انتزع من حلقى انتزاعا ! .

ثم قال فى صوت غاضب :

ـ انكم ما تبقى لى من أمل لمعرفة مأوى هذا الطفل ! . انى استحلفكم بشرفكم الا تقولوا الا الصدق ..

لقد رصدت مبلغا كبيرا من المال لمن يدلنى الى بمعلومات وافية عن هذا الموضوع ..

لا اقصد بذلك توجيه اى اهانة لكم .. ولكنى أحدثكم الآن كرجال !. لا كأزواج لامرأة هجرتنى وحطمتنى .. وارتمت بين احضانكم ..

اريد ان اعثر على ابنى ' وساعثر عليه ..
وقد نطق بهذه الكلمات الأخيرة فى صوت متهدج ..
وتبادل الازواج الثلاثة النظرات .. وكان اوفرهم شجاعة على البدء بالكلام جون رايدر الذى قال :
ـ وارد ! . ساكون اسعد انسان اذا تمكنت من مساعدتك !.
ويعلم الله ان زواجى بايلين لم يؤثر فى علاقتى بك .. كما انك لا تجهل اننى قضيت معها مدة قصيرة .. وهى الآن امراة عادية بالنسبة الى ..
اننى آسف ياوارد ! فليس لدى من معلومات لأدلى بها اليك عن هذا الابن المفقود ..
واوما (وارد) براسه الى الأرض وقال فى صوت به رنة من اليأس وخيبة الأمل : هذا ما كنت اخشاه : .
ثم التفت الى الدكتور سوان ..
وقبل ان يطرح عليه سؤاله .. رفع سوان عويناته عن عينيه .. ونظر الى وارد مليا ثم قال :
ـ لا تسىء فهم عواطفى . فلادونا اصبحت لدى نسيا منسيا .. على الرغم مما قلته الآن عن مقابلتى لها فى الفندق ..
ثم اضاف فى غضب : ليس من المشرف ان تطرح زوجة زوجها من اجل حبها لسائق سيارة حقير ! . ان مثل هذه المراة يجب ان توضع فى مرتبة الحيوانات ان كان للحيوانات مرتبة !.
نعم ! . فانا لا ارغب فى ان ادرا عنها شيئا .. ويؤسفنى اجهل جهلا تاما قصة هذا الابن .. التى سمعتها لأول مرة منك الآن .
انها امراة حقيرة ! .
وازداد وجه (وارد) اصفرارا .. والتفت الى الزوج الرابع .. او الأخير ! .
وقال رومانو : لن اسال عن قدر المبلغ الذى وعدت بدفعه !. فانا اترك ذلك لتقديرك كرجل شريف ..
ـ نعم ! . يمكنك ان تعتمد على .
ـ لا زالت (لادونا) زوجتى امام القانون .. ولكنها الآن « لاشىء » امام القلب ! .
لقد افنيت زهرة شبابى من اجلها ! . وصرفت كل ما املك لارضائها ! . واذا بها بعد ان اصبحت فقيرا معدما .. مسكينا

لا أمل له .. ولا مستقبل . تلففلنى .. وتطرحنى من وراء ظهرها كما يطرح الانسان ثوبا ممزقا مهلهلا ! .

ثم قال بصوت اكثر هدوءا : لقد وقعت فى يدى برقية وردت لها .. وفتحتها خطأ .. وفهمت منها ما يجعلنى اميل الى تصديق رواية ابنك التى تسردها علينا الآن ! .

لقد كان ذلك منذ زمن بعيد .. ولا اذكر بطبيعة الحال ما ورد فيها .. ولا الامضاء التى مهرت بها ..

فصاح (وارد) : الا تذكر من اى بلدة ارسلت هذه البرقية ؟.

فنظر اليه (رومانو) نظرة عنيفة تدل على رغبته الجشعة فى الحصول على اكبر قسط ممكن من المال .. وقال فى ابتسامة غامضة : البلدة ! .. نعم البلدة .. ربما عرفتها اذا ما فكرت قليلا .. نعم .. اتركنى بضعة ايام فلا يمكننى تذكرها الآن .

ونظر وارد الى (شارلى شان) نظرة يائسة .. فوجد هذا الاخير يفحص رومانو خفية وينقل بصره بين الزوجين الآخرين !.

وفى هذا الوقت .. سمع المدعوون صوت باب يقفل .. ثم نباح كلب من نوع (الفوكس تريير)

واستولى على الجميع ذهول غريب .. وكأن نباح هذا الكلب قد أورث فيهم شيئا من الحيرة والارتباك .

ودخل الخادم الصينى (سنج) . وانحنى على سيده واسر فى أذنه بضع كلمات . انفرجت على اثرها شفتا (وارد) عن ابتسامة كلها تهكم وسخرية ! .

وقال (وارد) لضيوفه فى هدوء : سادتى : معذرة لما تعلمونه عنى من حبى للمزاح والمفاجآت ! . لقد تأثرت كثيرا حينما سمعت أن الدكتور (سوان) قد رأى لادونا على مقربة منا فى رينو ..

ولما كان ينقص جمعنا شخص واحد يعوزنا .. فاننى رأيت انها هى التى ..

فصاح رايدر فى غضب : لادونا ؟. هل دعوت لادونا ياوارد ؟.

فقال وارد مبتسما : نعم .. لقد دعوتها !.

ــ ولكنى لا أريد أن يقع نظرى عليها ! . لقد اقسمت بشرفى الا أسعى لمقابلتها فى يوم من الأيام .

وربت (وارد) على كتفه وقال : هون عن نفسك يا عزيزى ! وكن عصريا مثلها . انى أؤكد لكم ان لادونا لن تفاجأ بوجودكم هنا ! .. ولو اننى لم أخبرها بطبيعة الحال بدعوتى هذه ..

اما عن الدكتور سوان .. فقد رآها في الفندق .. وبادلها الحديث ..

وانت يا رومانو !. ما رايك فى ذلك ؟. هل ندعوها للجلوس معنا الآن ..

فقال رومانو فى حدة : لا مانع عندى البتة ! . بل اريد ان احدثها واتفاهم معها من زمن بعيد ..

ــ اننا نريد جميعا ان ننسى الماضى ! .. ولم يبق سواك يارايدر .. فما رايك ؟ .

وهز رايدر راسه في ياس وقال : كما تريدون ! ..

وابتسم (وارد) وقال : سادتى .. هيا بنا اليها ..

الفصل الثالث

الزهرة المنبوذة

ذهب الجميع فى اثر (وارد) الى حجرة الاستقبال المجاورة لقاعة الطعام ولكنهم لم يجدوا بها لادونا !.

وكان يجلس فى صدر الغرفة رجلان .. احدهما فى الحلقة الثالثة من عمره والثانى يصغره بقليل ..

وتقدم اولهما الى صاحب الدار وحياه فى احترام شديد .. فقدمه (وارد) الى ضيوفه باسم (دانسلى) صاحب فندق رينو .. ثم قدم ضيوفه اليه .

وانبرى (دانسلى) بدوره يقدم الشاب الذى يرافقه اليهم فقال :

ــ مستر هيوز بيتون ..

وقفز رومانو من مكانه .. وتمتم قائلا :

ــ يا الهى ! . اهذا هو بيتون ! . لقد صوره لى الكثيرون فى صورة بشعة قبيحة . انه لازال صبيا .

وكتم غضبه .. وتقدم من الشاب وصافحه . وقال له :

ــ اريد ان احدثك ياسيدى .. فهناك مسائل كثيرة بينى وبينك يهمنى تصفيتها ..

فقال الآخر فى بساطة : نعم ..

ــ « فى الحقيقة » !. نعم

خبرنى .. ماذا تفعل لادونا فى التمارين الرياضية .. وفى تدريبها الصياحى على « المقامات العالية » ؟.

فقال (بيتون) دهشا : « المقامات العالية » ؟ . ماذا تعنى يا سيدى ؟
ـ و .. وكم سيجارة تصرح لها بتدخينها فى اليوم ؟
ـ اصرح لها انا ؟ .. يا الهى ..
فرفع رومانو يديه الى السماء وقال فى يأس :
ـ هذا ما كنت أخشاه ! . فلا زلت شابا حديث السن لا يتسنى لك القيام بهذا العمل الشاق ! . ولن تقوى على « تربيتها » فهى أشبه بطفل صغير يحتاج الى عناية دائمة والا فقدت صوتها . وهبطت من مطربة فى الأوبرا .. الى منشدة فى الحانات .. نعم !. لقد كنت واثقا ..
وفى هذه اللحظة .. سمع وقع اقدام تهبط الدرج . فقال (دانسلى) :
ـ انها لادونا .. وشقيقة بيتون ؟ لقد صعدتا الى الطابق الثانى لاستبدال ملابسهما ..
وخرج وارد ليستقبلها عند نهاية السلم .. فما رأته حتى رفعت كلبها الصغير على صدرها .. وقالت فى لهجة مرحة يشوبها الم غير ملحوظ :
ـ وارد ! .. عزيزى ديدلى وارد !.. بعد كل هذه السنوات الطويلة .. و .. لكن ..
وكان الكلب فى هذه اللحظة يداعبها بلسانه فى وجهها فقالت له :
ـ ألا تسكت يا « شقاء » ! ؟
فقال وارد عجبا : « شقاء » !.
ـ نعم ! . انه اسم كلبى ! . كلبى المسكين ! .
طفلى العزيز ! . لقد أصيب ببرد فى هذا الصباح . وخشيت عليه من برودة الجو هنا على مقربة من البحيرة .. ولكنى لم اقو على تركه بمفرده ..
سنج ! . سنج !. اين سنج ياوارد ؟ .
ونادى (وارد) الخادم الصينى فقالت له :
ـ سنج .. خذ كلبى الى المطبخ واعطه قليلا من اللبن الساخن .. اسرع يا سنج !. حاول أن يشربه ساخنا ..
ـ سأحاول ياسيدتى
وقدمت لادونا رفيقتها الى زوجها وهى شقيقة (هبوز) واسمها (لسلى بيتون) فقال وارد : انا سعيد برؤيتها .
وتقدمها وارد الى الغرفة . وتبعته لادونا وهى تقول : ان لسلى بيتون لا ..

وسكتت فجأة ! .
لقد وقع نظرها على المجموعة الصغيرة التى كانت تنتظر داخل الغرفة !. وظلت تنقل بصرها بينهم فى هدوء .. ثم استقر قليلا على (شارلى شان) ..
واخيرا التفتت لوارد ! .

وقبل ان تنبس ببنت شفة .. قال لها :
ـ ايلين ! لست فى حاجة الى ان اقدم اليك احدا من هؤلاء السادة ! . فكلهم من اقرب الناس اليك ! .
وظلت برهة صامتة لتستعيد رباطة جاشها من هول المفاجأة، واخيرا قالت :
ـ كلا .. فمنهم من لم يسبق لى التشرف بمعرفته ..

وتدارك (وارد) الأمر قائلا :
ـ معذرة ياعزيزتى .. لقد نسيت ان اقدم لك مستر شارلى شان مفتش البوليس فى هونولولو .
وتقدم (شان) خطوتين .. وانحنى قليلا وهو يضغط على يدها البضة برفق ويقول : لى الشرف العظيم ..
ونظرت اليه (ايلين) مليا ثم قالت :
ـ المفتش شان ! . لقد سمعت عنك كثيرا ياسيدى !
ـ وأنا بدورى « سمعتك » بصعوبة ! .
ـ بصعوبة ؟ ! .. ماذا تعنى ياسيدى ..
ـ اذكر انك غنيت مرة فى دار الأوبرا فى هونولولو .. وكانت الدار حديثة العهد وسقفها من الصفيح الرقيق ..
وضحكت لادونا وقالت : نعم . ! نعم .. لقد تذكرت ! .. وهطلت الأمطار ليلتئذ .. وكان لسقوطها على السقف صوت مزعج ! . فلم يسمع الكثيرون غنائى ! .

سأغنى لك فى يوم من الأيام ؟. وتكون السماء صافية وفى مكان سقفه من الحديد السميك ! .
وابتسم شان ..
وتذكرت لادونا حقيقة الموقف الذى هى فيه .. فنظرت الى ازواجها الثلاثة وقالت :
ـ انها فرصة غريبة ! . نعم .. غريبة حقا .. تلك التى ارى فيها رجالى الأعزاء مجتمعين تحت سقف حجرة واحدة !.
جون رايدر ! . لا زالت لك نظرتك الجدية الحازمة !. وأنت يا دكتور سوان .. أين عويناتك السميكة .

ثم لمحت رومانو وقالت : لويس ! . أانت هنا ايضا ؟ .

فقال فى لهجة جادة : نعم . انىهنا !. وستجديننى امامك فى كل مكان تطؤه قدماك ! . الا اذا فقدت ذاكرتى فى يوم من الأيام ! .

ولاحظ (رومانو) ان حذاءها مبتل وقذر .. فنظر الى (بيتون) وقال له :

ـ اتجهل ما تسببه رطوبة القدمين من اضرار بالصحة ! .. لقد اخبرتك أنك لا يمكنك أن تعتنى بها .

وقالت لادونا فى غضب انك متعب دائما ! . أانت « ممرضة » أم زوج ؟ . ان طباعك لا زالت على ماهى عليه .

انى لا أعبد (بيتون) الا لأنه يعيش فى خيال .. ودنيا بعيدة عن دنيانا ..

اقترب منى يا عزيزى ! .

ولكن الشاب ابتعد عنها قليلا ! . فمدت يدها الناصعة البياض واخذت تعبث فى شعره الأسود الفاحم بطريقة مسرحية أثارت دهشة الجميع ! .

واكتفت لادونا بذلك .. ثم انبرت تحدث زوجها الأول فقالت :

ـ وارد ! . لا يمكنك أن تعرف قدر سعادتى لوجودى فى قصرك الآن ! .

لقد فكرت كثيرا فى ان « اهبط عليك » .

فضحك وارد وقال :

ـ ليتك نفذت ما فكرت فيه .. « وهبطت » فعلا يا عزيزتى !

فقالت : نعم ! . لقد قلت اهبط .. لاننى سافرت بالطيارة كثيرا فوق تاهو .. ورأيت المطار الصغير الذى اعددته بجوار قصرك .

ـ لقد كانت فكرة صائبة .. اذ ان كثيرا من اصدقائى يملكون طيارات .. ويزوروننى بين الفينة والفينة .. لم لم تفكرى فى زيارتى اذن ؟ .

ـ لقد وجه نظرى الى مطارك الطيار الذى اعتدت ان اسافر معه .. ولكننا لم نجد فى احدى المرات الفرصة المناسبة لزيارتك ، فتارة كنت أطير ليلا .. واخرى فى الصباح المبكر .. وفى بعض الأحيان اكون مضطرة الى الاسراع .. و .. وهكذا ! .

ـ انك تحبين الطيران ! . اليس كذلك ؟ .

ـ بل اعبده يا وارد ! . ولا سيما فوق قمم الجبال المكسوة بالثلوج .. ومع ...

ثم سكتت فجاة ! . فقد وقع نظرها على (جون رايدر) الذى كان يقف بعيدا عنهم .. وهو مطرق براسه الى الارض ..

وتقدمت لادونا منه .. وقالت له فى عطف صادق :

ـ جون .. يسرنى أن اراك فى صحة جيدة .

فقال فى برود : نعم .. اننى فى صحة جيدة لسوء الحظ ! .

والتفت الى وارد وقال له :

ـ ساضطر الى الانسحاب يا سيدى ..

الى اللقاء جميعا .. ساذهب الى غرفتى يا مستر وارد ! .

وخرج من الغرفة مسرعا .. وهزت لادونا كتفيها الجميلتين فى غير اكتراث وقالت :

ـ انه مسكين ! . لا ينظر الى الدنيا الا نظرة جدية ! . ما الذى يفيده من ذلك ؟ . ولكن .. من نحن ؟! . ألسنا جميعا . مجموعات من الطباع لا تتغير .. وان تغير وجه الدنيا ؟ . اننى ارثى له !.

وادار (وارد) دفة الحديث فقال :

ـ الا تريدين القاء نظرة على هذا الوكر القديم يا عزيزتى ..

ـ ولم لا ؟ . اننى اكاد أطير فرحا وسرورا ! .

يا الهى ! . كم اعبد هذا المكان ! .

وكانت فاتنة حقا وهى تنظر الى (وارد) بعينين حالمتين !. انعكس على مرآتهما حنين المرأة الى الايام التى قضتها مع أول رجل تعلمت بين ذراعيه .. بل وبين جدران داره الحب ! .

اما هو ! . او بالأحرى .. عيناه .. فقد تجمع فى بريقهما خيوط من اشعة العواطف المتباينة والمشاعر المتضاربة .. وقال :

ـ سأريك القصر اذا أردت ! . لا زال كما تركته لم اقو على تغيير شىء فيه .. اللهم الا ...

ولم يكمل عبارته .. بل انحنى لضيوفه وقال :

ـ أرجو أن تسمحوا لنا بقليل من الوقت لنتجول بالقصر .

ووافق الجميع .. فقال وارد :

ـ سنذهب أولا الى غرفة مكتبى ..

ثم قال لشان :

ـ وأنت يا مستر شان .. الا تتكرم بمرافقتنا ؟ .

ـ بكل سرور يا سيدى !. فالبوليس السرى كالملح فى الطعام .. ضرورى ولا يضر ! .

وضحكت لادونا كثيرا !. ورغم ذلك كان المدقق في وجهها أثرا طفيفا لاضطراب خفي تحاول ان تستره !.

وقبل أن ينصرفوا من الغرفة قال (دانسلي) وهو ينظر الى ساعة يده :

ـ لا يستغرقك الوقت يا عزيزتي .. اذ يجب ان تغادري القصر بعد دقائق اذا اردت ان تكوني في رينو في منتصف الليل ..

ـ كم الساعة الآن ..

ـ العاشرة الا الثلث ..

ـ سأغادره في العاشرة .. وسأكون في رينو قبل الحادية عشرة ..

ـ هذا مستحيل يا سيدتي .. فالطريق غير ممهدة .

فقالت لادونا في ابتسامة رقيقة :

ـ سأغادره رغم ذلك في العاشرة .. ولن اطأ هذه الطريق غير الممهدة ! .

ونظر اليها (بيتون) دهشا وقال :

ـ ايلين ؟ . عم تتحدثين ..

فمركت اذنه بلطف .. وقالت وكأنها تخاطب طفلا صغيرا !

ـ بيتون ! . كن عاقلا .. ستعود انت وشقيقتك الى رينو بالسيارة القديمة التي حضرنا فيها .. اما أنا .. فبعد أن اتصل بي (وارد) تليفونيا في (رينو) .. طلبت من المطار أن يرسل الي طائرتي المحبوبة .. يقودها مستر ميشيل ويصل بها في الساعة العاشرة الى (تاهو) ..

ستكون رحلة جميلة .. ولاسيما ان القمر الآن مكتمل .. والسماء خالية من السحب ! .

ستحرسنا ـ اقصد ـ ستحرسني النجوم ! .

ثم قالت لوارد :

ـ لقد اخبرني ميشيل انك وضعت في مطارك بعض مصابيح قوية للارشاد ..

ـ نعم ! . انها فكرة رائعة تلك التي جعلتك تتصلين بالمطار عقب محادثتي لك .. سأذهب الآن الى هناك وادير المصابيح الى اتجاه رينو .. أما ما عدا ذلك فهو على تمام الاستعداد لقدوم طائرتك ..

* * *

كان (رومانو) في هذا الوقت يتناقش مناقشة حامية الوطيس مع (بيتون) واخيرا غادر القاعة وهو يقول :

ـ ساذهب الى غرفتى الآن لاعد لك كشفا بالنصائح التى يجب أن تتبعها لادونا ... وبالاشياء التى عليها ان تتجنبها ..

فقال بيتون ضاحكا :

ـ لا ترهق نفسك بهذا العمل يا سيدى ..

ـ انه واجبى !. انتظرنى فى هـذا المكان حتى اصعد الى غرفتى واعود اليك ..

وصعدت لادونا ووارد وشان الدرج .. وصعد فى اثرهم رومانو ..

وما كادوا يصلون الى بهو الطابق الثانى حتى اندفع رومانو اليها . وامسكها من كتفيها فى قسوة وقال لها غاضبا :

ـ لادونا !. اين نقودى !. كيف يمكننى ان اعيش الآن !. اجيبى ..

ـ دعنى !. دعنى الآن يا لـويس .. فليس هـذا هو وقت مضايقاتك ..

ـ ولكننى ..

وتدخل وارد وقال فى حزم :

ـ لا اعتقد ان الوقت يتسع لذلك يا سيدى .. اعتقـد ان هذا هو باب غرفتك .. أليس كذلك ؟ .

وصدع رومانو برغبة صاحب الدار ! . ودلف الى غرفتـه وهو يقول :

ـ لم ينته كل شىء بعد بيننا ! . ولابد أن نصفى حسابنا قبل سفرك ..

واغلق من خلفه الباب ..



تبعت لادونا مستر وارد الى غرفة مكتبه .. والقت بنفسها على مقعد قريب من المكتب وهى تقول :

ـ ديدلى ! . لقد انقذتنى من هذا الوحش الصغير ! . انى اكرهه ! . بل اكره هذه الحياة التى تقلبت فى سعيرها وعصفت بى انواؤها ! . لا شك انك ترانى شقية بائسة يا وارد ! .

اواه ! . اليس لهذا الجنون من حد ؟ . متى أجد الراحـة والسلام يا الهى !.

ولاحظ شـان ان (وارد) ذهب عنـه كل شىء الا العطف والحنين ! . فقد ربت على كتفها وقال فى صوت يفيض بالتأثر :

ـ ان السلام لم يخلق لك يا عزيزتى ! . لقد تلمسنا ذلك فى أول أيام زواجنا يا أيلين ..

وتنهدت لادونا ثم قالت فى صوت حالم :

ـ وارد . ان زيارتى لهذا القصر تعود بى الى ايام طفولتى ! . لقد تزوجنى فتاة فى الثامنة عشرة ! . كم كنت سعيدة فى هذه السن ! . يخيل الى انه لا توجد الآن فتاة فى هذه السن .

وضحكت فى سخرية وقالت :

ـ وعلى اى الحالات كان من المستحيل ان اظل فى هذه السن ! .

فقال شان فى هدوئه المعروف :

ـ الزوجة تظل فى نظر زوجها فى نفس السن التى تزوجها فيها مادام الحب متأصلا فى قلبيهما !. اننى اعرف امرأة فى السبعين وزوجها فى التسعين .. ولا زال يحتوى يدها المجعدة فى يده ويضغط عليها ويفركها فى شغف ! . وكلما ذهبا الى السينما انتهز فرصة الظلام ليقبلها ! . وكأنها عشيقته ! .

ثم اردف قائلا :

ـ عندنا مثل صينى يقول : لا يفسد الزواج الا الزوجة ! .

ومعذرة يا سيدتى ! .

وابتسمت لادونا فى فتور وقالت :

ـ انك لم تقل الا الصواب .. فآفة النساء الغرور ! . والمرأة ان لم تسعد مع زوجها الاول فلن تسعد بعد ذلك ابدا ..

وقطب (وارد) حاجبيه وقال :

ـ هذا الكلام لا فائدة منه الآن ! .

ثم قدم اليها صندوق السجاير .. فتناولت منه لفافة .. واشعلها لها .. ثم قال فى لهجة جدية وهو يجلس امام مكتبه :

ـ اننى اعجب كيف لبيت دعوتى هذه الليلة ! . واغلب ظنى انك انت الاخرى عجبت لها .. اليس كذلك ؟ .

فقالت لادونا وهى تحاول ان تعرف ما يسعى اليه بعد ان قطب حاجبيه فجأة وتغيرت لهجته :

ـ اننى لم اعجب لدعوتك ! . لقد احببتنى مرة .. فلم استبعد ان تشعر مرة اخرى بالحنين الى رؤيتى .. ولكننى حينما وجدت لويس وسوان ورايدر هنا .. استبدت بى الحيرة ! .

ـ اننى دعوتك هذه الليلة لسببين .. اولهما رغبتى فى ان تعلمى اننى على اتصال بزوجيك السابقين وبمستر رومانو .. وثانيهما ان تقابلى مستر (شارلى شان) .. وهو كما تعلمين مفتش بوليس هونولولو .. او بالاحرى اذكى بوليس سرى فى العالم .

لقد ابتدأت ومستر شان تحقيقا هاما الليلة .. ولا اخفى

عنك انه تحقيق صعب معقد ! . ولكن الغريب فى الامر .. هو انك ـ وحدك ـ يمكنك ان تنهى هذا التحقيق الآن اذا اردت !
لادونا ! . اننى لا احتفظ فى قلبى بأى حقد قديم ! . بل على النقيض اشعر فى هذه الايام الاخيرة بحنين جامح اليك ! .. وما دعوتك الى (تاهو) الا لأسألك سؤالا صغيرا وهو
ـ « اين ابنى . » .
وفى هذه اللحظة ركز شان نظره على وجه ايلين .. ليرى وقع هذا السؤال المفاجىء عليها ! .
هل هى امرأة بريئة ؟ . ام ممثلة بارعة ؟ .

لم يتغير وجه ايلين ! . ولم تختلج عضلة واحدة من عضلاته ! . وكل مافى الأمر انها رفعت حاجبيها المقوسين فى انتظام وقالت فى تعجب :
ـ اى ابن تعنى ؟ .
وهز (وارد) كتفيه وقلب شفته السفلى فى يأس وقال :
ـ يكفى هذا الآن ! . لن اكلمك بعد ذلك فى هذا الموضوع ..
ـ كلا ! . بل اريد ان تتكلم ! . هل جننت يا وارد ؟ . لابد ان أحدهم كذب عليك ! .
الا تعلم أننى موضع اكاذيب العالم واشاعاته ؟ . من الذى اخبرك بذلك .. اننى أعجب كيف ان رجلا عاقلا مثلك تخدعه مثل هذه المفتريات وتنغص عليه حياته .. قل لى كيف خيل اليك أن لك ابنا ؟ . اذ يؤسفنى أن تقضى أيامك شقيا تبحث عن شىء لا وجود له .. بل ولم يكن له فى يوم من الأيام أى وجود ! .

انك تذكرنى بطفل ظل يجوب الطرقات باحثا عن الأوزة التى تبيض ذهبا ! . لأن جدته العجوز قصت عليه احدى القصص الخرافية ! . خبرنى أى « جدة » اخبرتك بخرافة هذا الابن يا وارد ؟ .
ـ ان اسم « الجدة » لا يهمك كثيرا ..
ـ اذا أردت أن تتكلم بهذه اللهجة فلا يوجد ما يدعو لبقائى فى القصر .. وارجوك أن تأمر باعداد الأنوار فى المطار ..
ـ على رسلك ..
ثم وقف على رأس السلم وصاح :
ـ سنج .. ادع سيسيل الينا ؟ .
ونظرت لادونا الى وارد فى دهشة وقالت تحدث نفسها !
ـ سيسيل ! . زوجة ميشيل ! ؟ أم هى سيدة أخرى ! .
ثم قالت : هل أعرف انا صاحبة هذا الاسم ؟ .

ـ نعم ! . انها خادمة قديمة لك ! . وهى زوجة طباخك المفضل مستر ميشيل ..
ـ انها كاذبة ! . كاذبة ولا شك ..
فقال وارد فى خبث :
ـ ومن ادراك انها هى التى اخبرتنى بقصة الابن ؟.لولا صحة ما اعتقده لما قلت انها كاذبة ! .
فقالت فى لباقة :
ـ لقد علمت ان احدا كذب عليك .. ثم عرفت منك أن سيبيل فى قصرك .. فلم استبعد انها هى التى اخبرتك بخرافة الابن ! . المسألة هينة يا عزيزى لم تخرج عن مقدمة ونتيجة ..
ثم ذهبت الى المكتب وفتحت أحد الصندوقين الأنيقين المعدين لحفظ السجاير واشعلت سيجارة .. ثم همت بالكلام . فسمعت صوت سيبيل تقول :
ـ هل ارسلت فى طلبى يا سيدى ؟ .
ثم وقع نظرها على لادونا فقالت لها فى شىء من المجاملة :
ـ سيدتى ! . كيف حالك ! ؟ .
ـ شكرا لك .. كيف حالك انت ؟.

وقال صاحب القصر :
ـ سيبيل ! . احضرى كلب لادونا .. لقد اعطته لسنج منذ وقت قليل ..
وفوجئت لادونا لأنها توقعت من (وارد) أن يجابهها بسيبيل .. ولكنها قالت فى هدوء :
ـ واحضرى كذلك غطاء صغيرا له .. فالجو فى هذه الأصقاع على جانب من البرودة ..
ـ حسنا يا سيدتى ! .
ولكن (سيبيل) بدلا من أن تنصرف لاحضار الغطاء .. ارهفت اذنيها .. ونظرت الى ايلين بعينين حاقدتين ..
وسمع الجميع فى ذلك الوقت ازيز طائرة تحوم حول القصر ؟ فاسرع وارد الى (الشرفة) الكبيرة التى تطل على البحيرة .. وذهبت فى اثره لادونا ..
ورأى الجميع على ضوء القمر الشاحب طيارة صغيرة تقترب من القصر وأزيزها يرتفع شيئا فشيئا ..

وقالت (سيبيل) فى غيظ مكبوت :
ـ لقد فهمت ! . ان سيدتى ستعود بالطيارة الى (رينو) ؟ . اليس كذلك ؟ .

فقالت لادونا فى برود ؟
ـ وما شأنك فى هذا الأمر ..
ـ قد يكون لى شأن يا سيدتى ..
وقال وارد فى صوت آمر :
ـ احضرى الغطاء يا سيسيل ..
وقالت لادونا : ولا تنسي ان تحملى الكلب (شقاء) ! . برفق ! .
وضحكت ضحكة ساخرة ! . وانصرفت سيسيل وهى تتميز غيظا وكمدا ! .
ونظر (وارد) الى ساعته وقال :
ـ لقد حضر طيارك قبل الميعاد ..
ـ ديدلى :. اسرع بربك لاضاءة انوار المطار وارشاده الى الهبوط ..
وخرج وارد مسرعا ..

* * *

التفتت لادونا الى شان وقالت له فى رقة :
ـ هل تعرف غرفة مستر رايدر يا سيدى ؟ .
فقال شان مبتسما : اعتقد اننى أعرفها ..
ـ الا يمكننى أن التمس منك خدمة بسيطة ؟ .
ـ اننى تحت أمرك يا سيدتى ..
ـ عفوا ! . أرجوك أن تذهب اليه وتخبره اننى يجب ان اراه .. نعم يجب أن يأتى معك .. ولا تعد الى يا سيدى بكلمة « لا » كجواب منه ! .
أخبره انها مسألة حياة .. او .. موت ! .
ثم دفعت المفتش فى لطف حتى اخرجته من الغرفة ! . فاسرع شان وهبط الى الطابق الاول وقصد رأسا الى غرفة رايدر وكان قد رآه يخرج منها قبل العشاء .
قرع شارلى على الباب .. وقبل أن ينتظر جوابا دخل الغرفة فوجد جون رايدر يقرأ فى كتاب على ضوء مصباح كهربائى موضوع على مائدة صغيرة ..
وانحنى شان قائلا :
ـ معذرة يا سيدى ! . ولكنى حضرت لامر هام على ما اعتقد ؟ وهو ان مدام لادونا ...
فقال الآخر مقاطعا :
ـ ما الذى تريده منى مدام لادونا ؟ ! .

ـ تريد أن تراك فى الحال .. انها تنتظرك فى مكتب مستر وارد ! . وتلح فى ضرورة مقابلتك لها حتى انها كلفتنى باخبارك انها مسألة حياة او موت .

وهز رايدر كتفيه وقال :

ـ قول هراء ! . انها تعرف انه لا يوجد ما يستدعى الكلام بيننا ..

ـ ولكنها ..

ـ نعم ! . مسألة موت او حياة ! . انني أعرف ما يوشك لسانك أن يثرثر به ! .

لا تتأثر بتهديداتها ! . فهذا دأبها دائما .. انبئها من فضلك انني لا اريد أن اراها .. وانني ارفض طلبها ! .

وتردد (شان) برهة .. فنهض (رايدر) ودفعه الى الباب وهو يقول فى غضب :

ـ أخبرها انني لن اراها مهما كانت الظروف ! .

ووجد (شان) نفسه فى البهو .. بعد أن أغلق رايدر باب غرفته فى شدة ! .

وعاد ثانية الى لادونا .. وقال لها :

ـ آسف جدا يا سيدتى .

ـ انه لا يريد أن يرانى .. اليس كذلك ؟ . لقد توقعت منه هذا الرفض ..

معذرة يا مستر شان ان كان قابلك بشىء من الجفاء ! ..

ثم أردفت فى لهجة غامضة :

ـ لقد فكرت فى طريقة أخرى .. شكرا لك ..

وقال شان : أرجو أن تسمح لى سيدتى بالخروج ..

ثم انصرف من الغرفة .. وهبط ثانية الى الطابق الأول .. ولاحظ أثناء اجتيازه الممر أن باب حجرة مستر (رومانو) كان مفتوحا ! . ورأى الشاب يذرع الغرفة جيئة وذهابا وقد اطرق برأسه الى الأرض .

أما غرفة (رايدر) فكانت مغلقة .. وبلغ ازيز الطائرة فى هذا الوقت أشده .. ولمح شان مستر (دانسلى) .. ومستر (هيوز بيتون) فى البهو يتحدثان وهما لا يعيران قدوم الطائرة أهمية ما ..

وتابع (شان) هبوط الدرج حتى خرج من القصر .. ولم يكد يتقدم نحو البحيرة حتى سمع وقع اقدام على مقربة منه .. ورأى شبحا يسير فى بطء واتزان ما لبث ان تبين فيه الدكتور

(سوان) ! . الذى اقترب منه .. وقال قبل ان يبدأه شان بالحديث :
ـ لقد خرجت لاشاهد البحيرة عن قرب ! . ان منظرها رائع فى هذه الليلة المقمرة ..
فقال شان : أين المطار اذن ؟ .
فقال الآخر مرتجفا :
ـ ان هذا السؤال لا يوجه الى ؟ . فانا لا أعرف عن هذه الجهة شيئا ! . اريد ان اغادر (تاهو) فى التو واللحظة .
ثم ترك شان .. وهرول الى باب القصر .. وصعد الدرج مسرعا ..

* * *

كان (ميشيل) فى هذا الوقت يقوم ببعض مناورات بطائرته ! ويحاول أن يبرهن على مقدرته الفائقة فى قيادتها ! . فقد حام على مقربة من سطح القصر حتى خيل لمشاهديه أنه على وشك الاصطدام بأشجار الصنوبر العالية ! . ولكنه ما لبث أن هبط الى المكان بطريقة موفقة استحوذت على اعجاب الجميع .

ووصل شان الى المطار فى اللحظة التى هبطت فيها الطائرة .. فبادره (وارد) بقوله :
ـ انه طيار ماهر ! .
ثم أضاف : نعم ! . فلا يوجد رجل على ما أعتقد .. من يقود هذه الطائرة القديمة ذات المقعدين بمثل هذه المهارة الغريبة ! ..
وأسرع لاستقبال ميشيل ..

* * *

سار ميشيل ووارد وشان الى القصر ، ودخلوه من الباب الخلفى الذى يؤدى الى المطار .. ولما مروا فى جناح الخدم رأى شان باب المطبخ مفتوحا وامرأة بدينة ـ عرف فيها الطاهية ـ وهى تداعب كلب لادونا الذى كان يرتجف من شدة البرد ..

وذهب ثلاثتهم الى البهو .. فنهض (دانسلى) و (بيتون) لاستقبال الطيار الذى أسرع بخلع قفازه الكبير وصافحهما فى حرارة .
وقال (وارد) تفضل بالجلوس حتى اعد لك كاسا ، فأعصابك احوج ما تكون اليها ..
وضحك ميشيل وقال : شكرا لك ..

ثم قال فى تردد :
ـ هل يمكننى ان اكلم زوجتى ؟ .
ـ نعم ! . سأهيىء لك الفرصة لمقابلتها ..
وفى هذه اللحظة كان (رايدر) يهبط الدرج .. وقد أوقد سيجارته .. ولما اقترب من باب البهو قال لوارد :
ـ هل انصرفت لادونا ؟ .
وكان (وارد) يقدم كأسا الى الطيار فالتفت الى (رايدر) وقال فى صوت مرح :
ـ لقد جئت فى الوقت المناسب يا عزيزى ! . هيا اشرب معنا كأسا ..
ـ شكرا لك .. اننى ...
ولم يكمل رايدر جملته ! . فقد دوى فى هذه اللحظة صوت طلق نارى منبعث من الطابق الثانى ! . فتسمر امام باب البهو وصاح :
ـ ما هذا ؟ ! .
ووضع (وارد) زجاجة الخمر التى كانت بيده ، ونظرا الى شان مستفسرا .. ثم قال :
ـ هذا عجيب حقا !. ماذا تظن يا سيدى ؟ .
ولم ينتظر شان ليرد عليه .. بل دفع (رايدر) من طريقه .. وانطلق يصعد الدرج فى سرعة عظيمة ..
ووصل الى الطابق الثانى فى أقل من نصف دقيقة .. ولفت نظره اطفاء الانوار فى حجرة مكتب مستر وارد .. فاتجه اليها راسا ووجد بابها مغلقا .. ولكنه أدار المقبض فانفتح الباب ..
كان ضوء القمر ينفذ من (الشرفة) الى الغرفة ويخفف كثيرا من وطأة الظلام ..
ولمح شان جسم لادونا ممددا امام الشرفة . فاندفع اليها .. وبعد تردد قصير .. دخل اليها وبحث فيها فلم يجد أحدا ! .. كما لم ير اى شىء يسترعى الانتباه على مقربة من القصر ! .
وسمع شان وقع اقدام كثيرة فى الغرفة فعلم ان ضيوف (وارد) قد هرعوا بدورهم الى حجرة المكتب ليشبعوا فضولهم .. فقال :
ـ ليضىء احدكم النور ! .
ـ ولما سطعت الانوار .. صاح (وارد) فى صوت اقرب الى البكاء :

– يا الهى ! . ما الذى حدث هنا ؟ . ايلين ! . ايلين ! . لادونا ! . مستر شان ! . ما الذى حدث . .

وربت شان على كتفه ولم يجب ! . واكتفى بان ينقل بصره بين الوجوه الفزعة التى تتطلع اليه فى اهتمام ! . فراى رومانو . وسوان . . وبيتون . ودانسلى . وميشيل . وسيسيل . . وكلهم صفر الوجوه جاحظو الاعين ! .

وقال شان :

– انك « روحانى » يا عزيزى وارد : كالصينين تماما !. اذ حدثك قلبك بأن تستدعى بوليسا سريا قبل وقوع الجريمة بثلاثة أيام ! .

فقال وارد مذعورا : « الجريمة » ؟ ! . يا الهى ! .

– معذرة يا مستر وارد . . فما حدث الليلة قد يكون صدمة اليمة لك . . ولكن بالنسبة الى لم يخرج من كونه نوعا من انواع العمل . . فلا تؤاخذنى على تعبيراتى الفنية ! .

وانحنى على جسم لادونا . . واحتوى رسغها بين السبابة والابهام ليختبر دقات قلبها . . فقال وارد مشيرا الى الطبيب :

– ان الدكتور سوان يمكنه أن يقوم بالاسعافات السريعة يا سيدى المفتش . .

ولكن (شان) نهض فى بطء وقال فى صوت بائس . . وهو يهز راسه سلبا : كلا ! .

ثم قال فى هدوء :

– هل الزهرة التى نبذها الغصن . . او بالاحرى نبذتها كل الاغصان تعود الى الحياة ثانية ؟ ! . كلا ! .

لقد . . ماتت . .

واخفى (وارد) وجهه بين يديه . . وانصرف من الغرفة لا يلوى على شىء ! .

وساد سكون عميق . .

ووقف (شارلى) ينظر الى جثة (لادونا) الممددة على الارض وهو لا يدرى فى اى واد سوف يستقر به تفكيره العميق . .

كانت المسكينة ممددة على ظهرها . . وقد ابتعد حذاؤها عن مدخل الشرفة بضعة سنتيمترات ؟ . هذا الحذاء الذى اشفق عليها (رومانو) حينما رآه مبللا ! . وكانت تقبض بيدها على قطعة من الحرير على شكل (اشارب) مما يضعه النساء حول اعناقهن . . ولاحظ (شان) ان لونه الفاتح لا يتناسب مع لون ثوبها الاخضر الداكن . .

وعلى مقربة من قدميها .. راى مسدسا صغيرا على الارض يتصاعد من فوهته الدخان .

واخرج شان من جيبه منديلا ، واخذ المسدس .. فشعر بان الحرارة لا زالت تسرى فيه ! . فوضعه فى أحد أدراج المكتب فى عناية كبيرة ..

وظل شان يجوب بعينيه فى انحاء الغرفة .. حتى استقر بهما على المكتب ولبث برهة ضالا فى بيداء التفكير ! . وهو ينظر الى صندوقى السجاير الموضوعين على المكتب .

لقد تناولت (لادونا) من أحدهما لفافة حينما كانت تتحدث منذ دقائق معدودة مع (وارد) ! . ثم تركتهما مفتوحين ! . اما الآن فقد رآها (شان مغلقين) فى غير نظام ! . فقد وضع غطاء الصندوق الأصفر على القرمزى .. ووضع القرمزى على الأصفر .

الفصل الرابع

الشكوك الخمسة ! .

وبينما كان (شان) يتامل الصندوق .. شعر بان شخصا آخر دخل الغرفة .. فالتفت وراءه .. ورآى امامه ، سنج) بوجهه المجعد وعينيه الضيقتين ..

وكان الصينى العجوز يمسك بيده قطعة صغيرة من الصوف الأزرق ..

ويبدو على أتم ما يكون من الهدوء والسكينة ..

ونظر اليه شان مستفسرا .. فقال العجوز :

ـ الغطاء .. الغطاء لكلب السيدة :

ولما لم ينتبه اليه احد .. قال فى تؤدة غريبة :

ـ ماذا حدث ؟ .

فقال (شان) فى خشونة وتهكم :

ـ ألا تعلم ماذا حدث ؟ . يمكنك أن ترى ماذا حدث ؟ . لقد اقتلت لادونا ! .

فنظر الصينى الى (شان) نظرة غريبة وقال :

ـ لقد حضرت الى القصر يا سيدى .. فوافاك عملك على جناح السرعة

ثم رمق (وارد) ـ الذى دخل فى هذه اللحظة ـ بنظرة لم يفهم أحد مغزاها وقال له : ستعلم فى يوم من الايام يا سيدى أن (سنج) العجوز لا يخطىء الا فى القليل النادر ؟. لقد حذرتك من دعوة مسيو شان الى هذا المكان ! فلم توافقنى .

وتجاهل (شان) ما يقوله وساله وهو يشير الى الغطاء الصغير الازرق الذي يمسكه في يده : ما هذا ؟.

ـ لقد طلبت السيدة من سيسيل ان تحضر غطاء لكلبها .

ـ متى كان ذلك ؟!

ـ بين التاسعة والنصف والعاشرة . واظنك كنت موجودا يا سيدي .

فقال شارلي متخابثا : هل كانت الطائرة وقتئذ تحوم فوق القصر ؟.

ـ كلا !. بل كانت قد هبطت الى المطار .

ثم اردف : انني لا اذكر ذلك بالضبط .

فقال شارلي : لم تصبح في حاجة الى هذا الغطاء ..

وخرج الصيني في صمت ..

والتفت (شان) الى (دانسلي) وقال له : ليست لي سلطة في هذا المكان !. فأرجوك ان تستدعي الشريف في الحال ..

ـ سأستدعيه يا سيدي ! ولكنه شاب يدعى (دون هولت) .. حديث السن .. لا خبرة له في هذه الجرائم اذ انه لم يعين في هذا المنصب الا منذ عام ؟. ويقضي معظم أوقاته في (رينو) لمراقبة خيوله التي يهتم بها اهتماما كبيرا ..

وقال في يأس : انه ورث هذا المنصب في الحقيقة عن ابيه (سام هولت) الذي أصيب بالعمى في اخريات ايامه ..

سأحاول على اي الحالات ان أتصل به تليفونيا . فله منزل صغير على مقربة من تاهو .

وخرج (دانسلي) من الغرفة مسرعا ..

❊ ❊ ❊

انتهز (شان) هذه الفرصة ليدرس ما ارتسم على وجوه المجموعة الغريبة التي أمامه من مختلف الهواجس والمشاعر !.

وكان في قرارة نفسه يندم كثيرا على دخولهم جميعا الى الغرفة دون اذن منه !. اذ كان يتوق الى أن يلقى الخبر على مسامعهم فجاة ليرى وقعه عليهم !.

ومع ذلك .. كان النظر في وجوههم من اطراف الدراسات التي تلذ لشان !.

لقد كان وجه (رومانو) شاحبا .. وعلى عينيه الرماديتين ستار شفاف من الدموع ..

وكان الدكتور (سوان) مضطربا ماخوذا ..

اما (ديدلى وارد) .. فقد كان غائصا فى مقعد كبير على مقربة من المدفاة وهو يخفى براحتيه عينيه الدامعتين ..

وكان (هيوز بيتون) وشقيقته ابعد الموجودين عن الجثة !. فقد كانت الفتاة تبكى فى حرقة وبيتون يحاول عبثا ان يهدىء من روعها .

اما ميشيل فكان فى حيرة عظيمة .. وكان وجه سبيل - زوجته - يرتسم عليه الرعب والهلع !. على عكس (جون رايدر) الذى كان هادئا .. جامدا ينظر الى الجثة الملقاة على الارض فى غير مبالاة او اكتراث !.

وأخيرا .. قال شان : افضل يا سادتى ان تنسحبوا الى البهو فى الطابق الاسفل .. ولاشك انكم تعرفون قدر اسفى لاكراهكم على الانتظار ومنع اى فرد منكم من السفر ..

وهنا صاح الدكتور سوان : يجب ان اسافر فى الحال الى (رينو) ..

وهز شان كتفيه فى استخفاف وقال : لا تلق تبعة هذا الامر علي !. بل القها على كتفى من اطلق هذه الرصاصة !.

وعاد دانسلى فى هذا الوقت يقول : لقد وجدته فى منزله الصغير لحسن الحظ !. واخبرته تليفونيا بما حدث فى ايجاز .. وهوالآن فى طريقه الينا

- شكرا لك . لتبق معى هنا انت ومستر (ديدلى وارد) .. ولقد طلبت من السادة قبل حضورك ان يتفضلوا بالانتقال الى الطابق الاول ..

ولما همت الجماعة بالانصراف استوقفها قائلا :

- يجب ان اطرح هذا السؤال عليكم - ولو اننى لا املك هذا الحق بعد - وهو هل يعرف احدكم اى شىء عن مقتل مدام لادونا ؟ ..

فأجابوا جميعا بالنفى

وذهب (شان) الى درج المكتب واخرج منه المسدس الصغير الذى عثر عليه عند تدمي ايلين .. وقال وهو يرفعه بمنديله :

- الم ير احدكم هذا المسدس من قبل ؟.

فقال (دانسلى) فى اقتضاب بعد ان تمعن فى السلاح :

- لقد رايته !. رايته هذه الليلة فقط ..

- متى .. واين ؟.

- بعد ان اتصل مستر وارد بزوجته السابقة تليفونيا فى رينو .. وطلب منها زيارته فى القصر .. الحت علي فى قبول مبلغ من المال

كانت قد استدانته منى .. فلما قبلته فتحت حقيبة يدها لتعطينى المبلغ فسقط هذا المسدس على الارض فالتقطته واعدته اليها فوضعته فى الحقيبة مع الاوراق المالية ..

وقال رومانو : نعم !. انه مسدسها .. وهى تحمله معها من زمن ليس بالقريب .. بعد ان حاول أحدهم الاعتداء عليها فى احد الفنادق فصممت على ان تضعه فى حقيبتها رغم ممانعتى فى ذلك ..

وأخيرا قتلت به المسكينة !.

وساد سكون عميق .. اخترقه (شان) بقوله : لا بد ان هناك أشخاصا غيركما وقع نظرهم على هذا المسدس من قبل ..

انت مثلا يا مستر بيتون !.

فقال الشاب : نعم . لقد رايته مرارا .. انه مسدسها ..

والتفت شارل فجأة الى شقيقة بيتون وقال : وانت يا مس بيتون !.

ــ نعم .. نعم .. لقد رايته ايضا ..

ــ هل كنت تعرفين انها كانت تضعه دائما فى حقيبة يدها !.

ــ نعم ..

ــ ومتى عرفت ذلك ؟.

ــ فى اول يوم تقابلنا فيه .. اى منذ اسبوع تقريبا ..

وقال (شان) فى صوت رقيق : انه من المؤلم حقا أن اراك ترتجفين من البرد يا آنسة ! ولا سيما أن نوافذ الحجرة مفتوحة ! الم تحضرى معك وشاحا لتضعيه على كتفيك ؟.

ــ شكرا يا سيدى ! لقد أحضرت معى وشاحى لهذا الغرض !. اين هو ؟! ربما نسيته فى حجرتى ..

وهمت بالانصراف لتبحث عنه .. غير ان (شارلى شان) استوقفها .. وذهب الى الجثة واخذ قطعة الحرير التى فى يد ايلين ! وناولها لمس بيتون قائلا : هذا هو وشاحك يا آنسة !. أليس كذلك .؟

وصرخت الفتاة فرقا وقالت : وشاحى انا ؟!. نعم .. نعم .. هو تماما !. هو بعينه يا سيدى !. ولكن ما الذى وضعه فى هذا المكان ؟.

ــ الم يقع نظرك عليه منذ ان دخلت الغرفة الى الآن ..

ــ انا ؟! كلا !.. اذ اننى دخلت هذه الغرفة والانوار مطفأة ..

ـ وبعد ان انطفأت الانوار ؟.

ـ لم احاول يا سيدى ان انظر ناحية الجثة بطبيعة الحال ! ولم اعلم الا منك ان وشاحى فى هذا المكان ..

ووضع شان الوشاح على المقعد .. وقال لها فى لهجة رصينة :

ـ حقاً !. انك لم تنظرى الى الجثة طوال الوقت .

واستقرت عيناه ثانية على صندوقى السجاير الموضوعين على المكتب .. ثم قال :

ـ بوسعكم ان تنصرفوا الآن الى الطابق الاول .. ولست فى حاجة الى تذكيركم بوجوب البقاء حتى الانتهاء من التحقيق ..

* * *

ولما خرجوا من الغرفة .. اغلق الباب من خلفهم بعناية . واتجه الى (دانسلى) و (وارد) فنهض الاخير وقال : هذه اول مرة تنزل شقيقة بيتون ضيفة علي .. وأغلب ظنى أنك لن تتهمها بال ...

فقاطعه شان قائلا : وأغلب ظنى أنا أيضا أن كل هؤلاء ينزلون ضيوفا عليك لأول مرة !. ومع ذلك فقد ارتكب الجريمة واحد منهم ..

ـ اننى أوافقك على ذلك .. ولكنه من المستحيل على امرأة ومن باب اولى على فتاة جميلة مثل مس بيتون أن ...

فقاطعه شان للمرة الثانية فى هدوء قائلا : ان المرأة الجميلة على نضارتها تحوى فى قلبها من السموم مثلما يحوى الفم الاخضر فى الثعابين !.

ـ لقد سمعت هذا المثل من قبل !. ولكنى لا أدين به أو أعتقد فى صحته ..

ثم سكت فجأة !. ونظر الى جسم ايلين الممدد على الارض .. وقال فى صوت تخنقه العبرات : ايلين !. ايلين !. هل آليت على نفسك أن تبدئى حياتك الشقية بالخروج من هذا القصر .. وتنهيها بالعودة اليه !؟

لن اغفر لنفسى اننى كنت السبب فى قتلك وقد دعوتك الليلة لزيارتى ! نعم !. لن اغفر لنفسى ذلك يا عزيزتى ..

ثم سكت مرة ثانية !. وقد افلت من قبضة ارادته زمام افكاره التى صارت تهبط به فى أودية متباينة من العواطف .. وقال :

ـ أواه !. اننى لم افكر فى ابنى !.

ثم قال لشان فى يأس شديد : انهتدى بعد قتلها الى معرفة حقيقة هذا الامر ؟. لقد كانت أملنا الوحيد رغم انكارها على طول الخط !.

وربت شارلى على كتفه فى رفق وقال : لا تيأس ؟. سنثابر على بحثنا .. واؤكد لك ان مجهودنا سيكلل بالنجاح ..

وربما كان هذا الحادث سببا فى سرعة وصولنا الى نتيجة حاسمة ..

ـ وكيف يكون ذلك ؟.

ـ بالاطلاع على اوراقها الخاصة التى معها الآن .. فقد نهتدى بينها على ما ينير امامنا السبيل ..

ومع ذلك .. فقد شاءت الظروف أن نهتم بهذا السؤال وهو « من قتل ايلين لادونا ؟! » .. قبل أن نهتم بقصة الابن ..

فقال دانسلى : ما رايك انت يا سيدى المفتش ؟.

ـ ان تكوين الراي بسرعة فى مثل هذه المسألة اشبه بالبضاعة الرخيصة .. وقد ينقلب الى بضاعة محرمة خطرة اذا ما كان غير صائب

وقال وارد : اننى لست رجل استنتاجات . ولكن يمكننى ان أؤكد ان القاتل هو رومانو .

فقال شارلى : هل لديك اي دليل عليه ؟.

ـ كلا !. لم اهتد بعد الى دليل مادى .. ولكننى ارجح ذلك لما لاحظته عليه فى أثناء حديثه معها . ولا شك أنه حاقد عليها لسبب من الاسباب .. ولعله المال ..

وهو ايطالى .. سريع التأثر والانفعال ؟.

فهز شان راسه وقال : نعم !. الا أن الايطاليين مهما بلغ بهم الغضب لا يعميهم عن مواطن المال !. ورومانو لا يجهل ان لادونا وهى على قيد الحياة انفع له بكثير مما لو ماتت !. اللهم الا ...

وسكت (شان) ولم يكمل جملته ..

وقال (وارد) فى الحاح : الا ماذا ؟.

ـ لا شيء !. سنبحث فى ذلك فيما بعد .. فلا زال الشوط أمامنا بعيدا ويحول بيننا وبين الحقيقة جبل شاهق يجب علينا ان نتسلق سفحه فى بطء حتى ندخر قوتنا للوصول الى القمة .

ثم قال لدانسلى : لقد تكلمت منذ لحظة عن الاوراق المالية التى وضعتها (ايلين لادونا) فى حقيبة يدها ..

ـ اليك تفصيل الامر : حينما حضرت لادونا الى فندقى فى الاسبوع الماضى .. وصلها طرد كبير به بعض الحاجيات .. ولما كانت لا تحمل معها نقودا فى هذا الوقت اقرضتها عشرين دولارا دفعتها لتسديد ثمن الفاتورة المصحوبة بالطرد ..

والليلة .. ردت الي المبلغ .. وفتحت حقيبة يدها كما اخبرتك .
فسقط المسدس على الأرض ولما اعطيتـه لها وضعته مع رزمة كبيرة من الاوراق المالية ..
فقال شارلى : هذا غريب حقا !. فلا يوجد فى حقيبة يدها ورقة مالية واحدة !.
وهنا صاح وارد فى غضب : يا الهى .! ان الجريمة مزدوجة .! فهى قتل مصحوب بسرقة !. وقد اكون ضحية ثانية فيها !. فهؤلاء الانذال اطلقت لهم الحرية ليجولوا فى القصر كما لو كانوا فى منازلهم !
وقال دانسلى : انه رومانو .
فقال شان وهو يخرج من الغرفة : سنقطع الشك باليقين !. سأذهب الآن الى غرفتى لاحضار بعض الالات الخاصة بالتقاط البصمات !. فقد أحضرتها معى لحسن الحظ .
وعاد (شان) بعد قليل ..

***

عندما دخل (شان) الغرفة .. سمع وقع اقدام على الدرج .. ثم صوت الخادم (سنج) وهو يقول :
ـ لقد حضر الشريف ..
ودخل شاب فى مقتبل العمر .. يفصح بريق عينيه عما فى قلبه من طيبة لا حد لها .
وقدمه (دانسلى) الى صاحب الدار والمفتش .. فلم يكد يسمع اسم (شارلى شان) حتى قال : انها فرصة سعيدة يا سيدى !. كنت أمنى نفسى من زمن بعيد برؤيتك !. وها هى ذى الامنية قد تحققت
ـ شكرا لك ..
والقى نظرة على الجثة وقال : لا يمكننا ان نستدعى الآن الدكتور (كرنر) لبعد المسافة بيننا وبينه . ويجدر بنا ان نحضر طبيبا من (تاهو)
فقال (شان) : نعم !. على شرط ان يكون ذلك على جناح السرعة اذ ان مثل هذه الاوامر لا تحتمل الارجاء .
ـ اننى اعرف ذلك يا سيدى .. ولو ان هذه أول حالة من نوعها ادعى لمباشرتها !.
اننى ارتجف يا مستر (شان) من قمة رأسى الى اخمص قدمى !. واسائل نفسى ان كنت تقبل ان تمد لنا يد المساعدة فى هذا الموضوع أم لا ؟.
فقال شان : ان مواهبى المتواضعة تحت امرتك .

ـ شكرا لك يا سيدى !.

وسرد (شان) على مسامعه من جديد ما جرى فى ذلك المساء من حوادث . ولما انتهى من ذكرها ساله الشريف:

ـ ومن الذى تحوم حوله الشبهات ؟.

ـ عدد كبير !.

واخبره بأسماء الجميع ثم اضـــاف اليهم فى النهاية سبيل زوجة ميشيل والخادم المجوز (سنج)

فقال هولت : سنج !. انه عجوز طيب القلب . تولى تربيتى منذ نعومة اظفارى .. ولا احسب انه يقوى على قتل بعوضة .

وابتسم (شان) وقال : يجب الا يفكر الشريف على مثل هذا النمط !. فالمحقق الجنائى كالقــاضى . ينبغى عليه ان يتناسى معلوماته الخاصة عن الاشخاص ويعتقد اعتقادا راسخا انه لا يوجد فى الدنيا انسان ترقى عنه الشبهات .

وربت هولت على كتف شان وقال له : معذرة !. هذا هو الدرس رقم (١) .. وبعد الآن يا سيدى المفتش افعل ما يبدو لك صائبا .. ولا تعرنى اى اهتمام ..

ـ عفوا يا عزيزى !. ولكنى مسلوب السلطة فى هذا المكان .. وتعوز اعمالى الصبغة الرسمية .

ـ اننى اضع من الآن سلطتى بين يديك .

ـ هذا كل ما أطلبه .. وشكرا .

ثم خطا خطوتين صــوب الجثة وقال : ينصـــح كل محققى (سكوتلانديارد) وكبـار رجال البوليس السرى بأن يبـدا المحقق بمعاينة وضع الجثة !. فما الذى يوحى به اليك هذا الوضع ؟.

وفكر (هولت) مليا ثم قال : لابد أنها أصيبت من الشرفة .. او على الاقل من شخص كان بداخلها .

ـ تماما !. فوضع الجسم لا نخرج منه الا بهذا الاستنتاج .. والآن لنفحص الغرفة !. ما الذى تراه على هذا الدرج ؟. انها آثار دقيقة من الـ ...

ـ من التبغ .. اليس كذلك ؟!

ـ نعم !. تبغ دقيق كالذى يوجد فى بعض الانواع الفخمة من السجاير

وما رايك فى هذين الصندوقين ؟.

ـ ان غطاء كل منهما وضع على الآخر .. ويخيل الي ان احدهم لخرج من الغرفة على عجل فلم ينتبه الى ذلك الخطل .

ــ ربما !. فالوقت كان لا يتسع لاكثر من الهرب وقد تاكد ان الطلقة سمعها الجميع .

هيا بنا لنفتح الصندوقين . .

واخرج منديله ورفع الغطاءين فى عناية . وقال :

ــ ان السجاير غير مرتبة . والظاهر ان احــــدا اعادها الى الصندوقين فى سرعة عظيمة .

هل حدثت مشادة على مقربة من المكتب ؟. لقد رايت الصندوقين لآخر مرة مغلقين !. هل قتلت هنا ثم وضع الجسم هناك ليوحى الينا بأنها أصيبت من الشرفة .

لا بد أن القاتل فر منها . ودخل احدى الغرفات التى تفتح عليها .

ثم اضاف : وعلى أي الحالات كل ما ذكرته لم يخرج عن مرتبة المفترضات وليس من المستحسن أن نخرج بنتائج حاسمة الآن . والا أخطأنا كما يفعل ابنى الصغير الذى يحاول قدر طاقته ان يحل احدى مسائل الجبر فى اقصر وقت ممكن !. فــلا يظفر الا بجواب خاطىء !.

ومع ذلك ربما تكون قد قتلت وهى فى الشرفة . وتراجعت الى الخلف خطوتين ثم سقطت على ظهرها .

ثم سكت برهة وقال : قــد يفيدنا تقرير الطبيب فى هـــذا الصدد !.

والآن . لنلق نظرة على الشرفة .

ودخل الأربعة اليها بعد أن تخطوا جســد لادونا الممــدد على الارض .

وقال شان : للاسف الشديد لا يوجد صقيع متساقط هنا

فقال وارد : ان (سنج) ينظف دائما النوافذ والشرفات من الصقيع حتى لا يشوه منظر القصر ويزيد فى برودة الغرفات .

ووقف شان يطل من الشرفة . ثم قال :

ــ ارى ان بابين يفتحان عليها .

فقال وارد : نعم فهذه هى غرفة الاستقبال التى لم تفتح بعد ان هجرتنى لادونا .

وحاول شان أن يفتح الباب فوجده مغلقا من الداخل . فقال :

ــ سنبحث كل شيء فى الصباح .

والتفت الى الناحية الاخرى وقال : وهذا الباب ؟.

ــ انه باب غرفة نومى .

ــ لا زال النور موقدا .

ـ أعتقد أن (سنج) أحضر لادونا ومس (ابتون) الى هنا لاستبدال ملابسهما وربما تركنا الحجرة مضاءة

ونظر (شان) من بين ضلف الباب وقال :

ـ نعم انى ارى وشاحا اخضر على الفراش

ـ اظنه وشاح لادونا .

ـ او بعبارة أخرى الوشاح الذى كان يجب ان تمسكه لادونا فى يدها .

وحاول شان فتح الباب فوجده مغلقا !. فقال : والمرحلة الثانية فى التحقيق هى شىء طالما طنطنوا من اجله !. ولو أنه قليل الفائدة

فقال هولت : ما هو ؟.

ـ بصمات الاصابع !. وهو أول شىء يحتاط له المجرمون الآن . .

ـ ليتنى احضرت معى مندوبا من قلم تحقيق الشخصية .

ـ كلا . . شكرا لك !. ان معى كل المعدات .

ودخل الجميع الى الغرفة . وجلس شان على المكتب وهو يفحص المسدس وصندوقى السجاير بعدسة مكبرة . وطلب من (هولت) ان يقضى وقته هو الآخر بالبحث والتنقيب فى الغرفة عله يعثر على شىء .

اما (ديدلى وارد) فانه جلس على مقعده بالقرب من المدفأة . وتناول من السلة قطعة من الخشب ليقذف بها الى النار فصاح به شان :

ـ ضع قطعة الخشب هذه فى السلة ثانية لو سمحت .

فوضعها (وارد) وهو ينظر اليه متعجبا !.

ونهض شارل وهو يقول : لا توجد آثار بصمات على المسدس !. لا بد أن المجرم كان يلبس قفازا فى يديه . كما أن الصندوقين خاليان من البصمات !.

هيا بنا الى الطابق الاول .

وتقدم منه (هولت) وهو يمسك بين اصبعيه شيئا دقيقا لامعا ويقول :

ـ لقد عثرت على هذا الدبوس غائصا فى بساط الغرفة . ولا بد أن احدا وطئه بقدمه .

وتناول شان الدبوس من يده . ونظر اليه مليا ثم قال :

انه من نوع متواضع . . ولا أظنه للادونا .

ثم تركهم فجأة وهو يقول : لحظة واحدة فقط يا سادتى .

واسرع الى الطابق الاول فوجد الجميع مبعثرين على مقاعد البهو وقد خيم عليهم سكون عميق

وما ظهر (شان) حتي نظروا اليه مستفسرين فانحنى امام (جون رايدر) وقال له في رقة :

ـ هل لسيدى ان يسمح بمرافقتي الى مكتب مستر وارد ؟

ونهض صاحب اللحية الشقراء في بطء .. وسار خلفه حتى وصلا الى الغرفة التى ترقد فيها لادونا فقال رايدر :

ـ انني اعجب لم اوليتنى شرف سؤالي على انفراد

ـ سيزول عنك العجب بعد قليل يا عزيزى .

ثم قال بلهجة ذات مغزى :

ـ هل رايت الشريف (دون هولت) قبل الآن

فالتفت (رايدر) الى الشاب وصافحه قائلا :

ـ لم أحظ بشرف رؤيته من قبل .

ـ شكرا لك ..

وقال (شان) : لم يكن في نيتي ان ابقيك هنا طويلا .. واظنك تذكر انني ـ قبيل مقتل لادونا ـ ذهبت الى غرفتك برسالة منها كان جوابك عليها بالرفض .. ولم تقتصر على ذلك بل دفعتني في خشونة الى خارج الغرفة واغلقت الباب من خلفى !. وعلى ذلك ..

ـ وعلى ذلك تريد أن تنتقم .

ـ ليس هذا من دابي يا عزيزى .. وكل ما ارجوه منك أن تسرد علي ما كنت تفعله من اللحظة التى رايتك فيها الى ان .. سمعت الطلق النارى .

ـ انه أمر في منتهى البساطة .. فبعد أن تركتنى ظللت أقرأ في نفس الكتاب الذى رأيته في يدى عند دخولك غرفتي .. وبعد قليل فتحت الباب عندما سمعت أزيز طيارة تحلق على مقربة من القصر .. ولما لم اسمع او ار شيئا حسبت أن لادونا سافرت .. فخرجت الى الدرج ..

ـ لحظة واحدة يا عزيزى ، الم تترك غرفتك منذ اللحظة التى غادرتك فيها الى أن رأيتك على الدرج ؟.

ـ كلا ..

ـ الم تذهب الى اي مكان آخر .. ولا سيما غرفة مكتب مستر وارد ؟..

ـ كلا ؟.

ـ أأنت واثق من ذلك ؟.

ـ انني اعني ما أقول .

ولم يجب شان .. بل ذهب الى المدفأة وقال لدون هولت:
ـ اتسمح لي ان الفت نظرك الى اشياء فاتت عليك في تفتيشك؟
فابتسم هولت وقال: بكل سرور يا « استاذى » .
ـ اليك بقايا خطاب محترق .. وفى ركن الفرنة مظروف لم تأت النار عليه !.
واسرع هولت .. وامسك المظروف فى رفق . ثم رفع بقايا الخطاب بعناية فائقة .. ووضعها على المكتب .
ونظر شان الى المظروف وقال: يمكننا قراءة العنوان ..

ـ نعم .. انه باسم .. باسم .. جو .. ن .. جون رايدر، اليس كذلك ؟. وكتب عليه (خاص ومستعجل) .
ـ انه خط سيدة .
ـ تماما يا سيدى .
والقى (جون رايدر) نظرة سريعة على المظروف .. وقال فى غير تردد: انه خط ايلين لادونا .
فصاح به (شان) فجأة: نعم !. انه خطها .. والمظروف كان مغلقا ومعنونا باسمك .. فاذا به يفتح ويحرق الخطاب !. فمن الذى فعل كل ذلك يا مستر رايدر ؟.
فقال الرجل الملتحى فى هدوء: ومن يدرينى ؟.

ـ لا يوجد رجل او امرأة فى هذا القصر يجسر على فض خطاب مغلق مكتوب عليه (خاص ومستعجل) .. اللهم الا اذا كان هذا الشخص هو انت يا سيدى !.
فنظر اليه وقال ساخرا: لقد قلت لك اننى لم اذهب !.. واذا فرض واننى ذهبت .. فلعلك لم تنس يا سيدى اننى كنت على باب البهو عندما دوى الطلق النارى !
ولم يجبه شان .. بل قال لهولت مبتسما: ان الرحلة ما زالت امامنا طويلة هيا بنا الى الطابق الاول يا عزيزى !.

الفصل الخامس

(الوصية ..)

وهبط الرجال الخمسة الى البهو .. ولم يخل قلب (شان) عندما رآهم من شعور بالشفقة عليهم .. اما (هولت) فانه قال فى تأثر :
ـ انها مأساة أليمة ولا شك !.
ثم اضاف .. موجها الحديث اليهم : انا (دون هولت) عمدة

مدينة (تاهو) وقد حضرت منذ ساعة تقريبا لاجراء التحقيق في مقتل (ايلين لادونا) فوجدت مستر شارلي شان مفتش بوليس هونولولو في القصر .. ولما كان مستر (شان) اقدم مني خبرة .. واوفر قدرة على اتمام التحقيق فانني عهدت اليه به .. واوليته السلطة الكافية لاستجواب أي شخص يرى ضرورة استجوابه .. وبالقاء القبض على من تحوم حوله الشبهات ..

وبالاختصار .. ارى أن تعتبروا مستر (شارلي شان) .. الشريف (دون هولت) ..

وقبل أن يبدأ (شان) في تقديم الموجودين اليه .. فتح باب البهو .. ودخل (سنج) ومن خلفه رجل قصير القامة .. أمسك قبعته بيده عرف فيه (شان) الطبيب الذي استدعاه هولت ..

وانحنى الطبيب أمام الشريف فتقدمه هذا الاخير الى شان وقال:

ـ اذكر للطبيب ما حدث في اجمال حتى يفحص الجثة على ضوء المعلومات التي لدينا ..

ـ حسنا !.. عندما دوى الطلق الناري .. هادما صرح مجد مغنية الأوبرا الذائعة الصيت (ايلين لادونا) كان في هذه الغرفة ستة رجال:

مستر (جون رايدر) .. وقد أدلى بشهادته .. وهؤلاء الاربعة .. وانا ايضا ..

وهم يبتون بالكلام فقال شارلي: أعرف ما تود أن تقوله ؟.

ثم التفت الى (ميشيل) وقال: قد تكون أبعد الموجودين عن هذه الجريمة ومع ذلك فقل لنا معلوماتك لو سمحت

ـ كل ما أعرفه أن لادونا طلبت مني أن اطير الى (تاهو) لأعود بها الى رينو ..

ونظر الى زوجته ـ سيسيل ـ وقال: فانا في الواقع لم احضر الا « للعمل » !.

فقال شان مبتسما: هذا مما لا شك فيه !.

والتفت الى (وارد) وسأله:

ـ متى كانت آخر مرة رأيت فيها لادونا على قيد الحياة ؟.

ـ لقد كنت معي يا سيدي !.

ثم اضاف: لعلك تذكر أنني تركت غرفة مكتبي على عجل لاضيء أنوار المطار بمجرد أن رأينا الطائرة وهي تحلق حول القصر على مقربة من البحيرة.

ولما كانت الانوار لا تضاء الا من صندوق صغير معلق على جدار الحظيرة المقامة عند مدخل المطـار .. فانني اخذت معى المفاتيح وعالجت القفل .. وتمكنت من فتحه فى الوقت المناسب رغم الصدأ الذى كان يعلوه .

ـ فسأل شارلى (ميشيل) : متى سطعت الأنوار لأول مرة ؟ .

ـ حينما كنت احوم حول القصر ..

وقال لوارد : اشكرك كثيرا .. ولو اننى كنت فى غنى عن هـذه الانوار لانتشار نور القمر على المطار

فقال (شان) : حسنا !. لنخرج اثنين من حسابنا .. مستر (دانسلى) ومستر (بيتون) .. اذ ان قلبى يحدثنى بأن احـدا منهما لم يغادر هذا المكان منذ اللحظة التى صعدنا فيها الى الطابق الثـانى الى أن دوى صوت الطلق النارى ..

فقال (دانسلى) : اننى لم اترك هذا المكان !. ولم اتركه ؟. فالقاعة دافئة .. وفى متناول يدى نوع فاخر من الخمر !. ان طيارات العالم لو هبطت جميعها فى هذا المطار لما اغرتنى على الخروج لمشاهدتها.

ـ وهل ظل معك مستر (بيتون) ؟.

فقال دانسلى فى ترو : كلا .. لم يكن معى طول الوقت ..

ولم ينتظر (بيتون) حتى يسأله شان فقال وقد اصفر وجهه وتهدج صوته :

ـ نعم .. نعم !. لقـد رأيتك يا مستر (شـان) وانت تهبط الدرج .. ثم سمعتك تتحدث مع شخص بالخارج .. وبعد قليـل رأيت الدكتور (سوان) وهو يعود مسرعا الى القصر ويقول ان منظر الطائرة كان رائعا فوق البحـيرة وعلى ضوء القمر .. فخـرجت لمشاهدتها .. ولكنى ما كدت أسير قليلا .. واعرج فى الممر الذى يؤدى الى المطار .. حتى سمعت صوتا نسائيا .

فقال شان فى لهفة : ماذا تقول ؟

ـ سمعت صوتا نسائيـا ينبعث من الطابق الثانى !. ولقد تأكدت أنه صوت لادونا !. نعم .. انه صوت لادونا ولا شك !.

ـ ماذا كانت تقول ؟.

ـ سمعتها تحدث شخصا ..

ـ ألم تعرف من هو هذا الشخص ..

ـ كلا !. وكل ما سمعته انها قالت له : « اننى اشعر ببـرد شديد .. الا تسـتطيع أن تحضر وشاحى الاخضر من الفـرفة المجاورة ؟ »

وابتسم شان وقال له فى خبث :

ـ لقد سمعتها تطلب من الشخص أن يحضر لها وشاحها الاخضر من الغرفة المجاورة !. اليس كذلك ؟.

وفهم (بيتون) ما يرمى اليه المفتش فقال : اقسم لك انى سمعتها تقول ذلك !. لقد طلبت منى أن أذكر لك ما سمعته !. فاذا ما ذكرته ابيت ان تصدقنى !.

اعرف انك تؤول كلامى هذا على ..

ـ دعنا من تأويل كلامك الآن !.

ـ اننى لم اقصد ان انقذ أختى بادعاء ان هـذا الشخص الذى ذهب لاحضار الوشاح الاخضر فجاء بوشاح شقيقتى وقتـل لادونا ووضعه فى يدها ليلقى التبعة عليها .. ولكن ...

ـ اكمل شهادتك يا سيدى ودعك من التعليقات عليها

ـ وتابعت سـيرى فى الممر . فرأيتهـا فى الشرفة وهى تلوح للطائرة بمنـديل فى يدها . واقتربت الطائرة من القصر بدرجـة خيل الى انها على وشك الاصطدام به .. وحـامت حوله عـدة مرات .. وبعد ذلك سعلت .. فعلمت اننى خرجت بـلا معطف او قبعة نمدت أدراجى .. وبخاصة ـ ولا تؤاخذنى ـ لست أنا الشخص الذى يلذ له رؤية (لادونا) وهى تلوح بيدها فى جنون الى طائرة يقودها (ميشيل) !.

وقال دانـلى : انه عاد فى الواقع بعد بضع دقائق ..

فقال شان : حسنا .. حسنا !. اننى لم اقصد يا مستر بيتون أن اكذبك فى مسألة الوشاح .. ولكن ...

وكف عن الكلام فجأة !. اذ لاحت منه نظرة الى هولت فوجده يرمق مستر بيتون بنظرة تفيض بالاعجاب !.

فتنهد وقال فى نفسه : يا الهى !. ان المسألة لا تحتاج الى تعقيد جديد !.

واسترسل يقول موجها الحديث الى ميشيل :

ـ وعلى ذلك .. تصبح انت يا مستر ميشيل آخر من رآها على قيد الحياة !. ذلك اذا استثنينا القاتل .

ـ ربما !. ولو اننى لم افكر فى ذلك .

ثم نظـر الى زوجته نظـرة سريعة وقال : حينما درت حـول القصر بطائرتى رأيت سيدة تلوح لى بمنديلها من الشرفـة فهبطت بالطائرة لاتبين من هى .

وتقدمت زوجته نحوه وقالت فى سخرية لاذعة :

ـ هبطت لتعرف من هى ؟. اليس كذلك .

فقال الزوج متصنعا السذاجة : نعم يا عزيزتى ..

ـ لقد كنت تعرف تماما من هي !.
فقال فى رقة : كيف اعرف يا عزيزتى ؟. لقـد حسبتها انت !.
وعلى ذلك اقتربت من الشرفة بقدر ما استطعت .. واخيرا وجدتها لادونا .
ـ كنت تريد ان يدق عنقك من اجلها !.
فقال ميشيل مرتبكا :
ـ كل ما فى الامر اننى درت بضع دورات لاستطيع الهبوط ..
ـ هل كنت تحسب ان المطار فوق سطح القصر .؟
ولما راى ميشيل أن الرقة لا تنفع .. قال فى شىء من الحدة المصطنعة :
ـ انها مهنتى !. واعرف كيف اؤديها على الوجه الاكمل .
وتدخل (شان) قائلا : معذرة يا سيدتى !. كم مرة درت حول القصر ؟.
ـ ثلاث مرات ..
فنظرت اليه سيسيل شزرا .. وقال شان :
ـ وهل رايتها فى المرات الثلاث ؟...
ـ كلا !. فى المرة الاولى فقط .. أما فى المرتين التاليتين .. فكانت قد دخلت ..
ـ وبعد دخولها !. هل تركت الشرفة مفتوحة أم أغلقتها ؟.
ففكر ميشيل قليلا ثم قال : لست متأكدا من ذلك يا سيدى !.
وذهب (شان) بهولت الى احد اركان القاعة وقال له فى صوت خافت :
ـ لقد تقدمنا قليلا !
ـ الا يحسن بنا أن نكتب شهادات هؤلاء ؟
فابتسم (شان) وقال : انها طريقة قديمة يا عزيزى !.
واشار الى راسه الكبير وقال :
ـ ان المفرغات الكبيرة تسع كميات عظيمة ..
وضحك الاثنان . وهم شان بالعودة اليهم . فاستوقفه هولت وساله :
ـ من هي هذه الفتـاة التى ترتدى الثوب الفاتح يا مستر شان ؟.
ـ انها صاحبة الوشاح ذى اللون الفاتح ايضا !. الذى كان فى يد لادونا او بعبارة اخرى ... انها الدرس رقم (٢) !..
وابتسم هولت فى خجل ...

* * *

ارسل (شان) فى استدعاء (سنج) .. فلما مثل العجوز بين يديه قال له :
ـ لعلك آخر من راى جثة لادونا .
فنظر اليه الصينى فى خبث وقال : لقد حضرت بغطاء الكلب.
ـ ما الذى كنت تفعله طول هذا الوقت ؟.
ـ لا اتذكر فى الواقع !
ـ بل يجب عليك أن تتذكر !.
ـ ربما كنت منهمكا فى المطبخ .

واقترب منه (شان) وقال فى شدة : انصت الي ؟. انها جريمة قتل .. هل تسمعنى ؟. فأجب عن اسئلتى بصراحة والا زج بك الشريف فى السجن هل تفهمنى ؟.
ونظر الصينى العجوز الى الشاب وقال :
ـ من هو يا سيدى ؟.
ـ الشريف !!
ـ وماذا كنت تسالنى ؟.
ـ انك تعرف ماذا كنت أسالك .
ـ آه .. لقد رآنى سيدى مستر وارد ، حين كنت أتحدث مع سيسيل
وبعد ذلك غادرت القصر الى المطار .. فطلب منى ان احضر المدام لادونا غطاء لكلبها ..
فقال شان : صبرا لحظة واحدة .
والتفت الى وارد الذى قال : نعم . نعم . لقد فهمت ان سيسيل لا تريد ان تحضر الغطاء للادونا . وأردت من ناحية أخرى أن أتجنب حدوث مشادة جديدة بينهما . فطلبت من (سنج) أن ينوب عنها فى هذه المهمة .
وقال الخادم العجوز : وبعد ذلك عدت الى القصر . وكان الكلب ينبح فى ذلك الوقت . وسمعت السيدة تنادينى فاسرعت اليها فى غرفة المكتب وقالت لى : « لم ينبح كلبى ؟. هل قدر (لشقائى) أن ينتهى ويموت ؟. سنج !. دثره فى غطائه بعناية ودلك اطرافه »

وخرجت من الغرفة .
فسأله شان : وكانت الطائرة قد هبطت فى ذلك الوقت الى المطار .. اليس كذلك !.
ـ نعم ...
ـ وكيف عرفت أنها هبطت ؟.
ـ لأن محركها كف عن الازيز .

ـ وبعد ؟.
ـ ذهبت لاحضار الغطاء .
ـ من الطابق الثالث طبعا . .
ـ نعم !.. ثم عدت فوجدتكم ملتفين حول جثة لادونا !. انها مسكينة حقا .

وقد نطق بهذه الكلمات الاخيرة فى لهجة خالية من التأثر او العاطفة .. كصوت قس يرتل انشودة الجنازة لمجرد انجاز واجب عليه .

وقال شان فى ارتياح كبير : اشكرك كثيرا .. يكفى هذا القدر الآن . .

ثم قال لمستر رومانو : يؤسفنى ان اعلق اهمية كبيرة على سؤالك عما كنت تفعله فى النصف ساعة التى سبقت الطلق النارى .

وهتف رومانو بعينين كعينى الطفل البرىء : انا ؟

ـ نعم .! لقد رأيتك آخر مرة وانت تذرع غرفتك جيئة وذهابا فى حدة واضطراب .. فما الذى فعلته بعد ذلك .؟

ـ اننى اذكر ما حدث .. نعم اذكره فقد كنت افكر فى عمل كشف لمستر (بيتون) بما يجب وبما لا يجب ان تعمله لادونا .

ـ وهل انجزت هذا الكشف ؟

ـ كلا .! كتبت جانبا منه فقط .. فقد علمت بعد خروج مستر وارد وخروجك فى اثره أن لادونا لا بد أن تكون بمفردها فى غرفة المكتب فانتهزت هذه الفرصة لمقابلتها .

ثم اردف فى تردد : والآن !. لقد حان موعد الكلام عن .. عن وصيتها ماذا اقول ؟.. سوى اننى تحطمت يا سيدى !. وما فائدة الكلام الآن ؟!

لقد كانت لادونا ـ عندما دخلت الغرفة ـ جالسة على المكتب .. تمهر خطابا امامها بامضائها .. وتضعه فى مظروف .. فانتظرت قليلا حتى كتبت العنوان واغلقت المظروف .

وبادرتنى هى بالحديث قائلة :

ـ اننى بدورى فى ضائقة مالية شديدة يارومانو .. فاسهمى وسنداتى هبطت قيمتها واصبحت لاتدر ربحا كافيا !

فقلت لها : اذا كان الأمر كذلك فمن المستحيل عليك ان تسعى للزواج من رجل معدم مثل (بيتون) .. يضيف عليك عبئا جديدا .

لادونا !. انك زوجتى .. فلم لانظل معا نتحمل حلو الحياة ومرها . ! لادونا انك تعرفين قدر حبى لك ياعزيزتى .

ثم قال فى استعطاف : ارجو ان تعفينى يامستر شان من ذكر بقيــة مادار بينى وبينها .! ان اعصابى لاتحتمله .

ـ ساعفيك .. ولكنى اريد أن اعرف جوابها عليك .

ـ لم يكن مرضيا بطبيعة الحال ! . فقد اقبلت الطائرة فى هذا الوقت .. وما سمعت أزيزها .. حتى وثبت واقفة !. واندفعت فى جنون الى الشرفة وهى تقــول : قابلنى فى رينو .. فربمــا ساعدتك .!

فقال له شان : وماذا فعلته بعد ذلك . ؟

ـ انا ! لقد خرجت من الغرفة ذليلا كسير القلب وعــدت الى غرفتى .. واغلقت بابها ثم جلست بجوار النافذة مهموما أتأمل النجــوم وقد شحبت بعــد أن اخجلت اشعة القمر بصيصهــا الحائر ! . وبدا لى أن كل مافى الكون حزين يائس مثلى .

ولبثت كذلك أفكر فيما أسديته اليها من ..

ـ نعم .. نعم .! واخيرا سمعت الطلق النارى ، اليس كذلك ؟

ـ تماما ياسيدى .

ونظر اليه شان نظرة فاحصة وسأله : لقد كنت الى آخر لحظة الزوج الشرعى للادونا فهل ترث بموتها شيئا ؟

ـ كلا يا سيــدى !. لقد أوصت بكل ما تملكه الى مستر بيتون !.

وفوجىء شارلى بهذا القول .. ونظر الى مستر « بيتون » مستفهما .. وسأله : هل سمعت بهذه الوصية ؟

ـ نعم . وقد نهرتها مرارا وطلبت منها أن تعدل عنها

ـ وأنت يا مس بيتون ؟ .

ـ لقد سمعت عنها أنا الأخرى ! .. ولم اكترث لذلك بطبيعة الحــال ..

فقال شارل لرومانو : اننى أرثى لك ياعزيزى ! . فقد فقدت زوجتك ومالك .. وكل شىء فى الحياة ! . هل استطيــع أن اطلع على الكشف الذى أعددته لمستر بيتون ؟ .

ـ لقد أخبرتك أننى كتبت جانبا منه ياسيدى ..

ـ أين هو ..

ـ انه فى .. أقصد فى غرفتى .. هل اذهب لاحضاره ؟

فقــال شان كلا !. كنت تريد أن تقــول انه فى جيبك ! . فأرنى ماتحتــويه جيوبك والا اضطررت أن أكلف نفسى مشقــة تفتيشك .

واخرج رومانو من جيبه رزمة من الأوراق المالية وضعها على مائدة صغيرة امامه وقال :

ـ اليك ما فى جيوبى !. ولا اظنك ياسيدى تحمل انسانا قسرا على ان يعترف لك امام الغير بأن زوجته أعطته على سبيل « الاحسان » مبلغا من المال ! .

لقد خجلت من ذكر ذلك .. وطلبت منك ان تعفينى من سرد كل ماجرى بينى وبينها ! .

ـ متى أعطتك لادونا هذه النقود ؟

ـ لقد قذفت بها على الأرض فى ازدراء وهى تهرول الى الشرفة حينما أقبلت الطائرة ! .

ثم أجهش بالبكاء والقى بنفسه على مقعد قريب وهو يخفى عينيه براحتيه ! .

ونظر اليه شان نظرة لاتخلو من الشفقة وقال له وهو يتناول الأوراق المالية : اشكرك كثيرا على صراحتك .. ويؤسفنى أن أجد نفسى مضطرا الى ابقاء هذا المبلغ حتى الانتهاء من التحقيق .

والتفت المفتش فجأة الى الدكتور سوان وقال له :

ـ هل تسمح بأن تذكر لى مافعلته بعد أن قابلتك خارج القصر ؟ .

ـ ليس لدى ما أقوله سوى أننى حضرت الى هنا وحدثت بيتون ودانسلى قليلا .. ثم ذهبت الى غرفتى لأننى كنت عازما على السفر فى أقرب وقت ممكن .

ـ تريد أن تقول أنك نسيت شيئا فى غرفتك اردت أن تأخذه قبل سفرك .؟

ـ كلا .. فقد كان معى معطفى وقبعتى .. ولم أحضر معى حقيبة أو شيئا من هذا القبيل اذ لم يكن فى عزمى ان أقضى الليل هنا .

ـ لماذا ذهبت الى غرفتك اذن ؟ .

وتردد (سوان) قليلا ثم قال : ساكون صريحا معك ياسيدى .. لقد توقعت أن يأتى (ميشيل) الى هنا ـ وقد كان سائق سيارتى الذى أحبته لادونا ـ ولما كنت أمقت رؤيته .. فقد فضلت أن أصعد الى غرفتى .

فقال ميشيل ساخرا : وانا لا انام الليل من اجلك ! .

فقال سوان فى احتقار شديد : صه يارجل ! . وتأدب حينما تخطىء المقادير وتضعك بين طبقة اعلى من طبقتك .

ونهض ميشيل .. واتجه اليه فى غضب فصاح ادون هولت؟ اجلس !

وصدع الطيار بأمر الشريف وجلس فى مكانه وقال (شان) :

ـ لنتكلم فى هدوء .. لقد صعدت الى غرفتك يامستر (سوان) لنتجنب مقابلة (ميشيل)

ـ وبعد ذلك اغلقت بابها .. ووقفت فى الشرفة اشاهد الطائرة وهى تهبط . وكان فى نيتى ان اظل هناك حتى ارى بعينى لادونا وهى تعود الى (رينو) . فانجو من (مصيبة) النظر فى وجه هذا السائق ! .

فقال ميشيل ساخرا : تريد ان تقول انك كنت وقت حدوث الجريمة فى مكان آخر !. اليس كذلك ؟ . ولكن من يعلم سوء معاملتك للادونا المسكينة ابان سبع سنوات طوال لايستبعد انك أول من يسعى لقتلها .

فصاح سوان : صه ! . انك كاذب وقح ! .

فقال ميشيل مهددا : انني اشفق عليك من ذكر الحقيقة .

فارتجف (سوان) غضبا وقال : اى حقيقة تعنى ؟

شان !. اقصد مستر شا ن!. اخرج هذا الرجل من هنا والا حطمت جمجمته .

وهم (هولت) باخراجه ؟لولا ان منعه شان فى لطف وقال فى هدوء غريب : اى حقيقة تقصدها يامستر ميشيل ؟.

ـ لقد كان يهددها . ويبتز منها المال ! . وكانت المسكينة تدفع له كل شهر ما بين الفين وخمسة آلاف دولار . وحاولت عبثا أن أعرف سر خضوعها لرغباته ! .

وطلقت منه . ولكنها رغم ذلك ظلت تدفع له كل شهر هذا المبلغ العظيم ! .

واحمر وجه سوان غضبا .. وضاقت جبهته .. وجحظت عيناه .. ثم قال من بين أسنانه : وأنت كذلك لست فوق الشبهات .

ـ انا ؟ ! تكلم ياعزيزى كما شئت ! . فما انا الا طائر مرح برىء لا وطن له الا بين السحاب !

ـ وزوجتك ؟ . اهى الأخرى طائرة بريئة لاوطن لها الا بين السحاب ؟ كلا ياعزيزى ! . فوطنها هناك على درج الطابق الثانى حيث كانت تحوم حول غرفة مكتب مستر (وارد) !. ولا يوجد دافع للقتل اقوى من غيرة النساء .

اين كانت (سيسيل) عندما دوى الطلق النارى ؟ . تكلم ! . تكلم ياعزيزى ؟
فقال شان :
ـ سيأتى دورها يادكتور سوان . . فهون عن نفسك :
فهتفت سيسيل : اننى لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع ..
فقال شان : اسمحى لنا ان نلقى عليك بضعة اسئلة فقط !.
ـ بكل سرور ياسيدى ..
ـ لقد رايتك آخر مرة حينما كلفك مستر (وارد) باحضار غطاء للكلب .. فهل ذهبت فعلا لاعداده ؟ .
ـ كلا ! ..
ـ ولم ؟ ! ..
ـ لم يرقنى هذا العمل .. أو بعبارة ادق ..
ـ لقد فهمت ياسيدتى ! . انت حاقدة عليها ؟ .
ـ ولم لا ؟ . لقد سمعت ازيز الطيارة .. فعلمت ان ميشيل قد حضر الى تاهو ليطير بها تحت ضوء القمر .. ولما كنت اعرف ان زوجى مجنون ..
وقال ميشيل مقاطعا : لن ننتهى من اسطورة (لادونا) ابدا ! .
واسترسلت سيسيل قائلة : خرجت وانا مصممة على احضار الغطاء وقد صارحت مستر وارد عندما رايته عند الدرج اننى لا أريد ان احضر لها شيئا فقال : « انى اعجب اين سنج الآن » ثم تركنى مسرعا .. واظنه كلفه بذلك
وذهبت الى المطبخ .. وهناك سمعت ازيز طيارة ميشيل وهو يجازف بحياته فى الدوران حول القصر كالنحلة « البلهاء » !.
وشعرت برغبة ملحة فى لومه . وانتظرت عند الدرج . ولكننى وجدتك بصحبته انت ومستر وارد . فعدت ادراجى . وصعدت الى الطابق الثالث حيث يجب أن اكون . وفى نيتى ان اكلف (سنج) باستدعاء ميشيل .
الا انه فى أثناء صعودى الدرج ! . استبدت بى ازمة نفسية حادة . وانفجرت فى البكاء ! . نعم ياسيدى . فقد تصورت ميشيل وهو يجازف بحياته ومستقبله بالاقتراب من القصر بالطائرة فى جنون . لا لسبب سوى أن ينال اعجاب هذه المرأة التى هى فى الواقع ملك الجميع .
وصاح بها ميشيل : انك مجنونة حقا ! .
ـ انا ؟ ربما !. على اى الحالات لن اتحدث عن امراة ماتت وصعدت روحها الى السماء ! .

ثم التفتت الى (شان) وقالت : وجففت دموعى . ثم تابعت صعودى . واذ ذاك سمعت الطلق النارى يدوى فى قوة شديدة ! .. و .. وهذا كل مافى الامر ياسيدى .

وتقدم (هولت) من (شان) وهمس فى اذنه :

ـ الست فى حاجة الى الدبوس الذى ..

ـ نعم . نعم . أين هو ؟ .

ـ فى جيبى .

وناوله (هولت) الدبوس الذى عثر عليه مفروسا فى بساط الغرفة . فعرضه شان على سيبيل قائلا : الم ترى هذا من قبل ؟ .

فنظرت اليه نظرة سريعة وقالت : لم اره ابدا ياسيدى .

فاراه لميشيل قائلا : وانت الآخر .. الا تعرفه ؟

ـ انا ؟ ! كلا ياسيدى ! ولم تسألنى هذا السؤال ؟

ووضع (شان) الدبوس فى جيبه فى صمت وقال لهولت بصوت خافت :

ـ مراحل تقليدية يجب ان نتبعها . ولكننا سنصل سريعا الى النهاية .

ثم اضاف وهو يتلفت حوله : بقى شخص واحد ..

فنهضت (لسلى بيتون) وقالت : نعم ! انه انا ؟ .

وتقدمت نحو شان بقامتها الطويلة الفاتنة ومشيتها الرشيقة .. وقالت فى هدوء : نعم ياسيدى ..

وكان (هولت) يلتهمها بنظره التهاما .. وبلغ به الاعجاب مبلغا اعجزه عن كبت شعوره فقال : اننى آسف جدا يا آنسة ..

فابتسمت له ابتسامة ودية رائعة وقالت :

ـ ان مثل هذه الامور كثيرة الوقوع ! .

انك ـ يامستر شان ـ تريد أن تعرف مافعلته هنا هذه الليلة .. اليس كذلك . ؟

فقال (هولت) فى رقة : ليس من الضرورى ان تظلى واقفة يا آنسة .

ورفع بيده اليمنى احد المقاعد الثقيلة وهو يقول لها :

ـ تفضلى بالجلوس .. فكل ذلك لاتمام الاجراءات :

ورفع شان يده اليمنى ووضع على جبهته ثلاث اصابع منها دون أن يلاحظه أحد سوى هولت الذى ابتسم فى ارتباك ونظر اليه نظرة معناها :

« نعم !؟ انه الدرس رقم . (٣) .. لقد فهمت ! »

وجلست الفتاة .. وقالت فى لباقة : كنا نجلس هنا .. فلما سمعنا ازيز الطائرة كنت اول الموجودين فى الاسراع لرؤيتها وهى تهبط .. فاخذت معطف اخى واسرعت الى خارج القصر .. وشاهدت الطائرة وهى تهبط الى الارض .. ولولا اننى كنت فى هذا الوقت متضايقة لأمر ما .. لسرنى المنظر كثيرا .

وبعد قليل .. اقبل الدكتور (سوان) فتبادل معى حديثا قصيرا وعاد الى القصر . واظنه قابلك أثناء عودته . اما انا . فقد لبثت فى مكانى ..

ـ وكم لبثت هناك ؟ .

ـ برهة وجيزة .. حتى رايت الطائرة وهى تدور حول القصر فى سرعة غريبة .

ـ هل رايت لادونا فى الشرفة ؟

ـ كلا .. فأشجار الصنوبر ـ فى المكان الذى كنت فيه ـ تمنعنى من رؤية غرفة المكتب .

ـ حسنا ! . وبعد ذلك ؟ .

ـ شعرت ببرد شديد من ناحية ، وفضلت أن أعود الى القصر لعلمى بسفر دانسلى واخى مباشرة بعد سفر لادونا من ناحية أخرى . فاسرعت لاشعر بشىء من الدفء .. فوجدتهما فى البهو .. واذ ذاك تابعت طريقى الى غرفة نوم مستر (وارد) حيث تركت وشاحى .. وجلست أمام المرآة لاضع قليلا من « البودرة » على أنفى الذى احمر من البرد .. وارتب شعرى الذى عبث به الهواء .

ـ معنى ذلك انك قصدت الى الحجرة التى تجاور غرفة مكتب مستر وارد .

فارتجفت الفتاة قليلا ولكنها قالت فى شجاعة :

ـ نعم .. وما كدت أجلس أمام المرآة حتى سمعت الطلق النارى

فقال شارلى : لحظة واحدة يا آنسة .. ألم تسمعى قبل ذلك حديثا فى الغرفة المجاورة او مشادة بين لادونا وبين شخص آخر ؟

ـ كلا ياسيدى ! . فلا يوجد بين الحجرتين باب مشترك .. بل يفصلهما جدار سميك .

فهز (شارلى) رأسه مؤمنا ولم يجب .

وقالت لسلى بيتون : وبعد ذلك سمعت هرجا ومرجا ووقع أقدام فى البهو فخرجت لاستطلع الأمر .

ـ وما رايك فى هذا الوشاح الذى وجدناه فى يد القتيلة ؟ ما سبب وجوده هناك ؟

ـ وشاحى كما اخبرتك .
ـ وكيف تعللين وجوده فى يدها .
ـ اننى حائرة يا سيدى .؟
ـ وهـذا الدبوس . ؟
ـ انه دبوسى طبعا .
وقال هولت فى صـوت غائر : دبوسك ! ؟ ياالهى . . اننى انا الذى عثرت عليه ، ولم يكن نظرى قد وقع عليك بعد .

فصاح شان : لسنا فى حفلة تعارف . ! وانت يامس لسلى ، كيف تعللين وجود الدبوس فى غرفة المكتب ؟

فقالت فى تؤدة انه امر بسيط .، فهذاهو الدبوس الذى اثبت به الوشاح فى ثوبى ، ولا شك اننى خلعته مع الوشاح ووضعتهما فى غير اكتراث بغرفة نوم مستر وارد .

ـ ولكن هذا لا يجلو غموض النقطة التى سالتك بصددها ، وهى السر فى وجود وشاحك ودبوسك على مقربة من القتيلة ؟

ورفعت الفتاة حاجبيها الرفيعين فى يأس ولم تجب .

فقال شان : ان صمتك يعقد الأمور يا آنسة . .

ـ وماذا اقول ؟ . ربما كان التعليل الذى ذكره لك اخى صائبا . .

ـ انه لايكفى : . . ولا يجعلنى اصدق ان . .

واصفر وجه الفتاة وقالت فزعة : هل تعتقد حقا ياسيدى اننى قتلت لادونا ؟ . يا الهى . اذا فرض ان لدى هذه القسوة والوحشية . . فباى دافع اقتلها ؟ . . هل اغار منها او عليها ؟ . . او اطمع فى مالها ؟ لا هذا ولا ذاك .

وقال الدكتور سوان فى صوت اجش اننى اعرف الدافع .

فقالت الفتاة فى هدوء

وما هو ؟!

ـ معذرة !. فهذا ما يمليه على ضميرى . . الا تتذكرين الكلمات التى قلتها لى ونحن نشاهد الطائرة وهى تحوم حول القصر ؟ .

ـ كلا !. اننى لا أتذكر شيئا . . ولكن قل مايحلو لك .

ـ ألم تصرحى بكراهيتك الشديدة للادونا ؟ .

ـ نعم ! . فربما كنت اكرهها .

فقال سوان فى ابتسامةخبيثة : لعلك تذكرين ايضا انك ختمت كلامك بهذه العبارة : « اننى اتمنى لهذه المراة الموت العاجل ! ».

الفصـــل الســادس

الساعـه الثالثـه صبـاحا ..

بعد ان نطق الدكتور (سوان) بعبارته الأخيرة .. خيم على الجميع سكون عميق .. بدده مستر (بيتون) بصـوت كالرعـد قائلا :

ـ انك رجل وغد ! .

فقـال (سوان) فى هدوء عجيب : مهلا ياسيدى . اننى لم أقل الا الصدق اليس كذلك يا مس بيتون ؟ ! .

فقالت الفتاة فى صراحة : نعم ..

وقال شان : اننى آسف لتطور الموقف يا آنسـة .. اذ اصبح من الضرورى جدا أن نعرف اذا ..

فقاطعه (هولت) قائلا : بل اصبح من الضرورى ان يستجوب كل فرد على انفـراد . اذ ليس من الجائز أن نحرج الآنسـه أمام الجميع .. الا توجد غرفة اخرى فى القصر يامستر وارد !

فنهض (وارد) وهو يقول :

ـ نعم . يمكنكم الذهاب الى قاعة الطعام .

وقال هولت هيا بنا يامستر شان .. وأنت أيضا يا مس بيتون .

قال شان : وليتفضل الدكتور سوان ومستربيتون بمصاحبتنا كذلك وقادهم (وارد) الى غرفة الطعـام ثم اغلق الباب وانصرف.

❊ ❊ ❊

وقال هولت فى صوت عطوف للفتاة

ـ لم اشأ أن اجعل من استجوابك مشهدا عاما

فابتسمت الفتاة وقالت فى رقة : لا ادرى كيف اشكرك ياسيدى

ـ مس بيتون ! . ان الأسف يغمرنى لأنى اجد نفسى مضطرا الى مضايقتك .. ولكنك تفهمين حقيقة موقفى ولا شك

وصاح بيتون : تكلمى . اكذبى ! . فالصدق لاينفع .. ادعى انك كنت تشاهدين جمال الطبيعة ومنظر الطائرة وهى تحوم حول البحيرة ! .

وحاولى ان تلقى التهمة على غيرك كما يفعل البعض

فقالت الفتاة : هدىء من روعك ياعزيزى ! .

وقال شان : انه أوفق اقتراح !. فمس بيتون هى التى يجب ان تتكلم الآن دون سواها !. لم كنت تتمنين موت لادونا يا آنسة

ـ انها قصة طويلة ياسيدى . الخصها لك فى بضع كلمات !
وهى اننا اسرة متوسطة الحال . لا امـل لها فى الحيـاة الا اخى بيتون . الذى اكتشفنا فيـه اخيرا مقدرة على الفناء . وبذل ابى وامى كل مايملكان من مال لتعليمه . فاخذ يتنقـل بين نيويورك وروما وباريس حتى اذا ما انتهى من دراسته الفنية . واصبح على ابواب المجد . اختطفته لادونا فانسته امه واباه ! . بل انسته امله الذى بسعى لتحقيقه . واذا به يهجر الفناء . وينسى ما تعلمـه ويسهر الليل من اجلها حتى كاد يفقد صوته وهو الثروة الوحيدة التى يحيا من اجلها !.

واخيرا ! . سمعت عن رغبتها فى الزواج منه ! . فطـار لبى شفقة على ابى وامى .. اللذين رضيا بشظف العيش من أجل بناء مستقبله . وآليت على نفسى ان ابذل كل ماقى وسعى للحيلولة بينه وبين هذا الزواج . لأننى كنت واثقة من انها ستطرحه بعد قليل من وراء ظهرها .. وتأخذ غصنا أخضر يانعا وترميه عـودا من الحطب جافا لا خير فيه ! . كما فعلت مع مستر رومانو . الذى كان فى يوم من الايام اكبر (مايسترو) فى نيويورك وباريس وهـو الآن يتسكع فى الطرقات ويستجديها فتعطيه بضعة دراهم فى انفة واشمئزاز .

واخيرا .. حينما اقبلت الطائرة . وخرجت لمشاهدتها .. لم اطق النظر اليها حينما علمت ان زوجة اخى المقبلة . تذهب علنـا وامام الجميع مع أحد عشاقها .. وبيتون لا يقوى على مجـرد الاحتجاج ..

فصاح بيتون : لقد كانت عودة بريئة ! . وما فائدة كل هـذا الكلام الآن ! . أتعودين الى النغمة القديمة التى طالما ضربت عليها من اتهامى بالضعف والاستكانة ؟ . حاولى اولا أن تبرئى نفسك ! ثم ..

ـ كفى يا بيتون .. لقـد ماتت . ولن اتحدث عنها بعدالآن !. وما ذكرت ذلك الا لأبين لمستر (شا ن) حقيقة شعورى من ناحيتها

والتفتت الى المفتش وقالت : أما عن تعليـل وجود وشاحى فى يدها .. ودبوسى ملقى على بساط غرفة المكتب .. فهـذا أمر لايغيب عنك ! . ان احدا دخل غرفتى ووضع هذين الشيئين فى الفرفة التى قتلت فيها لادونا حتى يلقى التهمة على ! .

ولا يقدم على هذاالعمل الا شخص يعرف مدى كراهيتى لها . ويجد فيها مبررا لاتهامى بالقتل ! .

قالت ذلك ونظرت الى الدكتور سوان ، كما نظر اليه شان وهولت !

وقال دون هولت فى شىء من الحنق : لاشك ان فى هذه النظرية جانبا كبيرا من الصحة . نعم ! . لقد فهمت الآن سر ..

فقاطعه شان بقوله : حقا . حقا لك ان تذهبى الآن الى الغرفة الاخرى يا آنسة . ولكنك ينبغى ان تعلمى انك فى موقف خطير ، حتى نهتدى الى وقائع جديدة تحسن من موقفك .

وثقى انه يسرنى جدا ان اتمكن من انقاذك ..

ثم اردف :

ـ لاننى فى الواقع احب الشريف دون هولت .

فقال هولت متعجبا : وما علاقة دون هولت بذلك ياسيدى ؟.

ـ انه سر جديد سأسعى الى معرفته .

وابتسم شان ! . كما ابتسم كل من هولت والفتاة فى خجل شديد ! .

وانقذ شان الموقف بقوله : ليسمح لى سادتى لحظة واحدة مع الشريف .

ولما خرج الجميع من قاعة الطعام الى البهو .. قال شان لرفيقه :

ـ لقد استجوبنا الآن كل من كانوا فى القصر وقت وقوع الجريمة .. ومع ذلك لم ..

ـ لم نخرج بنتيجة ما .. فالدكتور سوان وروماتو كانا فى غرفتيهما وقتما سمعا الطلق النارى .. وسيبيل كانت على الدرج .. وسنج بالمطبخ .. ومس بيتون تضع قليلا من « البودرة » على انفها .. و ..

ـ ان احدهم يكذب علينا ..

ـ نعم .. ربما كان روماتو . !

ـ لقد اعترف بمسألة الاوراق المالية .. فهل هى التى اعطتها له ؟ . ام انه قتلها فى سورة غضب واستحوذ على المال من حقيبتها ؟. كلا الفرضين محتمل .. وعلى اى الحالات فليس لديه برهان قاطع على انه كان بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها .

ـ والدكتور سوان !. اننى اكرهه .

وابتسم شان قائلا " الدرس رقم ٤ ! . ومع ذلك فموقفه لا يفترق عن موقف روماتو .. والعجيب ان لدينا الآن خمسة اشخاص لا يقل موقف احدهم سوءا عن الآخر .. وهذا مما يعقد

المسألة تعقيدا كبيرا .. والآن وقد امسينا فى ساعة متأخرة من الليل .. فيحسن ان ننصح كلا منهم بان يأوى الى فراشه.

ـ واذا حاول أحدهم الفرار ليلا . ؟

ـ هذا هو ما أتمناه ! . فسيكون فراره قرينة على اجرامه !. ولا اظن ان القاتل قد تبلغ به الحماقة الى هذا الحد !.

وتوقف شان من الحديث فجاة وصاح : لقد نسيت شخصا سادسا ! .

ـ من هو ؟ .

ـ الطاهية البدينة !. لقدرأيتها وهى تداعب الكلب . ولكنى . نعم ولكنى لا اقول أن لها علاقة بالقتل . بل ربما كان لديها من المعلومات ما يفيدنا !. سأتركك الآن لاذهب الى المطبخ الا اذا آثرت مرافقتى .

ـ هيا بنا ..

وذهب الاثنان الى المطبخ . فوجدا الطاهية مستلقية على مقعد كبير بجانب الفرن وقد استغرقت فى نوم عميق .. فابتسم شان وقال :

ـ دليل البراءة وهدوء البال .

ثم انحنى عليها وقال فى رقة : آسف لازعاجك يا سيدتى .. واستيقظت الطاهية . ثم وثبت واقفة وهى تفرك عينيها براحتيها وتقول :

ـ أواه ! . أين انا الآن ؟ .

وتقدم (هولت) منها وقال : سأشرح لك الامر يامسز ..

ـ افريل ياسيدى ..

ـ مسز افريل .. أنا الشريف دون هولت .. وزميلى هو مستر شان مفتش بوليس هونولولو .

فنظرت المراة اليهما فى فزع وقالت فى لهجة تبعث على الضحك ! رحمتك ياالهى ! . وهل جاء مستر شان من هونولولو بهذه السرعة ؟. أم اننى نمت على هذا المقعد اسبوعا . ؟

فانحنى شان وقال : نعم .. لقد كنت هنا هذا المساء .. وكان من حسن حظى ان تذوقت طعامك السائغ الشهى

فابتسمت الطاهية .. وفركت يديها فى خجل واطرقت براسها الى الارض وقالت : شكرا لك ياسيدى ..

ـ لاشك انك تعرفين ماحدث هذا المساء ؟ ..

ـ نعم .. ولكنى لا اعلم شيئا عنه .

ـ ولا أنا أيضا ! . واود ان تمدى لنا يد المساعدة للاهتداء الى القاتل ..

ـ أنا ؟! . هل يمكننى مساعدتك حقا ؟

ـ نعم .. بالأجابة عن اسئلتنا فى صراحة ..

ـ ولكنى كنت منهمكة طوال الوقت فى اعداد هـذه الوليمة . فلما انتهيت منها . ابتدات فى غسل الصحاف حتى كدت اموت تعبا . ولاسيما أن (سنج) اللعين . لم يساعدنى الليـلة فى شيء ابدا ! . وكان وجهه الأسود يظهر كالمحاق برهة قصيرة ثم لايعود !.

ـ ماذا كان يفعل اذن ؟

ـ وانى لى أن اعلم ياسيدى ؟.

ـ حسنا ! . اين كانت الطائرة حينـما سمعت ازيزها للمرة الاولى ؟ .

ـ لا استطيع ان اخبرك بالضبط . ولكنها كانت فوق البحيرة على اى الحالات . وفى هذا الوقت جاء مستر وارد بنفسه وسالنى عن (سنج) فأخبرته انه تركنى منذ برهة وذهب الى ناحية الباب الخلفى . فانصرف مسرعا . وجاءت فى اثره (سيسيـل) وكانت غاضبة لسفر مدام لادونا مع زوجها وبعـد ذلك راح الكلب ينبح نباحا شديدا عندما اقترب ازيز الطائرة .. حتى اضطررت الى أن اضمه فى صدرى كما لو كان المنكود طفلى الصغير !.

ـ وسيسيل ؟

ـ لبثت خارج المطبخ كأنها تنتظر احدا .. ثم رايتـك انت ومستر وارد والطيار . وكنت اداعب الكلب .. ولم اسمع صوت سيسيل وهى تحدث زوجها .

ـ حسـنا يا مسز افريل . يمكنك ان تذهبى الى فراشـك الآن ، وسنترك هذا الكلب تحت رعايتك فلن يجد من هو ارفق به منك .

ـ شكرا ياسيدى .. ساذهب الى فراشى ولكنى لن اغمض عينى حتى تضعوا ايديكم على هذا القاتل الأثيم .

العاقل من نكتسب فى وقت فراغه ما ينفعه فى عمله . ولا يوجد ماهو انفع من التريث والتؤدة . والا كنا كالابلة الذى يشرب الشاى ـ فى عجلته ـ بالشوكة ، خشية ان يضيع وقتا فى البحث عن الملعقـة ! .

فضحكت المراة البدينة .. وانصرف شان وهولت بعـد ان حيتهما بابتسامة عريضة وانحناءات متعددة براسها !.

ولما اقتربا من الدرج قال شان : لا استبعد اننا فدمنا كثيرا من سؤال هذه المراة ..

اتظن ذلك ؟ .

ـ ولم لا ؟. فمن يصطاد فى ماء عكر لايعرف الكبير من الصغير قبل ان يجذب صنارته

وقال هولت وكأنه تذكر شيئا : هيا بنا الى غرفة المكتب ! لقد نسيتما الطبيب .

واسرع الاثنان الى الطابق الثانى . فوجدا الطبيب جالسا على احد المقاعد وقد اغلق حقيبته . وراح يدخن سيجارته وهو ينظر الى سقف الغرفة .

وما رآهما الطبيب.. حتى نهض لاستقبالهما ، فقال له شان :

ـ لقد انتهيت من فحص الجثة على ما اعتقد ؟

ـ نعم ! . ولو ان الطبيب المختص سيعيد فحصها من جديد ! مسكينة هذه المراة ! . لقد كنت اعرفها من زمن بعيد ! . فاذا بها تهجر زوجها الأول وتعود اليه .. لـ .. لتموت ! .

ـ هل فحصت الجرح ؟ .

ـ نعم !. انها قتلت برصاصة دخلت الى عمق اربع بوصات . والعجيب أنها أصيبت تحت الكتف من الأمام . واتجهت الرصاصة الى أسفل فاصابت القلب .. ومعنى ذلك . ان القاتل كان فى مكان أعلى منها .. أو ربما كانت المسكينة فى ذلك الوقت راكعة على ركبتيها .

فقال شان : ربما ..

وكانت عيناه نصف مغمضتين . والناظر اليه يحسبه على وشك أن يستأذن للذهاب الى الفراش ! . فنظر الطبيب الى هولت وقال له :

ـ لن يتيسر لنا ان نحدد عيار الرصاصة الا فى الصباح .

فقال هولت : لقد وجدنا المسدس الذى ارتكبت به الجريمة

وتقدم شان من الطبيب وقال : لحظة واحدة ياسيدى.. هل ماتت لادونا بمجرد اصابتها ؟ . ام كان من الممكن أن تخطو خطوة او خطوتين الى الخلف وتسقط على ظهرها ؟ .

فقال الطبيب : استطيع فى الصباح أن ..

وفى هذه اللحظة دخل ميشيل .. وقال : سيدى ! . هل هناك ما يستدعى استبقائى ؟ . اذ كان يجب على ان اكون فى (رينو) منذ ساعات ..

ففكر (شان) قليلا وقال : نعم .. تستطيع ان تسافر ..
ـ شكرا لك ياسيدى ..
وانصرف ميشيل على عجل .. والتفت (شان الى الطبيب) وقال له :
ـ الا تستطيع ان تكون ولو فكرة عامة عن طبيعة موتها ؟.. وهل كان من الممكن أن تتحرك بعد ان اصيبت بالرصاصة ..
ـ سيكون جوابى اكثر دقة فى الصباح بعد تشريحها . اما الآن فبوسعى ان أرجح انها تحركت بعد اصابتها ..

ثم أرسل دخان سيجارته وظل يتتبع حلقاته المتلاحقة بنظره ثم قال بعد قليل : ولكن .. لا يبعد ان ..
وسمعوا اذ ذاك أزيز الطائرة .. فاسرع (شان) الى الشرفة .. وظل يرقبها حتى حلقت فى الجو .. وغابت بين طيات الظلام .
ولما عاد (شان) .. قال الطبيب : وانا كذلك قد نال منى التعب كل منال .
فقال هولت : سنخرج الآن .. فالسيارة تنتظرنا فى الخارج.. ولكن يحسن ان ابحث عن اغطية ثقيلة فالجو شديد البرودة
وقال شان : هيا بنا اولا .. لالقاء نظرة على الغرفة المجاورة ..

ودخل الاثنان الغرفة .. فوجدا الضوء يغمرها
وفحص شان مقابض النوافذ والابواب فلم يجد عليها اى اثر لبصمات الاصابع ..
وأشار (شان) الى منضدة امامها مقعد كبير ملقى على الارض وقال :
ـ لا بد ان احدا اصطدم به عند دخوله مسرعا من باب الغرفة الذى يطل على الشرفة
ـ اذن يجب ان يكون القاتل ...
فقال شان : او القاتلة ..
فقال هولت على مضض : نعم او القاتلة ؟. قد ترك . او تركت !.. الباب مفتوحا لتعود منه ..
ـ لقد أصبحت تلميذا ذكيا !. وهناك نقطة اخرى .. وهى ان هذا الشخص (ان كان قد اصطدم فعلا بالمقعد) .. لا تستبعدان أن يكون فى ركبتيه كدم خفيف من اثر الصدمة .
ولما تركا الغرفة ، عادا الى المكتب ، وقال هولت :
ـ سأغادر الآن القصر ، والى اللقاء غدا يا مستر شان ، اننى سعيد جدا بمقابلتنا هذه الليلة
ـ شكرا لك يا عزيزى ..

ـ سننقل الجثة معنا الى المشرحة ، واذا . . .
نقاطعه شان قائلا : احرص كثيرا على الرصاصة يا مستر هولت ، لانني اريد أن افحصها فحصا دقيقا ، وحذار أيضا من ضياعها او ان تمكن احدا من ان يستبدل بها اخرى
ـ ساحرص عليها حرصي على حياتي .
ـ حسنا . . الى اللقاء اذن .
وقال الطبيب : ساعود أنا بالقارب . . الى الاتجاه الآخر .
ـ اتمنى لكما رحلة موفقة . .

* * *

ولما هبط (شان) الى الطابق الاول ودخل البهو . . وجد مستر (وارد) في انتظاره . .
فقال له مبتسما : ألم تذهب الى فراشك بعد يا سيدي . ؟
ـ على صاحب الدار ان يرعى راحة ضيوفه . . لا شك انه لم يحن موعد نومك بعد ؟ .
ـ كلا . . سآوى الى فراشي في الحال .
والقى (وارد) بنفسه على مقعده . وقال : مسكينة ايلين . . لن اغفر لنفسي أبدا أنني كنت السبب في قتلها بدعوتي لها هذا المساء !
ولكن ابني !. لقد زاد تعلقي به الآن وقد أصبح الذكرى الوحيدة لها وآمل الا تكون جريمة الليلة قد انستك المهمة الاساسية التي استدعيتك من أجلها يا مستر شان !.
ـ انني لم أنسها طبعا .
ـ هل سمعت ما قاله (ميشيل) عن الدكتور (سوان) ؟. وكيف أنه ظل الى اللحظة الاخيرة يبتز منها المال بالتهديد ؟.
ـ نعم سمعت . .
ـ الم تفكر في أن الدكتور قد يكون على علم بسر هذا الابن !. وانه يتخذه ذريعة لابتزاز المال منها ؟.
ـ لقد وثب الى ذهني هذا الخاطر فعلا .
ـ لقد انكر كل شيء أثناء تناولنا العشاء
ـ كنت واثقا من كذبه . . كما كنت واثقا كذلك من كذب (رومانو) حينما ادعى انه عثر على تلغراف لا يذكر ما فيه بالضبط ؟
ـ لقد ذهبت منذ لحظة الى غرفة الدكتور سوان وطلبت منه أن يبوح الي بالسر . وعرضت عليه مبلغا كبيرا من المال .

ـ وهلا يزال مصرا على تجاهله ؟.
ـ نعم !. لا امل فى انتزاع شىء منه ويجب علينا ان نلجا الى طريق آخر .

ـ ساعمل كل ما فى وسعى . ولن انسى مع ذلك الدكتور سوان.
والآن أرجو أن تسمح لى بالذهاب الى غرفتى .
ـ أتمنى لك نوما هادئا .
ثم اردف :

ـ لقد نسيت ان اطفىء انوار الارشاد فى المطار . سآمر (سنج) باطفائها ثم اذهب لفراشى .. الى اللقاء .
ـ الى اللقاء يا مستر وارد

***

دخل شان الى غرفته .. ونزع عنه سترته وارتدى (البيجاما) . وجلس فى مقعد كبير بعد ان أماله قليلا . ونظر الى الساعة المعلقة بالجدار فوجدها الواحدة والنصف

كان كل شىء هادئا فى القصر .. اللهم الا صـــوت الصقيع المتساقط على (ضلف) النوافذ الخشبية . وزفيف الرياح وهدير بعض الطيور الليلية التى تؤم البحيرة فى مثل هذه الليلة القمرية .

واستعاد (شان) فى مخيلته كل الحوادث التى مرت به وتوالت مذ تحدث مع رومانو فى القطار .. الى ان ذهب الى غرفته واستلقى على هذا المقعد المريح !.

واخيرا .. غلبه النعاس .. ولكنه لم ينم طويلا .. فقد طرق سمعه صوت صرخة مكبوتة وأنين شخص يتألم .

ونهض (شان) فجاة .! وخرج من غرفته وراح يتحسس طريقه فى الظلام حتى وصل الى راس الدرج .. فاصطدمت قدمه بجسم لين .. وأخيرا تذكر بطاريته التى لا تفارقه .. فاخرجها من جيبه وسلط ضـوءها على الجسم الذى اصطدم به .! ولشـد ما كانت دهشته حينما رأى تحت قدميه وجها مجعدا أصفر اللون !. هـو وجه الصينى العجوز « سنج »

ورفع (سنج) يده النحيلة المرتجفة فى بطء .. ومر بها عـلى فكه وقال :
ـ كلا !. كلا !. لا يقوى انسان على هذا !.

الفصل السابع

مستر سام هولت

وقف (شان) برهة يتامل الجسم النحيل الممدد على الارض .. ثم قال فى رفق : ما الذى حدث !. هل اعتدى عليك احد .!

وفتح (سنج) عينيه فى بطء .. ثم اقفلهما ثانية دون ان ينبس ببنت شفة .!

وتركه شان .. وذهب الى غرفات القصر التى ينام فيها الضيوف .. فوجد أبوابها جميعا مغلقة .. صامتة !. واخيرا قصد الى غرفة مستر وارد .. وطرق بابها .

وظهر (وارد) فى الحال .! وكان مرتديا بيجامته .. وبدا فى شعره الرمادى الاشعث ووجهه العبوس المكفهر اكبر سنا عما رآه شان فى آخر مرة

ــ مستر شان .! ماذا حدث ؟.

ــ حادث آخر .

ــ حادث آخر .! يا الهى .!

ــ لقد أغمى على خادمك سنج على اثر لطمة شديدة اصيب بها فى فكه على ما أعتقد .

ــ ومن هو هذا الشيطان الذى ...

وفى هذه اللحظة .. قال صوت على مقربة منهما : ما الذى حدث يا سيدى ؟

وانتفض وارد !. ولم يتمالك (شان) نفسه من المفاجأة حينما وقع بصرهما على (سنج) . وقال الخادم الصينى لسيده :

ــ كيف تقف هنا يا سيدى ؟. ان التجول فى القصر اصبح اشد خطرا من السير فى وادى الموت .

ــ دعك من هذا الآن !. ما الذى حدث . ومن الذى لطمك ؟

ــ هل لى أن اعرف ذلك يا سيدى ؟. لقد شعرت بلطمة من يد قوية ! فسقطت على الارض فاقدا الوعى !.

ــ وماذا كنت تفعل فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

ــ انا !؟. كنت فى عملى يا سيدى . فى هذا العمل الذى هدنى !. وهل توجد راحة فى هذا القصر ؟. لقد استيقظت فى الثالثة لأضع وقودا جديدا فى مدفأة البهو والمدافىء الاخرى حتى لا يستيقظ الضيوف ويكون القصر باردا .

ــ وهل وضعت الوقود فعلا ؟

ـ نعم .. وضعته .. واصبت بهذه اللطمة فى أثناء عودتى الى غرفتى

وقال شان وهو ينظر اليه نظرة فاحصة : حسنا .. يمكنك ان تنام الآن ملء جفنيك .

وربت على ظهره فى رفق .

وانصرف الرجل . ودعا شان مستر وارد الى الجلوس معه فى غرفته .. ثم قال : لقد تركنى دون هولت وأنابنى عنه فى حراسة كل الموجودين فى القصر حتى ينتهى التحقيق !.. وقال فعلا انه يخشى أن يهرب احد منهم فاستبعدت هذا الظن .

افلا يكون (سنج) قد فاجأ الهارب عند الدرج فعاجله هذا الاخير بلطمة قوية حتى لا يعرف شخصيته ؟

ـ ربما !.

ـ اسمح لى اذن ـ بصفتك رب الدار ـ أن ألقى نظرة على الغرفات .. اننى أعرف أين غرفة رومانو ورايدر . ولك أن ترشدنى الى غرفة هيوز بيتون . هيا بنا !. ولو أن سهر ليلة واحدة يتعب الانسان عشرة أيام متوالية كما يقول الصينيون !.

وعاد الاثنان بعد قليل .. وقد وجدا كل فرد يغط فى نوم عميق فى فراشه !.

واستأذن (وارد) من شان .. وذهب الى غرفته تاركا المفتش فى مقعده الكبير !.

***

وجلس شان يفكر تفكيرا عميقا فى هذا الحادث الجديد : هل يعرف (سنج) من الذى لطمه ؟. وينكر رغم ذلك معرفته ؟. ولكن .. لم ينكر ؟! وما معنى عبارته التى القاها عندما انحنيت عليه : « كلا .. كلا .. لا يقوى انسان على هذا ؟ » هل يقصد بها ـ كما قال فيما بعد لسيده ـ ان العمل كثير فى القصر لا يقوى عليه رجل بمفرده ؟.

وظل كذلك فى مقعده حتى منتصف الساعة الخامسة .. وابتدأت الابواب فى الطابق الثالث تفتح وتقفل .. وسمع وقع اقدام (اوفريل) الثقيلة وصوتها وهى تداعب الكلب .. ففتح غرفته . واطفأ الانوار .. واستقبل نسيم الصباح فى ارتياح ولذة كبيرين .. وخيل اليه انه قد يستطيع فى نور النهار أن يبدد ما اكتنفه فى الليلة السابقة من ظلمات الشك

وبعد قليل . هبط الى الطابق الاول حيث لم يمر وقت طويل حتى استيقظ الجميع واجتمعوا ثانية فى البهو .

وكان (وارد) ينظر الى مس بيتون فى اعجاب شديد ، فقالت له الفتاة وقد ادركت كنه نظرته . كنت على وشك الظهور بينكم الآن بثوب المساء ، لولا ان سيسيل تداركت الموقف واعارتنى احد اثوابها ، فما رايك فيه .

ـ انك رائعة ولو لبست ثوبى !.

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ انه واسع قليلا ، وربما ملأته بعد طعام الافطار !

فضحك الجميع ، ودخل (سنج) فى هذه اللحظة يحمل صفحة عليها بعض البرتقال ، فلاحظت مس بيتون تورم فكه الايسر فقالت :

ـ اتشكو من احد اضراسك يا سنج ؟ يا لك من مسكين !

ـ كلا ، ولكن ..

فأضاف وارد : ولكنه سقط امس وهو يصعد الدرج

فقال رايدر : لقد تقدمت به السن ، وضعف بصره ، الا يجدر بك أن تذهب لطبيب خاص لعمل عوينات لك يا سنج .

فقال وارد : لقد كانت له عوينات . وكسرها فى الاسبوع الماضى !. وسأنتهز فرصة ذهابى الى رينو فى أقرب وقت لعمل عوينات جديدة له .

وتناول الجميع طعام الافطار وهم يتبادلون الحديث فى مرح وفى غير كلفة . أما شان . فقد ظل صامتا ..! فقال له وارد :فيم تفكر يا عزيزى ؟ .

ـ اننى لا افكر فى شىء .. ولكن التحدث فى أثناء الطعام يفقد الشهية .

والواقع انه كان يفكر ! فقد لاحظ على (سنج) انه يعرج عرجا خفيفا . ومن غير المعقول أن يكون قد أصيب فى ساقه من جراء السقطة على أثر اللطمة التى أصابته فى فكه !. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان سنج لم يذكر لسيده بالأمس شيئا عن أصابة ساقه !..

وتذكر (شان) فى هذا الوقت المقعد الذى كان ملقى على ارض الغرفة المجاورة لغرفة مكتب وارد !.. افلا يكون سنج هو الذى اصطدم به فاصيب فى ساقه ؟..

كما ان (سنج) ضعيف البصر . فليس من المستبعد ان يكون (وارد ، قد كذب فى ادعائه بانه كسر عويناته ! . ولم لا يكون قد بحث عنها على عجل فى الصندوقين الموضوعين على المكتب ؟.

ثم قال فى نفسه :

« ولكن مهلا !. اننى اريد أن اسبح قبل أن اخلع ملابسى !. فلم يحن الوقت بعد لترتيب القرائن واستخلاص النتائج » .

ولما انتهوا من تناول طعام الافطار .. ذهب شان الى المطبخ، وتبادل بضع كلمات رقيقة مع الطاهية البدينة حول الكلب . فقالت اوفريل :

ـ انه يحبنى الآن !. ولا اكتم عنك يا سيدى أننى احببته انا أيضا . وهذا أول نوع من الحب يدخل قلبى .

وضحك شان .. ومر بيده فى رفق على شعر الكلب الناعم ، وقال :

ـ انه وديع حقا ..

ـ لن أنسى نباحه والطائرة على وشك الهبوط ، بظهران المسكين يخشى السفر بالطائرة الى حد كبير .!

لقد ماتت سيدته يا مستر شان ! الا يمكننى ان استبقيه لنفسى ؟.

ـ كلا ! . يجب أن يعود الـ (شقاء) الى رينو ويعود اليها بالطائرة حتما وتركها وعاد الى البهو .. فوجد الشريف (دون هولت) قد حضر .. ومعه رجل نحيل طويل القامة ... أبيض الشعر .

ـ ارجو ان تكون قد قضيت ليلة موفقة يا مستر شان ! . أقدم لك أبى مستر سام هولت .

وصافح شان اليد المبسوطة اليه وقال : لقد منيت نفسى كثيرا بان احظى بهذا الشرف يا سيدى .. ويسرنى فى هذه الظروف أن اقابل شريفا قديما محنكا مثلك .

ـ عفوا يا سيدى .. وانا بدورى لا اقل عنك سرورا بهذا اللقاء .. ولا أحسب أن فى العالم من لا تسره مقابلتك يا مستر شان

وقال هولت : لقد أخبرتنى مس بيتون انها تود الذهاب الى رينو لأمر من الامور فقلت لها ان ذلك الامر متعلق بك .

ـ انه تخلص ظريف !.

ـ هل معنى ذلك انك ترفض ملتمسها .

ـ ربما .!

وتقدم الدكتور سوان وقال : يجب ان اعود الى منزلي الآن فلدى امور هامة لا يمكن ارجاؤها الى الغد .

فقال شان بلهجة ذات مغزى : اذا اعطيتنا مفاتيح منزلك وكشف بمواعيدك والامور الهامة التى تخشى من ارجائها امكننا ان نرسل احدا يقوم مقامك فى الوقت الذى تقضيه هنا .

فقال الدكتور سوان فى تردد : لامانع عندى فى ذلك .

وقال هولت : وانت يا مس بيتون . ايمكنك ان تعطينا كشفا بالـ ..

ـ كما تريد يا سيدى .. ولكنه على اى الحالات ليس كشفا بالمواعيد .

فقال شارلى . لتبق الانسة هنا . ولتذهب مع شقيقها الى المنزل . اذ لا مفر من ذلك لمصلحة التحقيق ايضا .

ولم تجب مس بيتون .. بل هزت كتفيها فى غير مبالاة . وابتعدت عنهما فهمس هولت فى اذن مستر شان قائلا : هل لى ان اتبادل معك بعض الحديث ؟ فى غرفة المكتب ؟

ـ بكل سرور يا عزيزى .

ودخل سنج فجاة من قاعة الطعام وما وقع نظره على (سام هولت) حتى صاح : سيدى الشريف ! . اننى سعيد برؤيتك .

فقال الشيخ الاعمى : وانا الآخر سعيد .. بـ .. برؤيتك ولكنى لم أصبح (شريفا) بعد . فالايام تتغير يا سنج !

ـ ولكنك شريفي على اى حال يا سيدى .

وربت سام على كتف (سنج) فى رفق ثم قال لابنه :

ـ خذ بيدى يا هولت .. وهيا بنا الى الطابق الاعلى . اننى اعرف هذا القصر غرفة غرفة واستطيع ان اشق طريقى فيه فى الظلام . ولكن مضى على وقت طويل دون زيارته

واخذ هولت بيد ابيه وصعد هو وشان الى غرفة المكتب فى الطابق الثانى . وجلس سام على مقعد مقابل للمكتب وقد اتجهت عيناه غير المبصرتين نحو المدفاة . وراح يدق بيده على ذراع المقعد الخشبية دقات بطيئة منتظمة ثم قال : لقد اخبرنى هولت بكل ما حدث امس . ولازلت أعجب بينى وبين نفسى كيف ظل (سنج) على صداقته وحبه لى لمدة تقرب من النصف قرن ! اننى اقدر هذا الصينى كثيرا ولولا ان هذه اول جريمة هامة مكلف ابنى بالتحقيق فيها . بل ولولا نداء الضمير .

لفضلت ان انزع لســانى من حلقى على ان ابوح بكلمة واحدة الا ان . .

وسكت عن الكلام فجاة وقال وهو ينزع من يد المقعدالخشبية قطعة صغيرة من الزغب : ما هذا يا مستر شان ؟

وتقدم المفتش من قطعة الزغب . ونظر فيها مليا ثم قال :

ــ انها قطعة من زغب الصوف .

ــ ما لونها ؟

ــ زرقاء .

ــ هل الغطاء الصوفى الذى احضره سنج الكلب وانتم فى غرفة المكتب كان لونه أزرق ؟

ــ نعم !.

ــ اذن ما معنى حضوره بالغطاء عقب اكتشاف الجريمة ؟ هل وضع الغطاء اذ ذاك على يد هذا المقعد ؟

ــ كلا . . بل احذه وانصرف . .

ــ لابد انه حضر قبل ذلك . وان الغطاء وضع على يد هذا المقعد ؟ .

ثم اضاف انى افهم .. ولا تؤاخذنى يا مستر شان ــ هذا النوع من الصينين . انه مخلص لسيده الى ابعد حدود الاخلاص .. ولا شك انه حاقد على لادونا .. وربما كان يطمع فى ان يوصى مستر وارد له بجزء من ماله . او يعنى باسرته لو قدر له ان يموت قبل سيده . اما وقد سمع بقصة هذا الطفل المفقود . فقد ايقن ان اهتمام (وارد) وعطفه سينصبان على ابنه الذى يتوق الى رؤيته بغير شك !.

ــ لقد فكرت فى ذلك من قبل . .

فقال دون هولت

ــ اننا وضعنا الجثة امس فى اغطية من الصــوف الازرق . ولا يبعد ان تكون قطعة الزغب هذه منها .

فابتسم سام وقال لقد اصبحت محققا نابغا . ولكن .

ثم نهض وهو يتحسس طريقه فى الغرفة حتى وصل الى المكتب وصار يعبث باصابعه بين أوراقه . فساله ابنه : هل تريد شيئا .

ــ اعطنى مظروفا . .

ووضع العجوز قطعة الزغب فى المظروف وشان ينظر اليه فى اعجاب شديد . ثم قال : هل حضر (كاش) ؟ .

والتفت الى المفتش وقال له :

ـ (كاش) هو احـد مرؤسى ابنى .. وقد كلفنـاه بالامس بالمحافظة على الجثة والاشياء الهامة الاخرى فى اثناء غيابنا . وكان موعده ان يحضر منذ قليل .

فقال دون هولت : اغلب ظنى انه حضر . هيا بنا الى الطابق الاول .

الفصل الثـــامن

فى الطريق .. الى رينـــو ! ..

كان الدكتور (سوان) ينتظر على مقربة من المدفأة حينما دخل شان وسام هولت وابنه الى البهو . فتقدم سوان اليهم ، ومد يده بمظروف وهويقول اليكم خطابا الى الخادمة . وستجدون فى غرفتى الخاصة دولابا كبيرا به حقيبة جلدية يمكنكم ان تضعوا فيها كل ما احتاج اليه اثناء اقامتى فى هذا القصر التى اتمنى ان تنتهى فى اقصر وقت مستطاع .

فقال شان مبتسما : وهذا ما اتمناه انا ايضا ..

وقال دون هولت وما نتمناه جميعا . اذ لا يبقى فى هذا القصر الا البحث عن الشخص الذى وضع وشـاح ودبوس مس (بيتون) فى غرفة المكتب . وهو على علم طبعا بكراهيته للادونا !

ونظر اليه سوان نظرة سريعة حاقدة ولكنه لم ينبس ببنت شفة !.

ودخل رومانو البهو فى هذه اللحظة وقال مبتسما :

ـ لقد سمعت اننا سنرحل الآن ..

فقال هولت يؤسفنى ان تضطر الى البقاء فى القصر :

ـ هذا لا يضيرنى !. فانا رجل معدم ، لا يعرف فى اى بقعة ستلقى به الاقدار عقب موت لادونا !. ليتنى اظل هنـا طـول حياتى ..

فقال شان متلطفا : الا تحتاج الى شىء نحضره لك من رينو ؟ .

ـ انا ؟ كلا يا سيدى ..

ثم سكت قليلا وقال :

ـ ولكن : هل تتكرم يا مستر شان بان تسال مس (بيشر) عما اذا كانت لادونا قد امضت وصيتها ام لم تمضها بعد ؟

ـ مس بيشر ؟.. من هى ؟.

- سكرتيرة (لادونا) الخاصة ، ولكنها للاسف الشديد لن تبوح لك بشيء !.

فطمانه شان قائلا لا تهتم بهذا الامر !. فمسالة الوصية من اولى المسائل التى سافر من اجلها الى رينو

فهتف (رومانو) فى فرح شديد حقا يا سيدى ! . اننى فى انتظاركم على أحر من الجمر .

ودخل شاب طويل القامة عريض المنكبين قدمه هولت الى الموجودين على أنه (شانون كاش) . احد مرؤوسيه .

فقال شان : يبق مستر كاش فى القصر حتى نعود من رينو

- انها فكرة صائبة .. وعليك يا كاش أن تلاحظ كلا من الموجودين بعين يقظة ساهرة .

وأومأ كاش براسه موافقا وهو ينظر الى مس بيتون فى شيء من الاعجاب وقال : يسرنى كثيرا أن أقوم بهذه المهمة يا سيدى

* * *

وخرج شان وبرفقته سام هولت وابنه وبيتون ووارد . واتجهوا الى الزورق البخارى الذى ينتظرهم عند شاطيء البحيرة وقبل ان يشرع الزورق فى التحرك . سمعوا صوت الخادم الصينى وهو يصيح : سيدى ! سيدى .. لقد نسيت مظلتك

فقال وارد : لست فى حاجة الى مظلة .. فاشمة الشمس اليوم ممتعة .

- ولكنها ستمطر الآن يا سيدى !. صدقنى .. صدق سنج العجوز . والا ندمت على عدم سماعك نصيحتى

وتناول (وارد) منه المظلة . وهو يقول والزورق يشق الماء مبتعدا عن الشاطيء انه طيب القلب . وأخشى كثيرا أن يتمدده الكبر عن العمل فى يوم من الايام . وبهذه المناسبة لا تنس يامستر شان ان تذكرنى باصلاح عويناته فى رينو

- هل احضرتها معك ؟

- نعم

ورسا القارب عند الشاطيء المقابل فترجل الجميع . وساروا فى ارض رملية ملأى بقطع من الصخر متناثرة هنا وهناك فاضطر (دون هولت) الا يفارق أباه خشية ان يتعثر فى احداها . فتقدم وارد وبيتون عنهما بضعة امتار .. أما شان فقد آثر أن يظل مع العجوز الأعمى .

وقال سام فجأة : ماذا قال وارد عن عوينات سنج ؟ .
ـ انها كسرت ويود اصلاحها فى رينو
فاطرق العجوز براسه الى الارض وقال حسنا :. سأضطر فى النهاية الى عدم قبول تفسير ابنى لوجود قطعة الزغب الزرقاء فى يد المقعد ! .
فقال هولت جزعا ولم ؟
ـ لان الشخص الذى وضع غطاء الصندوق الاصفر على القرمزى . والقرمزى على الاصفر كان ضعيف البصر ولا شك .
كما ان المقعد الملقى على الارض والعرج الخفيف الذى أصيب به سنج فى الصباح يعتبر قرينة اخرى قوية .
ثم اردف بعد قليل : الم يدر بخلدك يا مستر شان ان القصة التى رواها مستر بيتون عن سماعه صوت لادونا وهى تطلب من شخص آخر ان يحضر لها وشاحها الأخضر قد تكون صحيحة الى حد كبير ؟
ـ اننى لم اجزم بعدم صحتها .
ـ وان هذا الشخص الذى ذهب لاحضار وشاح لادونا كان ضعيف البصر فاحضر وشاح مس (بيتون) بدلا منه ؟
اواه !. لولا تعبى الشديد لرافقتكم طيلة اليوم .
فقال شان وهو ينظر اليه فى اعجاب شديد :
ـ هذا التعليل معقول جدا يا مستر سام .
ورغم تحامل دون هولت على كل شبهة تحوم حول سنج ، فانه شعر بشىء من الارتياح عند سماعه كلام ابيه هذه المرة .
وترك شان سام وابنه .. وادرك وارد وبيتون اللذين كانا يمشيان فى صمت وقد اطرق أولهما براسه الى الارض ..
وقال وارد بلهجة حزينة :
ـ ليس لدى اى أمل فى أن اتسقط اخبار ابنى فى رينو !. اريد ان اعثر عليه يا مستر شان .. فسيكون الامل الوحيدالذى اعيش من اجله ..
ـهون على نفسك يا مستر وارد .. فلم ننته من كل شىء بعد ..
وسمعوا فى هذا الوقت صوت هولت وهو يصيح . المركبة من الناحية الأخرى .. والأفضل أن تنتظرونا ..
فقال وارد :

ـ يوجد فى هذا الشارع رجل لاصلاح الموينات .. فساذهب اليه .. اذا سمحت . واتركها له وآخذها عند عودتنا

فوافق شان واستأذن سام هولت منهم وركب سيارة اخرى الى منزله وسارت الجماعة الى السيارة التى تنتظرهم . فلاحظ شان أن البلدة على الرغم من موجة المدنية التى طغت عليها .. لازالت تتعلق ببعض التقاليد القديمة .. حيث كان رعاة الابقار يسيرون فى الطرقات وهم يلهبون جيادهم بأسواطهم الطويلة !. كما رأى كثيرا من النسوة فى ملابس هندية وهن يحملن اطفالهن على ظهورهن !.

وبعد برهة قصيرة .. عاد وارد . وركب الجميع السيارة التى انطلقت بهم الى رينو .. وانتظرتهم أمام الفندق الذى كانت تقيم فيه لادونا .

وقال هولت : اننى اعرف هذا الفندق من زمن بعيد . واعرف ايضا مستر دانسلى .. انه رجل طيب القلب .

فقال شان : لقد اذنت له بالمودة امس .. فلاعلاقة له بالجريمة اذ ثبت لى انه كان فى البهو وقت وقوعها

ـ لقد احسنت صنعا . من غير المعقول أن يفكر فى قتل لادونا التى كانت تربطه بها علاقات وثيقة

واتجهوا الى رجل يجلس على مكتب صغير فى فناء الفندق أكتب عليه (الاستعلامات) فسأله شان عن مس (بيشر) سكرتيرة لادونا .. فقال له :

ـ انها موجودة يا سيدى .. ولو ان مخبرى الصحف قد ازعجوها وضايقوها كثيرا هذا الصباح .

فقال هولت : لسنا صحفيين ! . اننى دون هولت شريف تاهو وزميلاى هما مستر (وارد) من أغنياء سان فرنسيسكو ومستر (شارلى شان) مفتش بوليس هونولولو .. ولست فى حاجة الى معرفة مستر بيتون

فانحنى الرجل فى احترام جم وقال : سأخبرها بحضوركم فى الحال .

* * *

وصعد الجميع الى حيث تنتظرهم مس (بيشر) . فقابلتهم امرأة متوسطة الطول عليها سيماء الرزانة . ترتدى ثوبا أسود اللون .

وبعد أن قام (بيتون) بتقديمهم اليها . نظرت الى وارد قليلا ثم قالت :

ـ يسرني ان أراك مهتما بهذه الفاجعة التى هدت اعصابنا جميعا .

فقال وارد فى صوت حزين . ان الامر فى الحقيقة لا يهم احدا سواى

ثم سالها كم سنة قضيتها فى خدمة لادونا ؟

ـ حوالى سبع سنوات . لقد كنت بادىء الامر سكرتيرة خاصة لها . فلما ساءت الاحوال .. أصبحت اشبه بخادمة ، ولكنى لم افكر يوما ما فى الانفصال عنها .

فقال وارد فى صبر نافذ :

ـ مس بيشر !. لقد جئت فى الواقع .. نعم .. جئت .. لاسالك !. ان كنت تعلمين أن للادونا ابنا منى أم لا .؟

ونظرت اليه مس بيشر نظرة غريبة واستطرد هو قائلا :

ـ لقد سمعت اشاعة بهذا المعنى ! . وهى أن لادونا هجرتنى وبين احشائها جنين !. فلما وضعته أخفت أمره عنى ؟. فهل سمعت بشىء من ذلك يا آنسة ؟ .

فاجابت السكرتيرة فى هدوء :

ـ أن سيدتى لم تخبرنى بشىء من هذا قط .

وصر وارد بأسنانه وتركها وانتقل الى الركن الآخر من الغرفة ، وراح يطل من نافذة تشرف على مركز البوليس الذى يقع امام المنزل .

وساد صمت عميق .. بدده شان بقوله : مس بيشر . أن الشريف دون هولت يخول لى حق الكلام عرضا عنه .

فقال هولت : نعم . فصوته من صوتى وسلطته من سلطتى .

وأردف شان : هل سمعت من لادونا أى كلمة أو عبارة يشتم منها أنها تعتبر حياتها فى خطر ؟.

ـ لم اسمع ذلك أبدا . فمدام لادونا لا تحمل معها مسدسها الا لكثرة اسفارها وخوفها من اللصوص . ولا أعتقد أنها كانت تتوقع شرا من أحد معارفها .

ـ يوجد أربعة أشخاص أريد ان أوجه اليك اسئلة بشان علاقاتهم بسيدتك .

وتغير وجه مس بيشر لاول مرة !. فقال شان مبتسما ، لا تجزعى يا مس بيشر . فلن يكون لهذه الأسئلة أى صيغة مؤلمة . هل تعرفين مثلا مستر (جون رايدر) زوجها الثالث ؟.

ـ نعم . أعرفه .

ـ الم تكن سيدتك على اتصال به .. أو تتسلم منه بعض الرسائل أو شيئا من هذا القبيل ؟ .

ـ كلا !. فهى لم تفكر فيه أبدا ..

ـ الا تعرفين السبب الذى من أجله انفصلت عنه ؟.

ـ عندى فكرة عامة .. فمن عادة سيدتى أن تجمع الأنباء الهامة التى تنشر عنها فى الصحف فى كتاب خاص . لحظة واحدة ثم نهضت وذهبت الى حجرة مجاورة .. وعادت بعد قليل بكتاب قديم ممزق .. فتحت الصفحات الأولى منه ثم ناولته لشان وهى تقول : اقرأ هذه الفقرة يا سيدى .

ورأى شان قصاصة من ورق الجرائد ملصقة بعناية في الكتاب .. كتب فيها : (سان فرنسيسكو فى ٩ فبراير ـ علمنا ان مطربة الأوبرا (ايلين لادونا) التى طلقت منذ شهر من الدكتور سوان قد تزوجت من مستر (جون رايدر) صاحب المناجم المعروف فى (سيرانيفادا) .

وقد سافر العروسان بعد عقد الزواج مباشرة الى (كاليكو) واقاما فى كوخ بسيط بعيدين عن العالم .

وحدث منذ اربعة أيام أن تساقط الصقيع فى كاليكو بكثرة هائلة حتى بلغ عمقه خمسة وعشرين قدما . فقطع طرق المواصلات واصبح من المتعذر على المطربة وزوجها أن يبارحا مكانهما قبل حلول فصل الصيف .

ووضع شان الكتاب على منضدة صغيرة وقال مازحا : ولكن هذا النبأ لا يدل على سبب طلاقها منه ! . بل على النقيض ، انه موقف شاعرى يزيد فى اجتذاب القلوب .

ـ موقف شاعرى !! هذا ما قلته لسيدتى ! . فقالت لى :

« أى شاعرية فيه يا بيشر !. أى جمال فى أن اجد نفسى سجينة مع رجل واحد يرهقنى باحاديثه المملة الثقيلة !. لقد كرهته فى أول أسبوع واحتقرته فى الاسبوع الثانى . وما انتهى الاسبوع الثالث حتى كدت اقتله ! »

وضحك الجميع ! بينما تظاهر مستر (وارد) بعدم سماعه كلمة واحدة مما قيل !.

وقال شارلى : سآخذ هذه القصاصة لو سمحت

ـ على رسلك يا سيدى !

ـ والان . جاء دور لويز رومانو ماذا كان شعور لادونا من ناحيته ؟

ـ لقد كانت كثيرة التسامح معه ، وانا لا اعرف حتى الآن لم تزوجت منه .

والتفت شان الى مستر بيتون وقال له :

ـ ارجو ان تنتظرنا قليلا فى الغرفة المجاورة .

ولما انصرف الشاب قال المفتش للسكرتيرة : لقد سمعت ولاشك ان لادونا اوصت بكل ما تملكه لعشيقها الجديد بيتون !. فهل امضت سيدتك هذه الوصية ؟

وضربت مس (بيشر) بيدها على صدرها وصاحت :

ـ كلا .. كلا .. انها لم تمضها بعد .

وفوجىء الجميع بهذا القول .. حتى (ديدلى وارد) الذى خرج عن صمته فقال : ماذا تقولين ؟. الم تمض لادونا وصيتها بعد ؟ .

ـ كلا .. لقد علمت أن محاميها نصحها بالتريث فى ذلك حتى يحل بعض عقبات قانونية اعترضته .. يا الهى !. هل اصبح رومانو وريثها الوحيد ؟

فقال شان : وهل علم رومانو بان الوصية لم تمض ؟.

ـ لا اعرف بالضبط يا سيدى !. وعلى اى الحالات قد حاول مرارا ان يعرف منى ذلك فلم اخبره بشىء بطبيعة الحال ، وان كنت لا استبعد انه اتصل بمحاميها فى (نيويورك) وعرف منه كل شىء

وسكت (شان) قليلا وهو يفكر فى هذا الاحتمال الجديد واخيرا قال :

ـ لنسقط هذه المسألة من حسابنا مؤقتا ، والان .. ما الذى تعرفينه عن ميشيل الطيار ؟

ـ لا اعرف شيئا البتة ؟ .

ـ الم تكن سيدتك على اتصال به ؟

ـ لقد سمعت انها كانت تحبه قبل ان التحق بخدمتها ، اما الان ، فقد انتهى كل شىء ـ على الاقل من ناحية مدام لادونا ـ فقد سمعته منذ ايام يلقى على مسامعها ... الحب والاستعطاف وهى تضحك منه وتسخر

فقال شان : هل كانت لادونا تسخر منه ؟

ـ نعم يا سيدى ! . وكل ما فى الأمر انها كانت تحب ركوب الطائرة حبا جنونيا ! . لقد سمعتها باذنى تقول له : « تذكر زوجتك يا ميشيل ! . اننى لم احبك فيما مضى الا عندما رأيتك عائدا من الحرب بالسترة العسكرية ! . لقد احببت فى الواقع

الستره ! . فخيل اليك انني احبك انت ؟ .. يخيل الى كل جندي او ضابط مغرور ! .
فقال شارلي في لهفة :
ـ وماذا كان جواب ميشيل عليها ؟ .
ظل يستعطفها ويحاول اقناعها بانه لم يتزوج من سيسيل الا لظنه بانها أعرضت عنه فكانت سيدتي تغرق في الضحك ! .
وسكت شان برهة ثم قال :
ـ لقد كان (ميشيل) اذن في خدمة الجيش ؟ .
ـ نعم يا سيدي .
ـ اي أن له يدا تحسن التسديد .. وعينا قوية لا تخطيء .. و ....
وسكت فجاة .. وقال :
ـ والآن .. ما الذي تعرفينه عن الدكتور سوان ؟ .. هل اتصل عما قريب بلادونا ؟ .
قضمت السكرتيرة شفتيها في غيظ وقالت :
ـ هذا المنكود القذر ! . نعم .. لقد زارها أخيرا .
ـ اذن فقد كذب علينا ! . لاشك أن زياراته المتكررة كانت من مستلزمات « تجارته » .
ـ اتقصد يا سيدي انه كان يعودها كطبيب ؟ .
ـ كلا ! . بل كرجل يبتز المال منها بالتهديد والوعيد .. .
فنظرت اليه مس (بيشر) في دهش ثم قالت :
ـ من اين علمت ذلك يا سيدي ! ؟ .
ـ لقد علمته وانقضى الأمر ! . لا شك انك تعلمينه أنت أيضا .
فقالت في صوت خافت : نعم .. اعلمه .
ـ وما هو السبب الذي كانت لادونا من أجله ترضخ لطلباته وتعطيه مبلغا كبيرا كل شهر ؟ .
ـ لا أعلم شيئا عن ذلك السبب يا سيدي .
فنظر اليها شان مليا ثم قال مبتسما في خبث :
ـ لتسمح لي مس (بيشر) ان اشك الآن فقط في شهادتها ! . انني على يقين من علمك بأن لادونا كانت تدفع له هذه النقود لكي لا يبوح بسر الطفل المفقود الذي يعرف عنه كل شيء ولا شك .. تكلمي بصراحة يا آنسة ! . ولا تحاولي ان تزيدي الأمر تعقيدا على تعقيده .. ونهض وارد ، وتقدم من السكرتيرة وصاح في وجهها :
ـ تكلمي ! . تكلمي ! . انني لا اريد شيئا سوى الصدق .. تكلمي ..

ونظرت اليه المرأة طويلا ثم قالت :

ـ انني آسفة يا مستر وارد .. فقد كذبت عليك اول مرة .. اما الآن .. فلا يوجد شيء يمنعني من ان اقول الصدق وقد شرح لى مستر شارلى شان حقيقة الموقف . نعم ! . ان للادونا ابنا .

فصاح وارد مهللا فى فرح جنونى :

ـ ماذا تقولين ؟ ! ابن ! . يا الهى ! . وها هو .. منى ؟ . هل هو ابنى ايضا ؟ .

فقالت السكرتيرة فى صوت خافت : نعم يا سيدى ..

ـ اين هو ! . تكلمى ! . وما عمره الآن ؟ .

فقالت فى صوت حزين :

ـ لو كان على قيد الحياة .. لاصبح عمره ثمانية عشر عاما .. لقد كان فتى جميلا دمث الخلق ، ولكنه للاسف الشديد مات منذ ثلاث سنوات فى حادث سيارة ! . انني آسفة يا مستر وارد .

وشعر وارد كأن صاعقة انقضت عليه . فوضع راحتيه على عينيه .. وانخرط فى البكاء كالطفل الصغير ! . ثم ذهب الى النافذة وهو يقول بصوت متقطع : مات ! . مات ابنى دون ان اراه .. هل كان لى ابن ؟ . وهل مات حقا ! . رحماك يا الهى ..

الفصل التاسع

سفر الـ (شقاء) ! .

لبث (ديدلى وارد) بجوار النافذة برهة والجميع ينظرون اليه فى عطف وشفقة . ولم يلبث ان كف عن البكاء فجأة وكبح جماح عواطفه . ثم ذهب الى مس بيشر وقال لها :

ـ لا يسعنى الا ان اشكرك على كتمانك اول الامر .. وافضائك بالسر فى النهاية .

فقال شارلى :

ـ لقد كنت واثقا ان ابنك قد مات ! . حينما قالت مس بيشر ان رومانو سيصبح الوريث الوحيد ! .. هل لديك اوراق تثبت وفاته يا آنسة ؟ .

ـ نعم لدينا البرقية التي حملت الينا هذا النبأ المشئوم .. ثم الرسالة التى بعثتها السيدة التىتتبناه .. وسيدتى تحفظهمادائما بالقرب منها ..

واتجهت الى درج صغير واخرجت منه البرقية والرسالة وناولتهما لوارد الذى قراهما .. ثم قال فى حزن شديد :

ـ لقد انتهى كل شيء ! . نعم .. لقد مات ابنى ! .

وردهما ثانية لمس بيشر التى قالت :

ـ كانت سيدتى تقرا هذه الرسـالة كل يوم .. وتبكى بكاء مرا ! . لقد كانت تحب هذا الابن كل الحب يا مستر وارد ولو انها كانت لا تراه الا نادرا .

وانتقل وارد مرة أخرى الى النافذة .

ولمـا همت مس بيشر باعادة الخطاب والبرقيـة الى الدرج ، لمح شان فيه أوراقا مطبوعة على ورق خشن وبها كتـابة بالقلم الرصاص .. فقال :

ـ اذا لم اكن مخطئا ، فهذه الأوراق « بروفات » لكتاب على وشك الطبع ! . أليس كذلك ؟ .

ـ نعم يا سيدى .. انها مذكرات خاصة كتبتها مدام لادونا فى أيامها الأخيرة .

ـ انها لى اذن يا مس بيشر ..

ـ لك ان تقراها يا سيدى على شرط ان تعدنى باعادتها ثانية لاتمام طبع الكتاب ..

ـ أعدك بذلك ..

ـ ولـكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ .

ـ أخشى ان يسىء الناس فهم سيدتى على حقيقتها .. لقد كانت ...

وامسكت عن الحديث ، وانفجرت باكية فجأة وأردفت :

ـ لقد كانت أطيب نساء الأرض قلبا .. ولكنها كانت شقية بائسـة ! . مجنونة بالحب ، تعيش فى دنيا من الخيال ، وتبحث عبثا عن السـعادة ..

واعطته السكرتيرة البروفات .. فشكرها شان وقال لوارد :

ـ لم نعد بعد فى حاجة الى ازعاج مس (بيشر) على ما اعتقد .

ـ نعم .. هيا بنا يا عزيزى .. وقبل ان ينصرفوا قال وارد للسكرتيرة :

ـ لابد أن لادونا كانت تحتفظ بصورة فوتوغرافية له .

ـ كان اسمه (ديدلى) يا سيدى ! . نعم توجد صور عديدة له ، ساعطيها لك الآن اذا أمهلتنى برهة للبحث عنها ..

ـ كلا .. كلا .. لا يمكننى ان اراهـا الآن ! . عدينى فقط بالبحث عنها حتى أحضر فى احد الايام لآخذها ..

ـ اعدك بذلك يا سيدى ..

ثم التفتت الى شان وقالت له :

ـ وانا بدورى لى ملتمس واحد .
ـ وما هو ؟ .
ـ ان تعيدوا الى الـ (شقاء) ! . فبينى وبينه حلقة متصلة
وهى حبنا للادونا ..
فقال شان متأثرا :
ـ سأعيده اليك بأسرع وقت ممكن ، وربما كان ذلك بالطيارة .
ـ لا ادرى كيف أشكرك يا سيدى على هذا الصنيع ! .



خرج الجميع ، واستقلوا المصعد الى فناء المنزل .. حتى اذا ما استقر بهم استأذن (وارد) قائلا :

ـ لقد انتهت مهمتى ! . ولا يوجد ما يربطنى بكم الآن . وعلى ذلك سأضطر الى مغادرتكم وموعدنا هنا فى الساعة الثالثة .

وحياهم وانصرف صامتا .. وقال هولت وهو يشيعه بنظرة مشفقة :

ـ لا أدرى ما الذى عقل لسانى ! . كان يجب ان اواسيه بكلمة رقيقة ولكنى لم أقو على الكلام ..

فقال شان فى هدوء :

ـ فى كثير من الظروف تكون مواساة الحزين أشبه بوضع الملح فى الجرح ! . فتزيد احزانه وتهيج أشجانه . والآن !. الا ترى أننا باستجوابنا مس بيشر قد عثرنا على منجم ثمين من المعلومات ؟

ـ هل تعتقد انك أفدت منها كثيرا ؟ .

ـ لقد حدثتنا بقصة الصقيع المتراكم حول كوخ لادونا وزوجها الثالث .. وانبأتنا أيضا بحقيقة الوصية التى لم تمض الى الآن .. وبقى امامنا أن نعرف ان كان (لويز رومانو) يعلم انه بعد موتها يصبح الوريث الوحيد .. او لا يعلم ! . كما تأكدنا من السر الذى كان يعتمد عليه الدكتور سوان لابتزاز المال منها .. والسبب فى غضبه اخيرا وقد هبط مرتبه الشهرى !. بعد أن ماتت ابنها المسكين !. واخيرا .. كشفت لنا عن الحب الذى لا يزال يتأجج فى قلب ميشيل رغم سخريتها منه ! . والآن .. من القاتل ؟ . هل هو الجشع أو الانتقام .. او الغضبة للحب المرفوض ؟ .

وقال هولت :

ـ اذا عرفنا جواب هذا السؤال .. وضعنا يدنا على القاتل ، ولكنك يا مستر شان كتوم وأؤكد لك اننى لا اعرف حتى الآن وجهة نظرك فى هذه الجريمة ؟ . لقد رأيتك تهتم بميشيل حينما علمت

انه خدم فى الجيش .. وأبديت بالامس بعض ملاحظات واقوال غامضة لم تحاول ان تفسرها لى .. وعلى ذلك اعدك من الآن الا اوجه اليك سؤالا ما ..

فقال شان مبتسما :

ـ اذا احتفظت بالاسئلة لنفسك يا عزيزى اكون لك شاكرا .

فقال هولت مازحا :

ـ ساحتفظ بها حتى ننتهى من معرفة القاتل ..

ـ لقد نسينا ما هو اهم من هذه الاسئلة ..

ـ اننا لم ننس شيئا ..

ـ ومستر بيتون ؟ .

وهم هولت بالعودة الى المصعد بحركة لا شعورية .. ولكن شان استوقفه وقال :

ـ انه آخر من يفكر فى الهرب ! . سنلتقى به بعد قليل ..

* * *

وذهب الاثنان بعد ذلك الى منزل الدكتور سوان ، وبحثا فيه بحثا وافيا فلم يخرجوا منه بشىء .. اللهم الا مجموعة من قصاصات الصحف جمعها شان بعناية ودسها فى جيبه .. والحقيبة التى بها حاجياته وملابسه الداخلية ..

ولما عادا الى الفندق .. وجدا مستر (ديدلى وارد) ومستر بيتون فى انتظارهما .. وقد وضع هذا الأخير تحت قدميه حقيبتين كبيرتين .. فعلم شان انه انتهز فرصة انهماكهم فى الحديث مع مس (بيشر) فأعد حقيبته وحقيبة شقيقته تجنبا لاضاعة الوقت ..

وبعد برهة وجيزة .. كانت السيارة تنطلق بهم مسرعة فى شارع (فرجينا) .. وتعمد شان أن يضع الحقائب الثلاث من ناحية الباب المجاور لمستر وارد لسبب لم يعرفه احد سواه ..

ولما اقتربت السيارة من البحيرة ، واوشكت ان تعرج فى الطريق المؤدى الى الشاطىء .. قال شان لمستر وارد :

ـ اظنك نسيت عوينات سنج ؟ .

ـ حقا ! . لقد نسيتها .. وأمر شان السائق بالوقوف وقال ضاحكا :

ـ لن اضطرك الى تسلق هذه الحقائب ، ساذهب انا بنفسى لاحضارها ..

فقال وارد :

ـ شكرا لك يا عزيزى ، وما عليك الا ان تذكره بها وتأخذها ! ولا تدفع شيئا ، فبينى وبينه حساب دائم ..

وذهب (شان) الى الرجل ، ولشد ما كانت دهشته حينما علم منه أن سنج ليس ضعيف البصر ! . وانه لا يحتاج الى العوينات الا للقراءة ! .

وعاد المفتش بالعوينات واعطاها لوارد ، وانطلقت السيارة تشق طريقها الى (تاهو) .



وشغل هذا الاكتشاف الجديد تفكير شان الذى وثب الى ذهنه فجأة . ان الصينى العجوز ليس هو الرجل الذى خلط بين غطاءى صندوقى السجاير ! .

اذن ! . ما الذى قصده (وارد بهذا التضليل ؟ . وما هو سبب ادعائه بأن سنج ضعيف البصر لا يخطو خطوة دون عويناته ؟

ووصلت السيارة الىالبحيرة ، واستقل الجميع زورقابخاريا الى قصر وارد . .

ولما رسا الزورق على الشاطىء . . هبط وارد وبيتون . . وتأخر شارلى وهولت بضع خطوات . . فقال الأخير :

ـ سأترك حقيبة سوان فى الزورق . . فهو لا يستحق أن احملها له . .

ـ حسنا ! . ما رايك فى أشجار الصنوبر هذه ؟ . هل تعرف أسماء فصائلها . .

فنظر اليه دون هولت فى تعجب وقال :

ـ أسماء فصائلها ؟ . انها أشجار صنوبر وكفى ؟ . ما الذى تقصده بسؤالك هذا ؟ .

ـ انها تذكرنى بنخيل هونولولو ! . ومن ناحية أخرى فانا أميل الى زيادة معلوماتى فى علم النبات .

وادرك شان ان هولت لا يميل الى الاقتناع بهذا الجواب ! . ولكنه اكتفى بأن ابتسم ابتسامة غامضة وراح ينظر الى غصن مكسور ملقى على الأرض . .

ونظر هولت بدوره الى الغصن . . فانحنى عليه شان والتقطه ثم ناوله له وهو يقول :

ـ ان أخشاب بلادكم امتن من الحديد . .

فضحك هولت وقال :

ـ مثل رجالها ! .

واتجه الاثنان الى القصر ولازال هولت ممسكا بالغصن فى يده حتى قال :

ـ ما فائدة هذا الغصن ! . ادخل الى القصر به كرعاة الأغنام ؟
ـ كلا ! . القه اذا شئت . .

ودخل الاثنان الى البهو فوجدا مس بيتون على مقربة من المدفأة وهى تنقب فى احدى الحقيبتين اللذين أحضرهما شقيقها .

وحياها هولت تحية حارة . . فلم تبخل عليه بابتسامة فاتنة شعت من ثناياها أولى خيوط الحب التى وصلت بين قلبيهما الشابين . .

وقال هولت مبتسما :
ـ لعل بيتون لم ينس شيئا . .
ـ كلا ! . اننى أعتمد كثيرا على حسن ذوقه واختياره .
والآن . . هل انتهت مهمتكما فى رينو ؟.
ـ كلا . . سأعود اليها انا ومستر شان . .
وتلفت حوله فلم يجد المفتش ! . فقال دهشا :
ـ لقد كان هنا منذ لحظة ! .
ـ أنا أيضا لا أدرى . . لا أدرى كيف خرج وتركنا بمفردنا ؟ .
فقال هولت مبتسما فى خبث :
ـ انه يكرس حياته دائما لخدمة الغير . .
واحمر وجه الفتاة خجلا ولم تجب ! .

* * *

كان شان ـ فى أثناء انهماك الشريف فى الحديث مع لسلى بيتون ـ قد سمع أزيز طائرة فخرج من البهو فى خفة النمر . . واتجه مسرعا الى خارج القصر فقابلته الطاهية البدينة (أوفريل) وهى تقول :
ـ أتريد مقابلة ميشيل ؟ .
ـ نعم . . أين هو ؟ .
ـ لقد حضر منذ لحظة ليعطى سيسيل شيئا لم أتبينه . . وها هو ذا على وشك العودة الى رينو . .

واندفع شارلى كالسهم المارق الى المطار . . فسمع أزيز محرك الطائرة وهى على وشك الانزلاق . . وامكنه بعد جهد أن يسمع صوته لميشيل الذى أوقف المحرك فى الحال وصاح :
ـ هالو مستر شان . .
ـ لحظة واحدة فقط لو سمحت !. اريد ان تحمل معك كلب لادونا الى رينو وتسلمه لمس بيشر . .

وعاد شان بعد قليل بالكلب الذى كان باديا عليه السرور بركوبه الطائرة ! .

واخيرا .. انطلقت الطائرة .. وتبعها شان بنظره حتى اختفت وراء اشجار الصنوبر التى تحيط بالقصر ..

وحينئذ عاد الى القصر ولا زالت تتردد فى اذنه عبارة مس اوفريل وهى تقول : : « لقد حضر ميشيل منذ لحظة ليعطى سيسيل شيئا لم اتبينه ! » .

ترى ما هو هذا الشيء ؟ .

ودخل القصر فى طريقه الى البهو .. فقطع عليه حبل تفكيره صوت دون هولت وهو يقول :

ـ هالوا شان ! . اين كنت ؟ .

ـ هيا بنا الى بيتون الآن ! . لقد اعدت الكلب مع ميشيل بالطائرة الى مس بيشر .

ـ ثم ابتسم وقال :

ـ واكتسبت كذلك قرينة قوية جديدة .

فقال هولت فى لهفة كبيرة : وما هى ؟ .

ـ « الشقاء » .

ـ اى شقاء . اتقصد كلب لادونا ؟ .

ـ نعم ! . ربما كان مفتاح هذه الجريمة المعقدة ..

وفغر هولت فاه فى دهشة شديدة وقال :

ـ ذلك لم يدر بخلدى قط ! .

الفصل العاشر

صفقة رومانو

ذهب هولت وشان الى حيث ينتظرهما الزورق البخارى .. وكان الشريف معقود الحاجبين . مجعد الجبهة .. يحاول عبثا ان يعرف علاقة الكلب بمقتل لادونا .

واخيرا .. خلع قبعته الضخمة كأنه يفسح لجمجمته المجال للتفكير ! . ثم قال :

ـ هل تضع الكلب فى قائمة المتهمين ؟ .

فضحك شان وقال :

كلا . ولكن اهمية هذه القرينة ترتكز على وقائع تعرفها انت تماما كما اعرفها انا ! .

فقال هولت فى يأس وهو يضع قبعته ثانية على راسه :

ـ على اى الحالات ! . لقـد اعترفت لك اننى لست بوليسا سريا ! . ولن اسألك عن ماهية هذا الكلب بطبيعة الحال .

ـ سأخبرك بما قد يكون اهم لديك منه .. وهو سنج ! .

ـ انني ارثي لهذا الرجل . وارثى لابى كذلك .. اذ انه يحبه ويعتبره مثلا اعلا للاخلاص والتفاني والتضحية .
ـ لقد لاحظت فعلا ان مستر سام هولت يعطف عليه كثيرا ! .
ويسرني على الأقل في الوقت الحاضر أن أخبرك أن الشخص الذى لخلط غطاءى الصندوقين ليس سنج .
فهتف هولت :
ـ حقا !.
ـ نعم .. هل تذكر انني في اثناء عودتنا من رينو تركت السيارة لاحضر عوينات سنج ؟.
ـ نعم .. ولقد اعتبرت ذلك تنازلا كبيرا منك ..
ـ انني لم أتنازل عن شيء للأسف الشديد ، فقد تعمدت ان اضع الحقائق امام باب السيارة المجاور لمستر وارد ، ثم ذكرته بعوينات سنج وذهبت بنفسي الى الرجل الذى يصلحها ! . وهناك علمت أنه ليس ضعيف البصر ، وكل مافى الأمر أنه يحتاج الى العوينات في اثناء القراءة فحسب ! .
ـ انك رائع حقا ! . ولكن . لم قال لنا مستر ...
ـ مستر وارد ! . اليس كذلك ؟ . لنتركه الآن مؤقتا .
ـ سيسر والدى كثيرا بهذه المعلومات ، الا تعتقد انت الآخر أن سنج ...
وكف هولت عن الكلام ! . اذ لاحظ ان شان فى شغل شاغل عنه ! . لا يكاد يسمع كلمة واحدة يقولها ، فآثر الصمت بدوره .
وأخيرا قال شان :
ـ سأمكث هنا فى تاهو ؛ واتصل بك تليفونيا بالفندق فى رينو اذا ما استدعى الحال .. اما الآن ، فعد انت الى رينو واصطحب معك (كاش) فلم تعد له ضرورة فى القصر .
ثم سكت قليلا وقال :
ـ وربما يركب معكما ايضا الدكتور سوان .
فصاح هولت :
ـ الدكتور سوان ! . يا الهى ! . هل أصبحت فى غنى عنه الآن ؟ .
ـ دع سوان .. ووارد الآن .
ـ على رسلك يا عزيزى .
وبعد قليل انطلق الزورق البخارى عائدا الى رينو .

* * *

ولما اختفى الزورق عن عيني شان ، عاد ادراجه الى القصر .

وعاد اليه ميله الى علم النبات كما يدعى ! . فوقف يتامل شجرة الصنوبر التى تقوم على مقربة من الباب الخلفى . ولكنه هذه المرة راح يحول نظره فى بطء من احد اغصانها الى شرفة غرفة مكتب مستر وارد ! .

وسار بعد ذلك الى البناء الصغير الذى يجاور القصر ويطل على المطار .. فدفع بابه فى حرص ، ودخله على اطراف انامله ، ولكنه لم يكد يخطو فيه بضع خطوات حتى سمع صوتا يقول :

ـ ما الذى دهاك يا سيدى ! . ان الشريف لم يسمح لك بكل هذه المضايقات ! .

والتفت شان خلفه .. فراى سنج بقامته النحيلة واقفا بباب الجراج .. فقال فى شىء من الارتباك :

ـ انى القى نظرة فقط على المكان .

ـ وما هى نهاية هذه النظرات ! ؟ . انك تضيع وقتك ، ووقتنا سيدى .

وآثر شان الا يجادله وان يعود الى المكان فى فرصة اخرى اكثر مناسبة .. فقفل راجعا الى القصر ، وفى اعقابه الصينى العجوز .

ولما دخل شان من الباب الخلفى سمع صوت الطاهية البدينة وهى تصيح :

ـ لقد قضيت ربع قرن فى الطهى ، ولم اطه مرة واحدة وهذا الشىء المربع بجانبى ..

فرد عليها صوت ناعم عرف فيه شان صوت « سبيل » زوجة ميشيل التى كانت تقول فى شبه استعطاف :

ـ ساخذه فى الغد الى غرفتى ، فابقه لديك اليوم فقط .

وسكتت مس اوفريل فجاة اذ رات نفسها وجها لوجه امام مستر شان الذى انحنى امامها فى ادب وقال :

ـ معذرة لتطفلى ..

واضطربت سبيل اضطرابا ظاهرا .. اما مس اوفريل .. فانها ابتسمت وقالت :

ـ ليس فى الامر تطفل يا مستر شان ! . لقد كنت احاول اقناع (سبيل) باننى قضيت اكثر من عشرين عاما وانا اطهى الطعام بدون بنادق او مدافع بجانبى ! .

وتذكر شان فى هذا الوقت الشىء الذى احضره ميشيل ولم تتبينه وفريل .. فقال :

ـ لعله ..

فقاطعته سيسيل قائلة :

ـ نعم انه مسدسى .. احضره لى ميشيل من رينو ! . لقد طلبت منه ذلك لاننى أصبحت فى حالة عصبية لا تطاق .

ثم التفتت الى اوفريل وقالت لها :

ـ حسنا .. ساضعه فى غرفتى اذا شئت ..

ثم قالت للمفتش :

ـ لقد أصبح هذا المكان مقبضا ، يبعث الرعب فى اقوى القلوب ! اننى أحمد الله على أن ميشيل علمنى كيف ...

وسكتت فجأة .. فأكمل لها شان جملتها قائلا :

ـ علمك كيف تحسنين التصويب الى الهدف ..

ونظرت اليه الفتاة فى اضطراب ثم قالت :

ـ نعم ! . لانه قضى مدة طويلة فى خدمة الجيش ..

ـ أظنه كان فى سلاح الطيران ؟ .

ـ كلا ! . فقد حاول كثيرا أن يلتحق به دون جدوى .. وأخيرا رضى بأن يكون جنديا بسيطا فى سلاح المدفعية ..

وانصرفت سيسيل بعد ذلك .. فهتفت أوفريل محذرة :

ـ لا تضعى فوهة هذا الشىء من ناحية غرفتى ! . فانت تعلمين بأن جدران غرف الطابق الثالث ليست سميكة ! .

ثم التفتت الى شان وقالت له :

ـ اننى لا أحب الأسلحة النارية .

فقال شان مبتسما :

ـ لا شك أنك « عضوة » فى مؤتمر نزع السلاح .

فضحكت المرأة وضربت على كتفه بيدها الثقيلة وقالت :

ـ انك ظريف يا مستر شان ..

فانحنى المفتش وقال :

ـ عفوا .. والآن ارجو ان تسمحى لى بالانصراف وانى اكرر لك شكرى على صراحتك .. وسأحرص دائما على أن اكون حسن العلاقات معك ، اذ انهم يقولون ان من صادق الامير ازداد شرفا ، ومن صادق الطاهية ازداد صحة .. و .. وبدانة ! .

وخرج شان من المطبخ ومس أوفريل مغرقة فى الضحك ! .

❊ ❊ ❊

حينما كان شارلى يتحدث مع مس اوفريل .. سمع صوت موسيقى وغناء منبعثا من الطابق الأول ، فعجب له بادىء الأمر .. ثم ما لبث أن تبين فى العازف على البيانو مستر رومانو ، وفى المطرب مستر بيتون ! .

ودخل شان البهو ، وغاص فى أحد المقاعد الضخمة .. وظل يستمع الى بيتون وهو يغنى وورومانو يصحبه على البيانو دون ان يشعر احد منهما بوجوده ..

وتوقف رومانو عن العزف فجاة ثم صاح :

ـ رائع ! . مدهش ! . عظيم ! . ان لك صوتا من ذهب .. ولا ينقصك الا الاقدام ..

فقال بيتون فى تردد :

ـ اتعتقد ذلك حقا ؟ .

ـ انك ضعيف الشخصية ! . وهذه هى العقبة الوحيدة التى تقف حائلا بينك وبين النجاح ! . وثق أننى اذا تعهدتك جعلت نصب عينى تقوية هذا الجانب الضعيف فيك .

وقال صوت من خلفهما :

ـ ان صوتك جميل حقا يا مستر بيتون .

والتفت الشاب الى مصدر الصوت وقال :

ـ هل تعتقد ذلك أيضا يا مستر شان ؟ .

وثب رومانو على قدميه .. وذهب الى شان وهو يقول :

ـ مسكين هذا الطفل .. لقد خلقت كثيرين من قبله كانوا اقل منه مقدرة فى الفن ، وجودة فى حسن الاداء .. الا انهم كانوا عظيمى الثقة بانفسهم .. واولهم ايلين لادونا ! .

والتفت الى بيتون وقال له :

ـ هل سمعت ؟ . ان صوتك يروق مستر شان ! . ويمكنك الآن أن تنتفع بالثروة الضخمة التى تركتها لادونا ! . فلها منزلان عظيمان فى نيويورك ، وتملك كثيرا من الاسهم والسندات فى معظم بنوك امريكا ..

فقال بيتون فى ضيق :

ـ لقد قلت لك قبل الآن اننى لن اقبل هذه التركة باى حال من الاحوال ..

ونهض شان .. وتقدم منهما .. ثم قال فى هدوء وهو يرمقهما بنظرة فاحصة :

ـ لا تكدر نفسك بهذه الأمور يا مستر بيتون .. فثروة لادونا لم تترك لك .. بل لمستر رومانو ..

ولمعت عينا رومانو ببريق غريب من الجشع .. وتشبثت اصابعه بكتفى شان وراح يهزه هزا عنيفا ويقول :

ـ هل ماتت لادونا قبل ان توقع على الوصية ! . ماذا تقول يا مستر شان ؟ . هل زالت حقا أيام الفقر والتسول ؟ .

ـ نعم ! . انها لم توقعها . .
والتفت رومانو الى بيتون وقال له :
ـ انني آسف يا سيدى ! . فقد اصبح من العسير ان اقبل المهمة التى وعدتك بادائها . . اذ ان مركزى وأعمالى المالية ستمنعنى من ذلك . . ولكنى لا زلت أنصحك بأن تثق فى نفسك وتكون على يقين من أن صوتك من أندر الاصوات فى عالم الغناء .
وقال شان فى لهجة ذات مغزى :
ـ ولكنى أخشى أن تذهب الثروة لابنها . .
فقال رومانو فى فزع :
ـ ليس لها ابن يا سيدى .
ـ لقد قلت ذلك بنفسك ! .
ـ كنت اكذب عليك . . او بالأحرى على مستر وارد . . ولا شك انك تلتمس لى الأعذار ! . الم تجرب قسوة الجوع فى يوم من الايام يا مستر شان ! . لقد كنت جائعا يا سيدى .
ـ ولكنك قلت الصدق دون أن تشعر ! . فقد كان للادونا ابن . . ومات هذا الابن من ثلاث سنوات .
وقال هيوز بيتون :
ـ أهنئك من كل قلبى يا مستر رومانو .
ـ شكرا لك . .
وانصرف هيوز من البهو . . بينما جلس رومانو على مقعد . . وصار يحملق الى قطع الخشب التى تئز وتحترق فى المدفأة بعينين حالمتين . .
وأخيرا . . اخرج منديلا من جيبه . . واذا به يجفف دمعة انحدرت على خده ويقول فى صوت منتحب :
ـ مسكينة هذه المرأة ! . لقد احببتها . . ولازلت احبها !. بل ولن انساها ما حييت . . لقد بعت مجدى ، ومالى ومستقبلى واشتريت بكل ذلك قلبها .
ومر بيده على جبهته وقال :
ـ ولقد خرجت من حبها بحقيقة واحدة ، وقاعدة صحيحة لا استثناء لها . . وهى ان المرأة لا تحب من يعطف عليها . ولا تأبه بمن يطوقها بشفقته وحنانه . . بل تعبد القاسى القليل المبالاة . . ولو خيل اليها انها تكرهه ، وتكره الأول ولو خيل اليها انها تحبه .
نعم يا مستر شان ! . فقد كان يطير لبى اذا رأيتها تدخن اكثر مما احدده لها ، أو تخرج بعد المسرح فى تيار من الهواء ، أو تلبس حذاء مبللا . . فانصحها وانصحها من اعماق قلبى ، ولكن نصائحى

هذه ما لبثت ان خفضت من قيمة حبي في قلبها .. فسرى سم الملل فيه ! . وصارت تنظر الى كثرثار اخرق .

فقال شارلى :

ـ انك فيلسوف يا مستر رومانو .

ـ بل قل ان كلماتي هذه . وقد ماتت لادونا ـ اشبه بثمرات الحنظل ان كان له ثمرة ! . فما اطلق لسانى بها الا التجارب المريرة التى حطمتنى .

وهز شان راسه فى بطء وقال :

ـ ان المراة لا تتزوج ، ولا تعشق لكى تجد بين احضانها أبا ثانيا ! . يصرخ فيها اذا ما سارت عارية القدمين على البلاط كما نقول فى هونولولو .

ونظر الى رومانو ثم قال له فجاة :

ـ مهما يكن الأمر .. فانك الشخص الوحيد الذى افاد كثيرا من مقتل لادونا ..

فالتفت اليه رومانو فى خوف ثم قال :

ـ ما الذى تعنيه ؟ . هل تقصد انى قتلتها .. يا الهى .. لقد كانت .. ولا تزال عزيزة لدى .

فهز شان كتفيه قائلا :

ـ انني لم اعن هذا .. او على الاقل لا اعنيه فى الوقت الحاضر يا مستر رومانو .

والواقع ان كلماته الأخيرة لم تعبر تماما عما يدور فى راسه من افكار .. اذ انه ما كاد يجلس على المقعد المقابل له حتى استعرض الحوادث الأخيرة التى مرت به : هل رومانو برىء حقا ؟ . ام انه كان يعلم ان لادونا لم توقع على وصيتها بعد ؟ . هل شعر بدخولى الى البهو حينما كان يعزف على البيانو وتظاهر بانه لم يشعر بى ؟ . ثم قال لبيتون ما قاله حول مال لادونا .. وصلاحية هذا الأخير للغناء ؟ .

ولم لا ؟ . فرومانو رغم طيبة قلبه ، وحبه الذى لا شك فيه لايلين .. حقود كأى ايطالى ! . وفقير معدم ! . وهو فوق كل ذلك على جانب لا يستهان به من الذكاء ..

غير ان شان لم يخرج بنتيجة ما من كل هذه الافكار والهواجس التى كانت تذهب به كل مذهب ! .

واخيرا .. ترك البهو .. وصعد الى غرفته ، واخرج من احد الادراج الكتاب الصغير الذى كتبت فيه لادونا جانبا من تاريخ حياتها .. وجلس على مقعد بجوار المدفاة وراح يقرا فيه حتى

سمع الساعة تدق سبع دقات .. وعلم أن موعد تنـاول طعام العشاء قد حان .. فترك غرفته واغلق بابها فى عناية .

❊ ❊ ❊

ومر شان فى طريقه الى الطابق الاول بغرفة المكتب .. فرأى وارد يتمشى فى أرجائها مضطربا وقد اطرق برأسه الى الأرض ! .

وشعر صاحب الدار بوقع اقـدام شارلى شان .. فالتفت اليه ودعاه الى الدخول .

وقال شارلى وهو ينحنى فى ادب كعادته

ـ لا شك أنك ستتناول معنا العشاء يا مستر وارد . فنحن الآن فى السابعة .

ـ فى السابعة ! . حسنا .

ثم وضع يده على كتف شان وقال له :

ـ اجلس هنا يا عزيزى ! . اننى فى شدة الأسف لـكل هذه المتاعب التى سببتها لك بدعوتى .

ثم أضاف مفكرا :

ـ لقد كدت أنسى المهمة التى استدعيتك من اجلها . فمعذرة لضعف ذاكرتى فى هذه الأيام .. ساحرر لك شيكا بخمسمائة من الجنيهات ..

شكرا لك .. فليس هذا ما يدفعنى الى البقاء .. لقد وعدت الشريف دون هولت بأن أمد له يد المساعدة فى حل طلاسم هذه الجريمة .. هذا كل مافى الأمر .. الا . .

وسكت شان فجاة .. وقال وهو ينظر الى الباب :

ـ الم تسمع وقع اقدام ؟ .

ـ اين ؟ .

ـ بالخارج ..

وخرج وارد مسرعا .. ولكنه عاد بعد برهة يقول فى شىء من الاضطراب :

ـ لم أجد احدا .. لقد كدت أنسى مسألة الشيك مرة ثانية يا مستر شان .

وذهب الى المكتب وتناول قلما من العاج ، غمسه بيد مرتجفة فى محبرة معدنية انيقة . وحرر الشيك لشان وناوله له .

ووضع شارلى الشيك فى جيبه دون أن ينظر اليه .. وقد علت وجهه ابتسامة غامضة غريبة !.

وظهر سنج بباب الغرفة فى هذا الوقت وهو يصيح فى سيده قائلا :

ـ لقد تأخرت نصف ساعة عن موعد العشاء يا سدى ! ».
ثم قال بانجليزية ركيكة
ـ اسرع .. اسرع يا سيدى .. ان الجميع ينتظرونك حول المائدة .

وخرج شان ووارد . وفى اثرهما الصينى العجوز وهو يعرج فى مشيته !.

الفصل الحادى عشر

من ذكريات .. لادونا ! .

دخل وارد وشان الى قاعة الطعام فوجدا مس بيتون وشقيقتها ؟ ومستر رومانو ينتظرونهما بصبر فارغ !.

وحيا مستر وارد ضيوفه بابتسامة لطيفة وقال :

ـ أين الدكتور سوان اذن ؟ .

فقال شارلى :

ـ لقد طلب منى ان يذهب الى رينو مع هولت وكاش وأمهلا بأن يقيم معهما فى الفندق لبعض شئون خاصة به ثم يعود اذا استدعى الحال .

فقال وارد وهو ينظر الى لسلى فى اعجاب :

ـ اخشى ان افقد ضيفا آخر أعز على نفسى من الدكتور سوان ! .

وابتسمت لسلى ابتسامة فاتنة وقالت :

ـ لن ننسى كرمك يا مستر وارد .. فانت كما يقولون افضل مضيف .. فى اسوأ ظروف ! .

ـ وأنا الآخر لن انساكم ..

وجلس شان ووارد . الذى حرص على ان يجعل جو المرح سائدا بين ضيوفه فآلى على نفسه أن يدير دفة الحديث فقال :

ـ لقد سمعت وأنا فى غرفة المكتب أحدا يغنى .. لقد كان صوتا جميلا حقا ..

فهتف رومانو :

ـ اليك شهادة اخرى يامستر بيتون !.

لقد قلت له مرارا انه يتمتع بصوت جميل فكان دائما قليل الثقة بنفسه .

وابتسم شان وقال :

ـ يسرنى أن أجد مستر وارد يشاركنى هذا الرأى .. فأنا ايضا قليل الثقة بنفسى ولاسيما فيما يتعلق بالموسيقى !. اذ ان

بعض فلاحى القوقاز يطربون احيانا لنعيق البوم ! . ولو ان هذا المثل لا علاقة له بك يا مستر بيتون ! .

وقهقه الشاب وقال :

ـ اشكرك كثيرا يا مستر شان .. سيكون لتشجيعكم هذا اطيب الأثر فى نفسى .

وقال رومانو لمس بيتون :

ـ مابال اخيك اضحى كالثور الضخم الذى يسلس القياد لطفل صغير ! . ولا يملك ذرة واحدة من الاعتماد على النفس .

فقالت الفتاة فى لهجة يائسة :

ـ لقد اصيب بذلك اخيرا يا مستر رومانو ! . وأنا أعرف السبب .. ولو انه يدعى أن عدم نجاحه فى احدى حفلاته التي اقامها فى نيويورك هو الذى فت فى عضده .

فصاح رومانو :

ـ انه ينقصه رجل ماهر ذكى يعرف كيف يصبه فى القالب الذى يجب أن يكون فيه شاب مثله ، له مثل هذا الصوت الذهبى .

فقالت مس بيتون :

ـ لا ينقصه سواك فى الواقع يا مستر رومانو .. فانك تستطيع على الأقل أن تعلمه معنى الثقة بالنفس .

ـ يؤسفنى الا اتمكن من اداء هذه المهمة الآن .. ومع ذلك يمكنني أن ابحث له عن رجل يحل محلى ويدفعه دفعا الى اوج العظمة .

فقالت الفتاة وقد تهلل وجهها بابتسامة :

ـ لا أدرى كيف أشكرك يا مستر رومانو ! . اننى لا أرجو فى الحياة الا نجاح بيتون .. وتحقيقه الأمل الذى يصبو اليه والداى فقد ضحيا بكل عزيز لديهما فى سبيله .

وقال وارد : كم اقدر فيك هذه العاطفة النبيلة نحو اخيك !. انك فتاة نادرة الوجود فى هذا العصر . ولا شك ان افتراقنا سيورث فى نفسى أثرا لا يزول ويؤسفنى أن نلتقى ونفترق فى هذه الظروف الحزينة دون ان أقوى على الاحتفاء بك وبجميع ضيوفى !.

وتكلم شان لاول مرة فقال :

ـ لم نتوقع أكثر من ذلك كرما يا مستر وارد !. اما عن الاقامة فى هذا القصر فانها رائعة ولا شك . ويكفى لأحدنا أن ينظر من الشرفة أو النافذة الى اشجار الصنوبر فى الصباح حين يكسوها الجليد بطبقة بيضاء . فيذهب هذا المنظر من نفسه كل شوائب الهموم .

ونظر اليه ديدلى وارد نظرة سريعة . واستطرد شارلى فى ابتسامة هادئة : ان هوايتى الوحيدة هى علم النبات . فلا يوجد اى نوع من النخيل فى هونولولو دون ان اعرفه !. فهناك نخيل جوز الهند ونخيل الملوك والفضى و . . . . و . . .

ـ انك واسع الاطلاع يا مستر شان .

ـ ولكننى جاهل جدا فى النباتات الثلجية ولا سيما اشجار الكانيفوراس

فصاحت الفتاة متعجبة : اشجار الـ . . . ماذا تقول يا مستر شان ؟

ـ اشجار (الكانيفوراس) !. اننى لا اقنع بما لدى من معلومات ابدا يا مس بيتون !.

ثم التفت الى رومانو فجأة وقال له : لا بد أن مستر رومانو يمكنه أن يحدثنا كثيرا عن أشجار الصنوبر وانواعها المتباينة ، فلا شك انك صادفتها كثيرا فى حربك فى صفوف الجيش الايطالى بجبال الالب . .

فقال رومانو فى تردد : لقد . . لقد رأيت أنواعا كثيرة منها ولكننى لا أعرف بطبيعة الحال اسماءها ولا مميزاتها !

ـ هذا ما كنت اخشاه ! الا اجد أحدا منكم يشبع فى هذه الرغبة ! اننى أتوق الى أن أعود الى هونولولو بقائمة من أنواع أشجار الصنوبر ولكن . .

والتفت الى جون رايدر وقال له : ولكن ! مستر جون رايدر ! انك ضالتى المنشودة ، ففى . . .

فقاطعه رايدر بصوت خشن :

ـ اننى لا أعرف شيئا عن هذه الاشجار

ـ ولكنك لبثت مدة طويلة فى سيرا نيفادا على ما اذكر ، وكنت مديرا للمناجم هناك .

ـ نعم ! أننى لا انكر هذا ، ولكننى لم اسمع قبل الآن أن بعض المناجم تستخرج منها أشجار الصنوبر .

وابتسم شان ، ونظر اليه فى خبث ثم قال : حسنا . سأتابع دراساتى بمفردى . لقد قرأت فى كتب النبات ان اغصان بعض اشجار الصنوبر يزداد سمكها كلما كانت قريبة من الارض . ورغم ذلك تكون اكثر ليونة من الاغصان التى تعلوها . سأحاول أن أعرف الآن ان كانت هذه الاشجار التى تحوط القصر من هذا النوع أم لا .

ودخل سنج فى هذا الوقت يحمل بعض الصحاف ثم انصرف .
فانتهز شان هذه الفرصة لادارة دفة الحديث والانتقال الى موضوع آخر غير اشجار الصنوبر التى لم يرق الحديث فيها الى احد من مستمعيه .
وتكلم شارلى عن جمال جزر المحيط الهادى ولا سيما جزيرة (هواى) فوجد من مس بينون شغفا كبيرا بالاستماع اليه . حتى انها صرحت له برغبتها فى قضاء عام باكمله فى هذه الجزيرة التى طالما سمعت عن جمالها . . فقال لها مداعبا : ان صحراء شمال افريقيا . ولهيب حرارتها المتقطع النظير تصبح جنة فى نظر رفيقين متحابين . فما بالك اذا ذهبت الى هواى لـ . . .
وتردد قليلا ثم قال :
ـ لتمضية شهر العسل مثلا .
واحمر وجه لسلى قليلا ثم قالت ضاحكة :
ـ انه حلم بعيد التحقيق على من كان فى مثل فقرى يا مستر شان .
ـ ان الفقر ثروة لا يستهان بها ! . ولا شك انك لا تحتاجين منى الى شرح قولى هذا .
وأومأت الفتاة براسها . وظلت صامتة .
وبعد ان تناولوا الطعام . استأذن المفتش شان قائلا :
ـ أرجو ان تسمحوا لى الآن بالذهاب الى غرفتى .
وقبل أن ينصرف . وقف برهة وراء مقعد (جون رايدر) ثم قال له فى رقة : هل يسمح سيدى أن يقضى بعض الوقت معى فى غرفتى المتواضعة بالطابق الثانى ؟.
ونظر اليه رايدر فى برود وقال فى جفاء : واذا رفضت .
ـ اضطررت الى أن اذكرك بأن نائب الامبراطور له سلطة الامبراطور ونائب الشريف . له سلطة الشريف .
ـ حتى ولو كان صينيا ؟.
قال ذلك . واستبق شان الى الدرج . وتبعه المفتش وهو يتميز غيظا : لقد لقبه الكثيرون فعلا بانه صينى . ولكن احدا منهم لم يذكرها على سبيل الاهانة كما فعل رايدر .
ودخل الاثنان الى غرفة شان فجلس رايدر على احد المقاعد وقال :
ـ لقد لاحظت أثناء تناولنا الطعام انك تحاول التدخل فى حياتى الخاصة .
فقال شان فى حزم : لقد عهد الى الشريف (دون هولت) بان

اكشف عن المجرم فى هذه القضية . ولا شك انه من الضرورى ان الم باكبر مقدار ممكن من المعلومات عن ماضى ايلين لادونا .
ـ حسنا وماذا تريد ؟
ـ أن تسرد على قصة الكوخ الذى تراكمت من حوله الثلوج حينما ذهبتما لقضاء شهر العسل فى سيرا نيفادا !.

ثم اعطاه مذكرات ايلين لادونا . واطلعه على الصفحة التى كتبت فيها قصة الكوخ .

وقرا رايدر الصفحة فى هدوء ثم قال : ثق اننى لا اعرف الى الآن طبيعة المهمة التى كلفك بها مستر هولت ؟ هل طلب منك ان تظل واقفا طول الوقت ؟.

وابتسم شان . وجلس فى مقعد امام رايدر . فقال هذا الاخير :
ـ كنت دائما من اشد المعجبين بلادونا .. فلما انفصلت عن زوجها الأول .. قابلتها فى نيويورك وكانت فى حالة تستدر الشفقة والعطف .. فعادت علاقاتنا الى ماكانت عليه من قوة . وصفوة القول اننا اتفقنا اخيرا على الزواج .. ووعدتنى بان تتخلى عن مهنة الفناء وتهيىء نفسها لكى تكون زوجة محبة وربة بيت صالحة ..

وسافرنا الى (سيرا نيفادا) .. وهناك .. فى هذا الكوخ الذى تتحدث عنه !. عرفت لادونا على حقيقتها !. فقد تنكرت لى .. وصارت تتكلم عن مباهج نيويورك وروما وباريس !. وتبكى وتنتحب اذا ماقارنتها بأضواء الشموع الصفراء التى كانت تتذبذب فى أركان الكوخ !.
وكرهتنى .. وكرهتها !. فمرضت ولازمت الفراش اكثر من شهر !. فما كان منها الا أن غادرتنى فى اول فرصة تمكنت فيها من ذلك . وانتزعت من فمها كلمة « الى اللقاء » انتزاعا .. ولم تأبه بمرضى الذى كنت أعانى من جرائه الآلام المبرحة !.

ومن ذلك الوقت .. بدت فى نظرى أحقر مخلوق فى هذا الوجود وآليت على نفسى الا اكلف عينى مذلة النظر اليها .

ولعلك تذكر انى لبثت محافظا على هذا الوعد الذى قطعته على نفسى الى آخر لحظة !. وقد رفضت طلبك الذى حضرت من أجله الى غرفتى لمقابلتها !.
لاتظن يامستر شان اننى افكر فى قتل امراة كهذه !.
فقال شان فى هدوء غريب : مستر رايدر !. الا يمكنك ان تذكر لى ماكان فى الخطاب الذى كتبته لك قبيل مقتلها ؟. انك قرات

هذا الخطاب .. بعد أن فضضته ثم القيت به فى مدفأة غرفة المكتب .

ــ لقد اخبرتك اننى لم ار هذا الخطاب .. وبطبيعة الحال لم أفضه . ولم ألق به فى النار .

ــ الا زلت مصمما على هذه الاقوال ؟.

ــ نعم !. لاننى لم أذهب الى غرفة المكتب .. ولم اغادر غرفتى بعد أن تركتنى واغلقت من خلفك الباب .. الى أن رأيتنى ثانيةأمام البهو بعد أن هبطت الدرج ..

ونهض شان عن مقعده .. ثم ذهب الى النافذة والقى نظرة على المطار . ثم قال : لم يبق الا سؤال واحد فقط .

ــ افرغ جعبتك حتى استريح من مضايقاتك ..

ــ حسنا !. لقد ذكر مستر وارد أن زواجك من لادونا لم يؤثر فى صداقتكما . اى انكما على علاقات من القوة بدرجة لاتؤثر فيها الغيرة التى تذهب بأثبت الألباب .

ــ نعم !. وما أهمية ذلك فى نظرك ؟

ــ انك تعرف مستر وارد من مدة طويلة اذن .

ــ نعم !. ولقد قال امامك على ما اذكر اننا صديقان من ايام الطفولة ، ولطالما قضيت اياما فى هذا القصر لن أنساها .

ــ اتعرف سنج معرفة قوية ؟.

فنظر اليه رايدر مليا ثم قال :

ــ نعم !. انه من أيام مستر وارد الكبير ، وهو رجل لانظير له فى الاخلاص والتضحية .

ــ هذا لا انكره يامستر رايدر ، ولكن ماأريده هو سؤالك ــ بصفتك صديقا قديما للقصر ــ ان كان سنج قوى البصر أمضعيفه؟

ــ لقد كان قوى البصر ، ومر على وقت طويل لم أزر فيهمستر وارد فاذا بى أجده بالأمس يقرأ احدى الصحف ويضعها على بعد بضعة سنتيمترات من عينيه ، فأيقنت انه تقدم فى السن فضعف بصره .

ــ الا يكون من الجائز انه لا يحتاج الى عوينات الاللقراءةفقط؟

ــ ربما !. ولكن ماعلاقتى بكل هذه الضجة التى تثيرها حول مينى سنج ؟. وما أهميتها ؟.

وانحنى شان امامه وقال : شكرا لك ياسيدى ! لقد اسديت الى يدا لاتنسى .

ونظر اليه جون رايدر فى ذهول !. ثم خرج من غرفته صامتا

وهو واثق من أن (شارلى شان) لايخرج من احد امرين ، اما ان يكون غبيا او .. مجنونا !.

***

وبعد انصراف جون رايدر ، تناول شان مذكرات ايلين لادونا وتابع قراءته فيها .

وكانت المذكرات مكتوبة بلغة قوية سلسة ، وباسلوب جذاب كأنه قطعة غير منفصلة من روح لادونا نفسها !.

وكان شان وهو يقرأ هذه المذكرات يشعر بأن وجهة نظره وتقديره الشخصى للادونا ابتدأ يتحول اصفها !. فقد تلمس فى تلك الكلمات ، زفرات روح معذبة هائمة ، وتأوهات قلب نبيل ، رقيق ، لايقوى على عواصف الأقدار وانواء المصائب التى كانت تلاحقه أينما رحل او حل !.

واخيرا ، وصل الى الفصل الخامس من هذه المذكرات ، فقرأ فيه :

« وبعد أن انتهيت من موسم الغناء فى برلين بنجاح تام ، سافرت الى (ستريزا) واقمت على ضفاف بحيرة (لاجوماجيورى) ، وانا الآن فى شرفة فى الـ (جران أوتيل) حيث أكتب هذه المذكرات اين يمكننى العثور على مكان ابهى من هـذا واجمل ؟. ارى عينى مأخوذتين بمفاتن هذه الطبيعة تتنقلان بينها فى نهم ! من قمم الألب الى هذه البحيرة ، ومن قبة السماء الزرقاء الى بساط الأرض السندسى !.

كم ارثى لحال هذا الرجل الذى لايمكنه أن . »

وعندما قرأ شان هذه العبارة ، اتسعت حدقتاه ، وراح صدره يعلو ويهبط فى سرعة غريبة !. وأفلتت من بين شفتيه رغما عنه صرخة ظفر وانتصار !.

الفصل الثانى عشر

القبلة الأولى ..

عندما هم شارلى بمتابعة قراءة مذكرات ايلين لادونا ، سمع طرقا على الباب ، ثم صوت الخادم الصينى وهو يقول : وصل مستر كاش من رينو .

وفتح شان باب الغرفة ، فوجد سنج ينظر اليه بعينين مضطربتين ويقول : وصل مستر كاش من رينو وهو يطلب مقابلتك فى الحال ، والظاهر انك ستعود معه ثانية ..

ـ هل اخبرك هو بذلك ؟.
ـ كلا .. ولكنه ترك محرك الزورق دائرا !.
ونظر اليه شان نظرة سريعة لاتخلو من اعجاب ثم هبط الى الطابق الأول على عجل ..
وهناك وجد مستر كاش واقفا عند المدفأة وهو يتحدث مع لسلى بيتون .
وما كاد يقع نظر الشاب على شان حتى هرع اليه وهو يصيح:
ـ ان الشريف يطلب منك ان تذهب فى الحال الى الفندق فى رينو ، وطلب منى ان ابقى انا فى القصر .. بينما تسرع أنت بالزورق البخارى الى هناك .
ونقل شان بصره بين الفتاة وكاش ثم قال :
ـ مس بيتون !. مارايك فى نزهة صغيرة معى على البحيرة بهذا القارب ؟.
فقالت الفتاة متهللة : انى ارحب بها كثيرا .. شكرا لك يامستر شان .
فقال كاش وهو ينظر الى المفتش شزرا : لقد طلب الشريف ان تظل مس بيتون فى القصر وكلفنى بحراستها والسهر على راحتها.
فقال شان فى خبث : سأتحمل وحدى مسئولية مخالفة اوامر الشريف !.
وصر كاش بأسنانه ، ونظر الى لسلى فى وله شديد .
والتفتت مس بيتون الى شان وقالت : صبرا لحظة ريثما ارتدى ملابسى .



جلست مس بيتون بجوار شان فى الزورق البخارى الذى انطلق بهما فى نصف دائرة كبيرة وقال شان مازحا : أرجو ان تحتمل أعصابك قيادتى !. اتذكر ان هذه هى المرة الثانية التى سمح لى فيها بقيادة زورق بخارى .
ـ ومتى كانت المرة الأولى ؟.
ـ فى احد خلجان هونولولو ، تحت رقابة ابنى الاكبر بوب!.
ـ بوب ؟! انه اسم جميل .
ـ لأنه أول الأسماء التى وقع اختيارى عليها ، اما بقية « المدرسة » فقد تعبت من اختيار اسم جديد لها كل عام ..
ـ أى مدرسة يامستر شان ؟.
ـ ابنائى وبناتى !. ان عددهم ولا شك اكبر من ضعف عدد أسرتك بأكملها !.

وضحكت مس بيتون ، وانطلق الزورق على مقربة من الشاطىء الايسر للبحيرة حيث تقوم بعض منازل مهجورة مظلمة .
وقال شان فجأة :
ــ هل علمت أن أخاك لايستحق شيئا فى تركة ايلين لادونا ، وان الوصية لم يوقع عليها منها ؟
فقالت مس بيتون :
ــ انه أحسن خبر سمعته طول العام !. ففضلا عن ان بيتون نفسه لم يطمع فى ثروتها ، حمدت الله كثيرا على انه سيظل فقيرا ، اذ ان مثل هذا المال كفيل بأن يقتل فيه نزعته الفنية وموهبته فى الغنــاء .
ــ أنت محقة فى ذلك ، ولا شك انك ارتحت كثيرا لموت لادونا .
ــ لم أحاول أن أفكر فى الأمر على هذا النمط ، ومع ذلك ؟ يجب أن أكون معك صريحة .. فقد كانت علاقة ايلين مع أخى نكبة من النكبات ، ولا أخفى عنك أنه هو بدوره قد أرتاح الى موتها الى حد ما .
ــ هل تكلم معك فى هذا الموضوع ؟
ــ كلا !. ولكنى أفهم اخى دون حاجة الى تصريح منه !. وأؤكد لك انه لم يفكر تفكيرا جديا فى الزواج من امراة هى اشبه ب .. آواه !.. لقد نسيت أنها ميتة !. ليغفر لها الله زلاتها . اننى ــ رغم كل ذلك ــ كنت لا أملك فى كثير من الاحيان ان أتمالك نفسى من الشعور بالشفقة عليها !. لقد كانت مسكينة حقا .
فقال شارلى فى لهجة حزينة :
ــ لم أعرف حقيقة أيلين لادونا الا منذ بضع ساعات فقط حينما قرات مذكراتها .
ــ هل تركت ايلين مذكرات ؟
ــ نعم .
ــ ربما أفادتك كثيرا يا مستر شان فى تحقيقاتك !
ــ كيف عثرت عليها
ــ عند مس بيشر سكرتيرتها الخاصة .
ــ لقد كنت أشعر ان فى هذه المرأة شيئا غريبا عن كل نساء العالم . لقد كانت فى الثامنة والثلاثين ، ومن يراها يحسبها فى العشرين .
ــ هذا مستحيل ! هل بلغت حقا هذه السن ؟.
ــ نعم ياسيدى .
وسكت شان قليلا وقال : لى سؤال واحد .

ـ وما هو ؟

ـ هل سبق لك أن التقيت بالدكتور سوان فى غير قصر مستر وارد ؟

ـ نعم . لقد قابلته فى رينو ، وقدمتنى له لادونا ، وبعد ذلك جمعتنا مائدة الروليت ، فجلست أشاهد ال . .

فهتف شان : هل هو مقامر ؟

ـ نعم !.

ـ حسنا !. لى رجاء واحد يامس بيتون ، وهو ان تتناسى الآن مسالة الوشاح الذى تعتقدين أن سوان وضعه فى غرفة المكتب وتتظاهرى بالتودد له حتى يطمئن اليك .

فصاحت فى عجب : انا ؟! ولم ؟.

ـ ان ذلك فى صالحنا جميعا ، وفى صالحك انت ايضا ؟ اذ يجب أن اراه وهو يقامر .

واطرقت الفتاة براسها وقالت باسمة :

ـ لايسعنى الا ان أجيب كل طلباتك يامستر شان !.

* * *

وصل شان ومس بيتون الى الفندق فاستقبلهما دون هولت الذى اهتم بطبيعة الحال بالفتاة وقادهما الى قاعة كبيرة فى الطابق العلوى حيث جلس دانسلى مدير الفندق وسام هولت الذى حضر خصيصا من تاهو لمقابلة شان والدكتور سوان ورجل آخر فى سترة سوداء .

وهمس هولت فى اذن الفتاة : لا ادرى ان كانت هذه النزهة قد راقتك ام لا ؟ لقد استعملت سلطتى كشريف لاحضارك بالقرب منى

فابتسمت لسلى وقالت : لقد كانت نزهة رائعة .

ثم نظرت الى الرجل ذى السترة السوداء وقالت له فى صوت خافت :

ـ ومن هو صاحب هذا الوجه الجديد ؟.

ـ انه مندوب من قسم الطب الشرعى .

ـ حسنا .! انتى أكتسب خبرة فى كل يوم اقضيه معكم .! فلم اقابل فى حياتي شريفا وهاأنذا قد قابلته .! وهذه اول مرة ايضا ارى فيها رجلا من قسم الطب الشرعى .!

فضحك هولت والتفت الى شان وقال له : لننتقل الآن الى « الاعمال » .

وانتحى هولت ووالده والمفتش ركنا بعيدا فى الغرفة ثم دعوا صاحب السترة السوداء الذى قدمه الشريف الى شان وهو يقول :

ـ اظنك تعرف الدكتور برايس يامستر شان .

فصافحه شارلى فى حرارة وقال له : ان سمعته طبقت الآفاق.
ـ عفوا ياسيدى ..
وفكر الدكتور برايس قليلا ثم قال :
ـ الى اى مرحلة وصل التحقيق ؟
فقال شان :
ـ ليس بوسعى ان اجيب عن سؤالك هذا بالضبط ياسيدى ؟ فربما لايفصلنا عن معرفة القاتل قيد انملة .! وربما كان بيننا وبينه اميال شاسعة .!
ـ على اى الحالات اتضح لنا من التشريح ان لادونا قتلها شخص او عدة اشخاص مجهولين ، فليس فى الامر احتمال انتحارها .
ـ هذا ماكنت واثقا منه ..
وما طبيعة الجرح الذى سببته الرصاصة يامستر برايس ؟
ـ لقد دخلت اربع بوصات ، وكان القاتل يعلوها وقتما أطلق مسدسه عليها .
ـ اى انها ربما كانت راكعة تحت قدميه .. او انه جذبها بقسوة والقى بها على الارض ثم قتلها .
ـ كلا الامرين محتمل يامستر شان .
وعقد شان حاجبيه ، وبدت على وجهه امارات التفكير العميق ثم قال : الا يمكنك ان تحدد بالضبط المدى الذى أطلقت منه الرصاصة يا دكتور برايس ؟.
ـ هذه المسألة من الصعوبة بمكان عظيم .! ومع ذلك فالمسدس لم يكن قريبا منها للدرجة التى تترك آثار البارود المحترق على ملابسها .. اذ اننا لم نجد شيئا من هذا القبيل .
وهز شان راسه ثم قال : بقيت مسألة هامة وهى ان كانت لادونا بعد اصابتها تحركت خطوة او خطوتين الى الخلف أم انها سقطت على ظهرها فى الحال .
وظهرت دلائل الحيرة على وجه الطبيب واخيرا لم يجد مفرا له الا فى الالتجاء الى التعبيرات الفنية فقال :
ـ يوجد رايان فى هذا الصدد . فالقلب البشرى عضو عضلى يتحرك فى انتظام وهو ..
فقاطعه سام هولت قائلا : يقصد الدكتور برايس انه ليس متاكدا مما اذا كانت لادونا قد تحركت بعد اصابتها أم لم تتحرك.
وابتسم شان وقال : هل معك الرصاصة .
فقال دون هولت :

– نعم لقد اخذتها من الدكتور برابس ووضعتها مع مسدس لادونا في في خزانة دانسلي الحديدية .

– هل يعلم احد انك وضعتها هناك .؟

– كلا .. اللهم الا دانسلي .

وانحنى شان للطبيب وقال له : والان اشكرك كثيرا يادكتور برابس على هذه المعلومات النافعة التي ادليت الينا بها .

– عفوا ياسيدي . انني اشكر الظروف التي هيأت لي فرصة التعارف بك ، ولك ان تتصل بي في اية لحظة . اذا رايت نفسك بحاجة الى خدماتي .

وغادر الغرفة وانصرف .



ولما عاد الثلاثة الى مس بيتون ودانسلي قال هذا الاخير :

– كنت احاول اقناع مس بيتون بالمكوث هنا الى الغد . انني لا انكر أن رينو في هذه الايام لاتغرى المرء بالبقاء فيها . ولكنهاستسر غدا ولا شك من فوضى الصحفيين الذين ابرقوا لنا اليوم بحضورهم في أول قطار في الصباح .

وما سمع دون هولت هذا القول حتى صاح : اى صحفيين ؟. وما سبب حضورهم الى رينو ؟. الاخذ معلومات عنمقتل لادونا؟.

– نعم . وقد لبثوا طيلة اليوم يحومون حول الفندق ويسالونني الف مرة ومرة عن مستر (شارلي شان) .

فقال الشريف في ارتياح : حسنا . سيتكفل بهم اذن مستر شان . فانا لا أعرف ماذا أقول لهم .

فقال شارلي في هدوء :

– ان سر التخلص منهم ، ان تتكلم كثيرا ولا تقل شيئا ذا بال، على اى الحالات دعهم . فانا أعرف موطن الداء فيهم .

وقالت لسلي : لاشك ان منظر الصحفيين وهم يتهافتون في الغد عليك يامستر شان سيكون مسليا . ولكن . كيف تقضى الليلة ؟ واين هي حياة الليل المرحة التي الفناها .

وقهقه دانسلي قائلا : حياة الليل يا آنسة ؟. ان رينو مقبضة في هذه الايام . واخشى الا تجدى فيها بغيتك .

– ولكني سمعت أن في الناحية الأخرى من المدينة بعض اندية ليلية لااظنها مقصورة فقط على المقامرة .

ونظر اليها شان نظرة مشجعة لانها كانت تسعى الى التودد الى سوان بطريقة غير مباشرة .

وقال دون هولت غاضبا : لاتوجد أندية للمقامرة فى الأمكنة التى تحت اشراف .
فقالت لسلى باسمة :
ـ دعنا نخرج من هذه القرية الورعة . ولابد ان تكون على مقربة منها مدينة . أو حتى . قرية صغيرة . نجدها أكثر مدنية واوفر مرحا من المناطق التى تحت اشراف مستر دون هولت .
ونظر اليها هولت نظرة طويلة لم تفهم مس بيتون كنهها .
وقال دانسلى : لن نجد أمامنا الا تروكى . ففيها مسرح صغير ودار للسينما وبعض الأندية الليلية . وعلى ذلك ستجدين فيها بغيتك المنشودة .
فهتفت الفتاة وهى تتهلل بشرا : كم أنا سعيدة الحظ .
وذهبت الى مقعد سام هولت وانحنت عليه قائلة فى رقة :
ـ يجب أن تأتى معنا ياسيدى .
فقال العجوز الأعمى :
ـ اننى أكره هذه الأماكن يا آنسة . ولكن لايسعنى ازاءعرضك ان ارفض .
فربتت لسلى على كتفه وهى تقول :
ـ شكرا لك ياسيدى .
ثم ذهبت الى الدكتور سوان وقالت له مداعبة :
ـ وأنت كذلك يادكتور سوان . لا أخالك ترفض دعوتى . ففى تروكى أعظم أندية للمقامرة .
ولمعت عينا سوان ولكنه قال فى تردد : الأفضل أن ابقى هنا .
ـ ولم !! لن نذهب بدونك ياسيدى .
ـ ان كان ذلك ، فانا طوع أمرك .
ونهض الدكتور سوان !.
واعتذر دانسلى عن الذهاب معهم لانه لايستطيع ان يغادر ادارة الفندق واكتفى بأن قدم لهم سيارته ليذهبوا بها الى تروكى .
أما (دون هولت) فقد اضطر بطبيعة الحال الى مصاحبتهم وهو لا يكاد يصدق ماسمعته اذناه من الحديث الودى الذى دار بين مس بيتون والدكتور سوان !.

❊ ❊ ❊

ووصلت السيارة الى (تروكى) بعد ان قطعت أكثر من خمسة عشر ميلا فى ارض غير ممهدة مكسوة بطبقة سميكة من الصقيع .

ولما دخلوا البلدة وجدوها مظلمة ، حزينة الا من بعض انوار خافتة .. وحركة يسيرة فى الطريق ، وقال الدكتور سوان وهو يشير الى بناء قديم كتب عليه بالمصابيح الكهربائية : « نادى زهرة السيونج » .

ـ هذا اكبر انديتها على ما اظن .

فقال هولت متهكما : ومامعنى زهرة السيونج هذه ؟.

فأجاب شان : انها زهرة فى الصين لاتتفتح الا على ضوء القمر.

ودخل الجميع النادى ، فقابلهم خادم فى سترة بيضاء وسروال اسود .. حياهم فى احترام كبير . وقال للدكتور سوان : كيف حالك ياسيدى . لقد مضت بضعة ايام دون أن تشرف نادينا .

ولم يجب سوان الا بقوله : ايوجد مقامرون بالطابق الثانى يا (بيث) .

ـ نعم ياسيدى .

وصعد الجميع الى الطابق الثانى فوجدوا ثلاثة رجال حول احدى الموائد الخضراء يلعبون البوكر . فانحنى شان امامهم وقدم نفسه وزملاءه اليهم ثم قال : أيمكننا أن نشارككم فى اللعب نصف ساعة فقط .

ـ بكل سرور ياسيدى .

وجلس شان . وبجواره الدكتور سوان ، أما دون هولت فانه ظل واقفا هو ومس بيتون . ثم قال لأبيه :

ـ انى لا أحب المقامرة . ولا مشاهدة المتقامرين . واظنك تشاطرنى هذا الرأى فهيا بنا الى الطابق الأول .

ـ كلا . سأظل أنا هنا . اذ يروقنى كثيرا ان اسمع صيحة الظافر وزمجرة الخاسر !. ان هذا يذكرنى بأيام الشباب التى لن تعود .

ـ حسنا . سأذهب بمفردى اذن .

وتركهم وهم بالانصراف متعمدا عدم النظر الى لسلى بيتون ! ولكن الفتاة ابتسمت له ابتسامة فاتنة وقالت فى لهجة تفيض بالاغراء :

ـ كلا . لن تذهب بمفردك يامستر هولت .

وتأبطت ذراعه . وهبط الاثنان الى الطابق الأول .

***

جلس هولت ولسلى حول احدى الموائد فى الطابق الأول من النادى . وظل هولت على لهجته التهكمية فقال : لاشك انك جائعة الآن .

فابتسمت لسلى وقالت : لامانع من تناول (سندوتش) وكوب من اللبن .

ـ عجبا !. ربما قصدت ان تقولى « كاسا من الويسكى »

واغرقت الفتاة فى الضحك وقالت : هل تعتقد ذلك حقا ؟

ثم وضعت يدها فى رفق على يده الموضوعة على المائدة . فنظر اليها هولت فى ذهول . وقال : اننى لا افهمك حقا .

ـ بل لاتريد أن تفهمى .

ـ كلا .. فقد اتضح لى أنك فتاة عادية كسائر الفتيـــات الأخريات .

وضغطت لسلى على يده وقالت :

ـ انك غير راض عنى الليلة . اليس كذلك ؟

ـ من ؟. أنا .. ولم لا أرضى عنك . كل ما فى الامر اننى غير راض عن نفسى . أو ربما كانت نفسى غير راضية عنى لاننى خدعتها

ـ ربما كنت مخطئا ياهو .. أقصد يامستر هولت ..

ـ معذرة . اننى لم أقصد أن أوجه اليك لوما بأى حال من الأحوال .

ـ ليس هذا ما اعنيه . ولكن خبرنى .. اليس من الجائز أن تكون مخطئا فى تقديرك لى .

ـ وكيف أخطىء ؟. ألم نحضر الى هذا النادى الليلة بناء على رغبتك وتنفيذا لاقتراحك ؟ اليس لى الحق بعد كل ذلك أن اندم لمخادعتى نفسى بنفسى وقد حسبتك فتاة أخرى غير هؤلاء الفتيات اللواتى تعج بهن المجتمعات ؟.

فقالت له مس بيتون فى هدوء وهى تنظر فى عينيه كأنها تحاول أن تنفذ الى قرارة نفسه . بعد كل هذه المحاضرة : ماذا تفعل اذا تبين لك بصفة قاطعة انك مخطىء فى تقديرك ؟

ـ لا أحب أن ..

ـ حسنا . لاسمع جوابك بعد ان أشرح لك كل شىء . اذ اننى لم احضر الى هنا الا بناء على رغبة مستر شان .

فهتف هولت : مستر شان !؟ ولكنه لم يقل شيئا من ذلك ونحن فى رينو .

ـ لقد اتفقنا على ذلك فى اثناء عودتنا من تاهو بالزورق البخارى، اذ انه طلب منى أن أتودد للدكتور سوان وأحمله على أن يقبل دعوتى بالذهاب الى أحد الأندية الليلية ، لان مستر شان كان يصر على ان يراه وهو يقامر ، فلما عارضته انبأنى ان مصلحة التحقيق ومصلحتى أنا تقتضى ذلك فاضطررت الى الرضوخ ».

ونهض (هولت) عن مقعده ، واتكأ بيده على المائدة ، ووقف بقامته المديدة ينظر اليها فى ابتسامة عذبة وقد لمعت عيناه ببريق عجيب ، ثم قال : اننى اعتذر عن سابق ظنونى . و .. انا سعيد بالاعتذار . اننى بالسلى .. معذرة .. يامس ..

وضغطت الفتاة على اناملة وقالت : بل قل يالسلى !.

— وانت أيضا ، لاتنادينى الا بهولت ! . اريد ان اسمعها منك ياعزيزتى .

— لى رسلك .. يا .. ياهولت !.

ولم تكد تكمل عبارتها حتى وضع يديه على كتفيها . فنهضت على قدميها وقد غمرت وجهها حمرة الخجل والتقت الشفاه فى قبلة طويلة .. عنيفة !.

وجلس هولت وتناول قدح القهوة .. ثم تذكر اخيرا شان !. فقال متعجبا : اننى لا أدرى السبب الذى من اجله صمم مستر شان على مشاهدة الدكتور سوان وهو يقامر !.

— لقد فكرت انا أيضا كثيرا دون جدوى .

ونظر هولت الى ساعته وقال : هيا بنا اليهم .

***

كان شان فى تلك الأثناء منهمكا بدوره فى المقامرة .! ولكنها مقامرة من نوع آخر .. لايهتم فيه بالكسب او الخسارة .

وكان كل هم شان منصبا على مراقبة الدكتور سوان وهويقلب فى يده القطع المستديرة الصغيرة .. الزرقاء.. والحمراءوالبيضاء وما كان يرتسم على وجهه من أمارات اذا ربح او خسر .

وكان شان بطبيعة الحال لايحسن اللعب .. فخسر كثيرا.. فنصح له سوان بالكف عن اللعب ولكنه صمم على البقاء الى النهاية!. وقال له :

— اعطنى عشر قطع زرقاء وساعوضك عنها .

فأعطاه سوان القطع العشر ..

ولكن شان ظل رغم ذلك يخسر حتى بلغت خسارته اكثر من عشرة دولارات .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة حينما دخل دون هولت ومس بيتون القاعة . فلما اقتربا من المائدة كان شان قد فقد كل قطعه .. ووقف منتصبا على قدميه وهو يقول : لقد ذهب آخر بنس فى جيبى !.

ثم رمى الاوراق الخمس التى فى يده وقال : ان حظى سيئ ولا امل لى فى الكسب .. ولذا فانى انسحب .

ونهض سوان كذلك وعد القطع الباقية لديه .. ثم رمى أدراته وقال : انني لم اخسر .. و .. ولم اكسب شيئا .!
ووضع القطع الملونة أمام الثلاثة الآخرين وهو يقول :
ـ سبعة دولارات وخمسة وعشرون سنتيما .
وقال أحد الرجال الثلاثة فى صوت خشن : الأجدر بكما ان تنتظرا قليلا .
فقال شارلى فى عزم :
ـ كلا ! . يجب ان نذهب الآن مع الشريف دون هولت .
فقال الآخر وهو ينظر الى كتفى هولت العريضتين : آه !. لقد نسيت أن أشكر لكم هذه الزيارة القصيرة يا سادة !. رافقتكم السلامة .

ولم تمض برهة قصيرة حتى كانوا جميعا فى السيارة التى انطلقت بهم تاركة من خلفها تلك المدينة المظلمة الحزينة .
وقالت لسلى للدكتور سوان :
ـ اعتقد أن المقامر يشعر بسرور عظيم فى أثناء اللعب يا سيدى !. أليس كذلك ؟.
ـ وما فائدة السرور بلا كسب ؟.
فقال شان بلهجة ذات مغزى :
ـ يقولون ان الجشع ـ اقصد المال ـ والسرور لا يجتمعان يا دكتور سوان .
ولم يجب سوان . وتابعت السيارة سيرها الى رينو .

***

ووصلوا الى الفندق . فذهب الدكتور سوان الى غرفته التى خصصت له . بينما ذهبت مس بيتون مع دانسلى لترشدها الى غرفتها . ووعدت هولت بأن تعود ثانية .
أما شان . فقد سار مع هولت وابيه وصعد الجميع الى الطابق العلوى .
وما استقر بهم المقام حتى قال شان لدون هولت :
اذكرك بكل تواضع انك مدين لى بمبلغ عشرة دولارات فقدتها فى المقامرة ! . ويمكنك ان تدرجها فى قائمة المصاريف الرسمية.
فنظر اليه (دون هولت) فى ذهول وقال له
انى ادفعها لك من جيبى بكل سرور يا مستر شان .ولكنك لا تتوقع ان ادرج فى المصاريف الرسمية نقودا صرفت فى لعب الميسر !.
فابتسم شان وقال : دعك من ذلك!. انها مسألة تافهه ولكن

ما ربحته هو انني استبعدت الدكتور سوان من قائمة المتهمين».

واتسعت حدقتا دون هولت من فرط الدهشة . بينما تقدم سام هولت بمقعده قليلا وقال :

ـ ماذا تقول يا مستر شان!. انني لم اسمع جيدا

ـ لقد استبعدت الدكتور سوان من الجريمة .

ثم وضع يده فى جيب سترته الكبير . واخرج بضع ورقات من (بروفات) الكتاب الذى كانت ايلين لادونا على وشك طبعه وقال :

ـ لقد اسعدنى حسن الحظ بالعثور على هذه المذكرات التى كتبتها لادونا . وحدث أننى بينما كنت اقرؤها ان وقع بصرى على هذا الجزء :

ثم ناول الكتاب لدون هولت وهو يقول له :

ـ اقرأ هذا الجزء بصوت مرتفع اذا سمحت

وقرأ هولت :

« بعد أن انتهيت من موسم الغناء فى برلين بنجاح تام،سافرت الى (ستريزا) واقمت على ضفاف بحيرة (لاجو ماجيورى)

فقال شان :

ـ ان (لاجو ماجيورى) من أكبر بحيرات ايطاليا .

واستمر هولت يقرأ المذكرات حتى وصل الى هذه الفقرة « كم أرثى لحال هذا الرجل الذى لا يمكنه ان يستمتع بهذا المنظر !. اننى اتأثر كثيرا كلما تذكرته !. انه مسكين مصاب بعمى الألوان ، لا يمكنه ان يتذوق جمال هذه الطبيعة الرائعة ..»

وما تفوه دون هولت بالعبارة الأخيرة حتى صاح سام :

ـ يا الهى !. مصاب بعمى الألوان !؟

فقال دون هولت فى تأثر : نعم كم هو مسكين هذا الرجل !. فكل مفاتن هذا العالم بالوانها الجميلة المتباينة تبدو فى عينيه رمادية مقبضة !.

يا الهى !. البحيرات المتلألئة ، والجبال المتوجة بالثلوج ، والأشجار الزاهية الباسقة ، كل ذلك لا يقوى على تمييزه !.نعم!. انه مسكين حقا .

وناول الكتاب الى شان الذى قال :

ـ نعم ، وكيف لا يكون مسكينا ذلك الرجل الذى ارسلته لادونا لاحضار وشاحها الأخضر فعاد بوشاح مس بيتون ذى اللون الفاتح !.

وكيف لا يكون مسكينا وقد وضع غطاء الصندوق الاصفر على القرمزى والقرمزى على الأصفر .
وضرب سام هولت بيده على ركبته وقال :

ـ مستر شان !. انك عبقرى فقد اهتديت الآن الى مفتاح السر .

ـ كلا !. لم اهتد اليه بعد !. اذ يبقى علينا أن نعرف هذا الشخص الذى كانت لادونا ترثى لحاله كلما تذكرته . لقد قمت بخدعة صغيرة اليوم . ولكن هناك عقبة كبيرة يجب أن اتخطاها حتى أتاكد من نتيجة هذه الخدعة .

وكل ما فى الأمر اننى ايقنت من أن الدكتور سوان ليس مصابا بعمى الالوان .. فقد لبثت الليلة أكثر من نصف ساعة وانا اراقبه وهو يلعب (البوكر) .. ويتصرف فى القطع الملونة دون ان يخطىء مرة واحدة .. وتاكدت من ذلك اخيرا حينما طلبت منه ان يقرضنى عشر قطع زرقاء ففعل ذلك فى الحال .

فهتف دون هولت :
ـ اهذا هو السبب الذى من اجله ذهبت الى تروكى وصممت على مشاهدة الدكتور سوان وهو يقامر .؟
فقال شان فى بساطة :
ـ نعم !. ولقد احسنت مس بيتون اداء مهمتها .

وقال سام هولت : اتظن اذن انها قتلت على مقربة من المختبر وكان القاتل فى الغرفة وقتئذ . ثم جر جثتها أمام الشرفة .

ـ اننى على يقين من ذلك..
فقال دون هولت متعجبا :

ـ اذن ما فائدة الحديث عن اشجار الصنوبر والأغصان الساقطة على الأرض ؟
فهز شان كتفيه وقال باسما :

ـ يقول البعض أن كولمبس اراد ان يذهب الى جزر الهند فلما ذهب الى أمريكا عدل عن رحلته الأولى !. ولم لا اكون محبا للطبيعة ؟. وهاويا من هواة علم النبات يا مستر هولت ؟. هل كتب على البوليس السرى الا ينظم القصائد الا فى الدماء السائلة !. ولا يترنم الا بصوت طلقات الرصاص وانات الجرحى..

الفصل الثالث عشر

الجريمة رقم (٢)

دخل (دانسلى) ومس بيتون الغرفة .. فى الوقت الذى كان شان يضع الكتاب فى جيبه .

ونسى دون هولت عمى الالوان !. واستقبل مس بيتون بابتسامة عريضة وهو يقول : لقد بررت بوعدك .. ولكن لم لم تخلعى ملابسك ؟

فقال دانسلى : لأنها مصممة على العودة الى تاهو لأن الغرفة لم ترقها !.

ــ لم ؟.

فقالت لسلى

ــ لقد شعرت برعدة شديدة حينما دخلتها .. وربما يرجع ذلك الى اننى تذكرت لادونا التى كانت تقضى جزءا كبيرا من السنة فى هذا الفندق ..

فقال هولت فى رفق : على رسلك يا عزيزتى .. كل ما يهمنى أن تنامى ملء جفنيك هذه الليلة .

فقال شان :

ــ نعم .. اننى ومس بيتون دائما على وفاق .. فقد كنت عازما على العودة الى تاهو هذه الليلة مهما كلفنى الأمر .

وخرجت مس بيتون من الفرفة وفى اثرها دون هولت ودانسلى .. والتفت شان الى العجوز وصافحه قائلا : الى اللقاء ياسيدى

فاستبقى سام يد شارلى فى يده وقال له : لقد اخبرنى اننى بما علمته من ان سنج ليس ضعيف البصر . وعلى ذلك استبعدت .

فقاطعه شان قائلا : دعنا من هذا الامر مؤقتا .! انك تعرف سنج من زمن طويل . فهل لم تلاحظ عليه او تسمع انه مصاب بعمى الألوان ؟.

ــ كلا !. فقد قضيت معه وقتا طويلا قبل ان افقد بصرى .. ولم الاحظ شيئا من هذا القبيل ..

ــ انت متأكد من ذلك .؟

فقال سام فى صبر نافد :

ــ مستر شان !. ارجوك الا تكلمنى مرة ثانية عن سنج !. اننى احب هذا الصينى من زمن بعيد .. واعتبره مثلا أعلى للفضائل وقد حاولت الا أفصح لك عن شعورى نحوه ولكنك اكرهتنى على ذلك اخيرا .

لقد كنت أعرف هذا الشعور يا سيدى !. ولا اختلف معك
فى انه مثل للتضحية والاخلاص .. ولكن من ادرانا انه اقدم على
هذا القتل بدافع رذيل ؟. فربما صور له عقله انه من الخير وخدمة
الانسانية القضاء على امراة مثل لادونا !.
ـ عفوا يا مستر شان اذا قلت لك أننى لا افهم كلمة واحدة
مما تقوله .. دعنا من سنج !. اننى لا أطلب منك ان تتغاضى عنه
فى التحقيق ولكنى لا اريدأن أسمع عنه انه أصيب بمكروه .
فابتسم شان وقال : لا اكتم عنك انا الآخر .. اننى اتمنى ان
يكون بريئا .. اذ ليس من المعقول ان افرح لرؤية عجوز مسكين
من بنى جنسى يتدلى جسده فى حبل المشنقة لأنه قتـــل . ـ لا
لجشع .. أو انتقام ـ بل ربما لاخراج احد يخلص له من مازق
خطير . ومع ذلك . لنطرح هذه المسالة جانبا فى الوقت الحاضر .
وتنهد العجوز فى ألم وقال :
ـ يحدثنى قلبى ان هذه الجريمة ستغير وجه العالم .. فابنى
.. دون هولت .
فقاطعه شان قائلا .
ـ انه المثل الأعلى للشاب الهادىء الرزين وقد أولتنى معرفته
شرفا عظيما .
وضحك سام فى سخرية وقال : هذا ما كنت أحسبه أنا !. أو
ما كان هو عليه بالفعل قبل وقوع الجريمة ، اما الآن . فقد أصبح
عاطفيا !. وتغيرت نبرات صوته . نعم !. اذ كنت على وشـــك الا
أعرفه حينما كان يتكلم مع مس بيتون !.
ووضع شان يده فى رفق على كتف سام وقال له :
ـ انها هى ايضا اعقل فتاة صادفتها فى حياتى !. لقـــد
كرست كل حياتها لرعاية أخيها الذى تحبه حبا جما ، وهى رغم
ثقافتها وذكائها . تبدو فى خلقها كأنها احدى فتيات القـــرن
الخامس عشر ..
فتنفس سام الصعداء وقال : ان نظرتك فى الناس صـــائبة
بغير شك .
ثم مد يده الى شان وتصافحا فى حـرارة ، وانصرف المفتش
من الغرفة مسرعا .

***

ركب شان ومس بيتون سيارة دانسلى ، وتطوع دون هولت
بأن يقودها الى شاطىء البحيرة .

وظل هولت والفتاة طول الطريق صامتين ، فادرك شان ما يجول بصدريهما فقال : ما بالكما صامتين ؟

فقالت مس بيتون : لنترك لك فرصة التفكير فى جو هادىء .

ـ شكرا !. ولكن هذا الجو ـ على ما اعتقد ـ ليس هادئا يامس بيتون !. اذ لست مطمئنا لدقات قلب الشريف . وضحك

ووصلت السيارة الى شاطىء البحيرة وكان الصقيع يتساقط فى غزارة ، فجرت مس بيتون ومن خلفها هولت ، ثم شان الى الزورق البخارى ، وقفزت الفتاة بخفة ورشاقة ، وتبعها شان الذى أسرع بادارة محركه ..

أما هولت !. فقد غير رأيه فى اللحظة الأخيرة وصمم على مرافقتهما !. حتى القصر فتخلى له شان عن القيادة . وانطلق الزورق الى تاهو فى سرعة عظيمة ..

ولما وصلوا الى القصر ، استقبلهم سنج ، ثم سار بهم الى الطابق الأول ، وهناك وجدوا (كاش) و (رومانو) جالسين على مقربة من المدفاة .

ولما راى كاش الشريف نهض واقفا وحياهم باحترام وهو يقول : لقد نام الجميع منذ ساعات !. ولم يبق معى الا هذا البروفسور العظيم !.

والآن وقد أنتهت مهمتى بعودة مستر شان ، افلا نعود اذن يا سيدى ؟.

وخرج الاثنان من البهو ، كما اسرعت مس بيتون الى غرفتها فى الطابق الثانى وبقى شان ورومانو ، فتقدم هذا الأخير من المفتش وقال له :

ـ ان منحتنى بضع دقائق من وقتك اكون شاكرا !. اذ اريد أن افضى اليك ببعض الأقوال أو المعلومات ان شئت ان تسميها

ونظر اليه شان فى اهتمام شديد ثم قال له : لك بضع ساعات من وقتى ، فهيا بنا الى غرفتى

وصعد الاثنان الى غرفة شارلى شان فقدم هذا الاخير لرومانو مقعدا على مقربة من المدفاة وقال له متوددا :

ـ ما الذى يجول بخاطرك يا عزيزى ؟.

ـ افكار متعددة متباينة !. فهذه الثروة التى هبطت على من حيث لا اشعر ، غيرت ، أو ، ستغير مجرى حياتى . ولا غرابة فى ذلك يا مستر شان! . كما لا غرابة فى أن أول رد فعل لهذا الميراث

هو تلك الرغبة الملحة التى تدفعنى الى مغـــادرة هذا القصر فى الحال . والآن الى اى مدى سار التحقيق فى مقتل لادونا .
ـ الى حد بعيد ؟.
ـ والى متى نظل بين جدران هذا القصر ؟.
ـ الى ان نضع يدنا على القاتل . أو القتلة !.
وفجأة التفت رومانو خلفه . ونظر الى باب الغرفة طويلا ثم همس :
ـ لقد سمعت ضجة بالخارج !. الم تسمعها أنت ايضـــــا يا مستر شان ؟.
فنهض شان . وسار على أطراف انامله وفتح الباب فى حرص .. وتلفت يمنة ويسرة . ثم ارهف السمع . ولكنه لم يســـمع شيئا فاغلق الباب وقال :
ـ لا يوجد شىء بالخارج !. واغلب ظنى ان حالتك النفسـية مضطربة يا مستر رومانو !. والآن الديك اقوال اخرى ؟. اما من جديد تود اضافته الى ما سبق لك الادلاء به ؟.
ـ كلا . لا شىء البتة .
ثم نهض عن مقعده وهو يقول :
ـ لقد اردت فقط ان اعرب لك عن رغبتى فى الســـفر على جناح السرعة الى نيويورك . وانى ابتهل الى الله ان تنجـح فى مهمتك فى أسرع وقت ممكن .
فقال شان وقد ضاقت عيناه قليلا :
ـ من المحتمل كثيرا ـ ولاسيما فى هذه الحالة ـ أن يكـــون النجاح مفاجئا .
ـ هذا ما اتمناه من كل قلبى .. وارجو الا اكون قد اضعت وقتك الثمين .. الى اللقاء يا سيدى .
وخرج رومانو من الغرفة .

***

جلس شان فى مقعده . وابتدا يستعيد بذاكرته القـــوية كل كلمة دارت بينه وبين رومانو . الذى لم تخـــل اقواله من بعض الغرابة .
ما الذى دفعه أولا الى رجاء شان بأن يمنحه « بضـع دقائق من وقته » على حد تعبيره ! . وهو الذى كان يتجنب مقابلته قدر المستطاع ؟.
هل يخفى شيئا هاما ؟.

الم يكن كل شيء فى القصر هادئا حينما خيل اليـه انه سمع ضجة بالخارج ؟ . اليس معنى ذلك انه يعانى حالة نفسـية قلقة ؟.

وهل كان حقيقة داخل غرفته حينما قتـلت لادونا ام انه يحاول فقط ان يذهب عنه الشك ويقف موقف البـرىء الذى لا غبار عليه ؟

ولم لا ؟. لقد قرا شان فى عينيه دائما خبثا دفينـا ودهاء لا حد له .

ولما أعياه التفكير .. تناول مذكرات لادونا ولبث يقرا فيهـا حتى دقت الساعة الواحدة . فوضعها جانبا . وذهب الى النافذة وفتحها فوجد البحيرة واشجار الصنوبر وقد اختفت جميعهـا تحت ستار كثيف من الضباب والصقيع المتساقط .

وبعث هذا المنظر فى شان روح المغامرة . فـذهب فى حـركة لا شعورية الى الدولاب وارتدى معطفه الثقيل وقبعته.. وتحسس مصباحه الكهربائى . حتى اذا ما اطمأن الى وجـوده خرج من غرفته .. واغلق بابها فى عناية . ثم سـار على اطـراف انامله فى الظلام وهو يسترشد بالجدران .

واختار شان هذه المرة الدرج الخلفى وهبطه فى حرص حتى وصل الى الباب الخلفى دون ان يشعر أحد به !

وتسلل حتى وصل الى البناء الصغير الذى فاجاه فيه سنج. وأطلق ضوء مصباحه الكهربائى . ولكن قدر له الا يدخل البنـاء هذه المرة أيضـا !. فقد رأى آثار اقدام متجهة من الباب الخلفى للقصر الى ناحية البحيرة.. فقال فى نفسـه وهو يحملق اليها: لاشك انها آثار حديثة . والا كان هذا الصقيع المتساقط قد طمرها :. ان أحدا غادر القصر الليلة منذ برهة وجيزة .

وصمم شان على تتبع آثار الأقدام . التى ادرك من فحصها وبعدها عن بعضها ان صاحبها كان مسرعا .. وكانت الآثارمتجهة الى ناحية رينو بمحاذاة الشاطىء الأيسر للبحيرة . ولبث شـان يتتبعها حتى قطع اكثر من ميلين ... واخيرا انحرفت فجـاة الى منزل مكون من طابقين ومشيد من الخشب السميك .

واتجهت الآثار الى باب المنزل فوقف شارلى أمامه مترددا . فقد كان المكان يبدو مهجورا لا صوت فيه ولا حركة .

واخيرا دفع الباب فانفتح !. ودخل . فوجد نفسه فى ممر طويل .

وازداد شارلى حيرة واضطرابا حينما رأى على ضوء بطاريته

آثارا من الثلج تخلفت ولاشك من حذاء نفس الرجل المجهول الذى تتبعه شان من القصر الى هذا المكان !. واقتفى هذه الآثار الجديدة . فقادته الى بهو صغير ثم الى درج خشبى ارتقاه شان حتى بلغ بابا قصيرا وهو باب الطابق الثانى .

وعالج شان الباب فوجده مغلقا . والقى نظرة سريعة على قفله المحكم فادرك استحالة فتحه . فرفع يده ليطرق الباب . واذا به يسمع صوت باب آخر يغلق فى الطابق الاول ! وتعلقت انفاسه فاطفأ نور مصباحه الكهربائى الصغير ووضعه فى جيبه وتحولت حواسه الخمس الى اذنين فحسب .

لم تكن هذه اول مرة يضع فيها شارلى نفسه فى مثل هذا المأزق الحرج .

ولكنه تحرك من مكانه وابتدأ يهبط الدرج فى سرعة وخفة . حتى اذا ما وصل الى منتصفه وقف فجاة وخيل اليه ان قلبه وقف معه !. فقد أشعل الشخص المجهول الذى اغلق الباب من برهة عود ثقاب .

والتصق شان بالجدار. وابتدأ الآخر .. يصعد الدرج !.

وانطفأ العود فجاة .. فساد ظلام كثيف . وانتظر شان من غريمه ان يشعل عودا آخر ولكنه لم يفعل !. بل تابع صعوده فى الظلام بخطوات ثقيلة ثابتة .. علم شارلى من وقعها انها لوحش قوى . ضخم الجسم !. فسرت به رعدة من قمة رأسه الى اخمص قدميه ..

واخيرا .. وجد شارلى الا مفر له من تخطى النار قبل ان تصل اليه وتحرقه .. فانتظر حتى شعر باقتراب غريمه منه . واندفع اليه فجاة ودفعه بكل ما يملك من قوة !.

وكم كانت دهشة شان ورعبه حينما وجد هذا الرجل المجهول لايتزحزح من مكانه قيد انملة !. ولا يفقد توازنه !. وما هى الالحظة اخرى حتى كان شان بين ذراعيه كالفار بين أنياب القط !..

ولم يجد المفتش من سبل الدفاع سوى أن يضع قدمه فى الجدار ويدفع جسمه فى قوة فيسقط الاثنان الى اسفل فقد يتحسن الموقف هناك قليلا !.

ونجحت مناورته فى القسم الأول منها وتدحرج الاثنان فى ضجة شديدة على الدرج الخشبى .. الى الطابق الاول وسرعان ما وجد شان ان غريمه يعلوه بجسمه الضخم !. ويضغط بركبتيه على بطنه . ثم يطوق عنقه بيديه القويتين .

ولم يجد شان مفرا من الالتجاء الى الخداع مادامت القوة لم تجد فتيلا فقال فى صوت مختنق : الا يجدر بنا ان نتفاهم اولا .. فربما ..

ولم يكمل جملته !. فقد صاح الرجل المجهول وهو يرفع يديه من عنقه فجاة : يا الهى !. انه شارلى شان !.

وعرف شارلى فى صاحب الصوت .. الشريف دون هولت !. وعاونه هولت على النهوض وهو يقول فى اسف :

ـ معذرة يا سيدى المفتش !. فلم يدر بخلدى ابدا اننى سالقاك فى هذا المكان !. ارجو من كل قلبى الا اكون قد اصبتك بسوء ..

ـ كلا ! . فقد نجوت والحمد لله ..

وقال هولت فى همس :

ـ لقد كنت نائما فى غرفتى حينما اقبل والدى واخبرنى انه سمع صوتا .

فقاطعه شان قائلا : احظة واحدة يا عزيزى . ساسمع قصتك فيما بعد .. اما الآن فأعتقد انه من الضرورى ان نصعد الى الطابق الثانى فقد وجدت بابا مغلقا هناك .. يجب ان نعلم ما وراءه !.

واخرج مصباحه الكهربائى من جيبه وسلط ضوءه امامه وصعد الدرج مسرعا الى الطابق الثانى .. ولما وقفا امام الباب. فحص قفله للمرة الثانية وهو يقول : لقد قادتنى الى هنا آثار الثلج المتساقطة من حذاء شخص مجهول دخل الى هذا المنزل منذ برهة .

ورفع هولت يده الطويلة وهوى بها على الباب فى شدة.. فلم يسمع الا صداها الذى تردد فى ارجاء القصر ..

ولما لم يحظ بجواب خطا الى الخلف بضع خطوات.. ثم اندفع الى الباب بكل قوته وضربه بكتفه فانفتح وتحطم القفل ..

ودخل شان فى المقدمة . وكشف ضوء بطاريته المكان .. فاذا به غرفة نوم عادية .. وبدت مقاعدها العتيقة فى الظلام كالاشباح .

واخيرا استقرت دائرة النور على رجل منطرح على وجهه.. وراقد بجوار فراش مرتب منظم .

ولما تلألأت الدماء فى ضوء المصباح الكهربائى.. سرت بهما رعدة شديدة .

وتذكر شان فجاة ما قاله رومانو له من وجود ضجة وراء

الباب .. فقال يحدث نفسه لقد كان صادقا بغير شك ! . وانا الذى كنت فى حالة نفسية مضطربة ..

ودخل الاثنان الغرفة . وانحنى شان على الرجل الملقى على الارض . ورفع راسه .. فلم يتمالك نفسه من ان يصيح فى عجب شديد : انه الدكتور سوان.

ـ هل مات ؟.

فقال شان وهو يقبض على يد الدكتور :

ـ نعم !. لقد كف قلبه عن النبض !. ومازال جسمه ساخنا..

الفصل الرابع عشر

القـــــاتل

دهش هولت ايما دهشة لهذه المفاجاة وسال شان : لم غادر سوان الفندق وما معنى عثورنا عليه مقتولا فى هذا المنـــــزل المهجور ؟

فقال شان وهو يدقق النظر الى الجثة : معنى ذلك ان المحتال قد وصل الى نهايته !. فالدكتور سوان كما تعلم كان ..

ـ نعم . نعم .! كان يبتز المال من لادونا بطريق التهديد . فهل تقصد انه قتل بيد ارادت ان تنتقم لايلين ؟.

ـ بل ربما بنفس اليد التى قتلتها !.

فحملق اليه دون هولت فى ذهول وتساؤل . واستطرد شان:

ـ اليس من الجائز ان يكون الدكتور سوان ترك غرفته قبيل موت لادونا وذهب الى غرفة المكتب ليسوى أموره مع مطلقته ؟.

ولنفرض انه راى القاتل فى هذه اللحظة .. أفلا يجد فيـــه ضحية جديدة لابتزاز المال منه بتهديده بافشاء سره هو الآخر؟.

فقال هولت موافقا : هذا منطق صائب يا مستر شان ..

ـ بل ربما كانت الحقيقة بعينها اذ لا يبعد ان يكون الدكتور سوان قد ترك الفندق الى هذا المنزل الذى كان على موعد فيه مع القاتل .. ليأخذ منه الدفعة الاولى التى يشترى بها سكوته .. فلما تقابلا .أعطاه القاتل رصاصة فى صدره بدلا من النقود !. اما لعجزه عن دفع المبلغ الذى طلبه منه .. او لعلمه بأنه لن يكون الا فتح شهية لجشع الدكتور سوان الذى لا نهاية له !.

والآن . ما الذى جاء بك انت كذلك الى هذا المكان ؟.

ـ لقد حضر ابى الى غرفتى واخبرنى انه لبث مستيقظا مدة

طويلة - بسبب قلقه على سنج على ما ارجح - فسمع صرير باب يفتح في حرص شديد فنهضت في الحال من فراشي.. وارتديت ملابسي . ثم غادرت الغرفة مسرعا . واتجهت راسا الى الغرفة التي ينام بها سوان .. فوجدتها خالية .. وخيل الى انه ركن الى الفرار فاسرعت في أثره لانني كنت متأكدا من ان الدكتور سوان - ان كان قد تعمد الهرب من قبضتنا - فلن يجد في رينو في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. أي نوع من انواع المواصلات ..

وهبطت الدرج مسرعا ثم خرجت من الفندق فرأيت على ضوء المصباح الأصفر الباهت المعلق ببابه آثار اقدام حديثة لم يطمرها الصقيع بعد . فعدت ادراجي وتزودت بكمية من الثقاب لاخفاقي في العثور على مصباح كهربائي بالفندق .

سرت في أثر الأقدام وانا استعين بأعواد الثقاب التي كان يطفئها الصقيع بمجرد اشتعالها .. وأخيرا .. قادتني الآثار الى هذا المنزل .. وحينئذ رأيت بصيصا ضعيفا من ضوء متنقل على الضلف الخشبية لنوافذ الطابق الأول واظنه كان مصباحك الكهربائي . فتقدمت في حرص . ووجدت الباب مفتوحا فدخلت الى البهو . وهناك أوقدت آخر عود ثقاب كان معي .. وحاولت صعود الدرج بعد انطفائه ، في الظلام ، ومن ثم التقيت بك وهبطنا سويا الى ..

- نعم !. نعم . لقد تذكرت !. انني لن انسى هذه « الموقعة » يا عزيزي !.

ثم سأله : أانت متأكد ان الباب كان مفتوحا ؟.

- هذا مما لا شك فيه ..

ففكر المفتش قليلا ثم قال :

- لابد ان القاتل لم يكن عزمه قد استقر على اخفاء الجثة في هذا البيت . وربما كان مختبئا هنا منذ لحظات معدودة وانتهز فرصة اشتباكنا ولاذ باذيال الفرار .. ولكن !. لم ترك الباب مفتوحا ؟.

- لابد انه كان عالما بانه لن يقضي مع الدكتور سوان الا برهة وجيزة فكفى نفسه مؤونة اغلاقه ليخرج منه ثانية ثم يغلقه ..

- هذا التعليل معقول يا مستر هولت . هلم بنا اذن الى الطابق الاول ..

واغلق المفتش غرفة الجريمة وهبطا الى الطابق الاول ..

واسرع شان الى الباب الخارجى ولشد ما كانت دهشته حينما وجده مغلقا .. فقال فى ياس شديد لقد هرب منا القاتل!.

وحطم الاثنان الباب ، وما خرجا من المنزل حتى وجدا الامطار تهطل بغزارة . فقال هولت : يجب ان نسرع فى عملنا يا مستر شان .. قبل ان تذهب الامطار بآثاره .. ورأى شان فعلا على ضوء بطاريته آثار اقدام القاتل وهى متجهة نحو البحيرة .. فسار الاثنان على آثارها فوجداها تنتهى عند البحيرة فقال هولت : لاشك ان القاتل استغل قاربا كان ينتظره .

ففكر شان قليلا ثم قال :

ـ ان كان القاتل قدحضر الى هنا فى قارب كما تقول .. فلمن كانت تلك الآثار التى تتبعها من القصر الى المنزل المهجور ؟..

ـ اواه !. أعثرت أنت كذلك على آثار اقدام ؟.

ـ نعم !. وهى التى قادتنى الى هنا ..

ـ لابد انها لنفس الرجل ..

ـ هذا مما لا جدال فيه ..

ـ اذن اين ذهبت آثاره ؟!.

وظهرت دلائل الحيرة على وجه هولت فقال شان :

ـ لم لا يكون القاتل قد شعر بوجودنا وخشى ان نتتبع آثاره فنزل الى البحيرة وسار فيها بجوار الشاطىء مسافة كبيرة او سبح .. ليخرج من ناحية اخرى نكون قد فقدنا اثره عندها .؟

وضرب هولت جبهته براحته وصاح : انك عبقرى يا مستر شان .! هذا هو ما حدث بالضبط ولاشك .. ولكن ما رايك فى ان نقطع عليه خط الرجعة ، فتيمم انت شطر تاهو وانا شطر رينو فاذا ما عثر احدنا على آثاره وهو خارج من البحيرة .. تتبعها حتى نهايتها .

ـ اننى اعرف انها سوف تنتهى الى القصر . ومع ذلك فلا فائدة من تتبعها فى هذا الجو الممطر .

ـ هذا صحيح .. اذن الافضل ان اعود انا الى رينو .. وتذهب انت لتلقى نظرة على القصر .

وكيف تعود الآن .؟ ولا توجد أى وسيلة سوى قدميك .؟

ـ انها قوية يا مستر شان .. فلا تخش شيئا اذ يجب ان اعود بالطبيب فى الصباح لفحص هذه الجثة الجديدة ..

ـ حسنا .. انها فكرة رائعة .. ولكنى ساظل فى هذا المنزل.

فقد يعود القاتل بعد قليل لاخذ الجثة واخفائها .! لاننا فاجأناه قبل أن ينتهي من انجاز كل خطته .

فقال هولت :

حسنا .! سأتركك الآن .! ولا اكتم عنك انني لست مرتاحا الى ما ذكرته من احتمال عودة القاتل لاخذ الجثة . الى اللقاء.. وأتمنى لك حظا حسنا ..

ترك شارلي الباب وراءه مفتوحا . وجلس قبالته على مقعد كبير في بهو الطابق الأول حتى يرى كل من يدخل او يخرج من المكان ..

واستعاد شان في ذاكرته كل الاشخاص الذين تحوم من حولهم الشبهات : فالخادم سنج لم يتيسر للمفتش بعد ان يقرا ما في عينيه الضيقتين من خبث ودهاء .. وسيسيل التي اشتعلت نيران الغيرة في قلبها حينما سمعت ازيز الطائرة التي تحوم حول القصر .. وزوجها ميشيل الذي عرف شان أخيرا انه لا يزال متيما بلادونا التي كانت تسخر منه وتصده عنها !. وهو شاب هادىء مسالم خارج الطائرة .. وماهر جرىء كالصقر من داخلها .. وروماتو الذي اثرى فجأة بعد موت لادونا . وهيوز بيتون الذي سئم المطربة التي كانت على وشك القضاء على مستقبله والتي تركته في القصر لتذهب مع عشيقها ميشيل على ما كان يعتقد !. وشقيقته لسلي التي صرحت بكراهيتها لايلين وارتياحها لموتها .. ووارد الذي كان غاضبا عليها لاخفائها عنه امر ابنه.. وجون رايدر بلحيته الشقراء ولهجته الخشنة وحقده عليها . وأخيرا الدكتور سوان.. الذي ترقد جثته الآن في الطابق الثاني!.

هل حاول سوان أن يرتكب تهديدا جديدا لابتزاز المال فلاقى حتفه ، ام انه قتل لحقد أو رغبة في الانتقام؟. وهل معنى ذلك ان المشادة التي وقعت بينه وبين ميشيل كانت لها ذيول اخرى ؟

وانتهى شارلي من تفكيره على صوت الامطار التي كانت تسقط في غزارة بالخارج .. وانتهى عزمه على ان يغلق الباب اذ من غير المتوقع ان يعود القاتل بعد انقضاء كل هذه الفترة . فذهب اليه في خطوات متثاقلة . ولما كان قفله محطما .. فقد وضع من خلفه مقعدا كبيرا وعاد ثانية الى مقعده وحاول شان ان يعود الى تفكيره ولكنه استسلم اخيرا للنعاس .

وفى الصباح المبكر .. استيقظ المفتش فزعا على صوت (دون هولت) وهو يقول له :

ـ آسف لازعاجك يا سيدى !

ونهض شان لتوه .. وكان البهو قد غمره نور النهار .. ولم تكف الامطار بعد عن الهطول بالخارج ..

ورأى شارلى خلف الشريف رجلا فى سترة سوداء عرف فيه مندوب قلم تحقيق الشخصية .

وقال دون هولت وهو ينظر حوله : الم يحدث شىء ذو بال ؟!

فقال شان وهو يتثاءب : لا اظن .. او .. او لا اتذكر !. اذ لا ادرى كيف تغلبت على النوم فى الليلة الماضية ؟!

وفى لحظة استعاد نشاطه . وقال : هيا بنا الى الطابق الثانى .

واستبقهما الى حيث يرقد الدكتور سوان .. وتبعه هولت والطبيب الى الغرفة فشاهدا ـ فى الضوء القليل المتسرب من ستائر الغرفة ـ جثة سوان ممدودة بجانب الفراش .

وازاح شان الستائر . وفتح النافذة ، ولبث برهة ينظر الى الجدار الخارجى .. ولشد ما كانت دهشة هولت والطبيب حينما راياه يتسلق النافذة !.

وصاح به الشريف : ماذا تفعل يا مستر شان !. ان النافذة تبعد عن الارض باكثر من عشرة امتار ؟.

ـ لا شىء سوى تمرين صغير لساقى ؟.

ولاحظ شان ان الصقيع المتراكم على الافريز تحت النافذة يذوب فى بطء تحت اشعة الشمس الواهنة .. الا ان جانبا منه كان يذوب فى سرعة لفتت نظره فادرك ان سمك الصقيع فى هذه البقعة لابد ان يكون اقل من غيره فلما عبث باصابعه فيه .. شعر بجسم صلب بارد .. وما لبث ان اخرج مسدسا صغيرا كسى بطبقة رقيقة من الصقيع .

وعاد شان الى الغرفة وهو يقول :

ـ ان الرجل الذى يدفن كنوزه فى الثلج ينسى ان الصيف لابد آت !.

الفصل الخامس عشر

المسدس رقم (٢) ؟.

وناول شان المسدس الى الشريف وهو يقول له:

ـ افحصه . ولا تخش شيئا .. فالمجرم الذى امامنا لا يترك بصمات اصابع !.

وتناول هولت المسدس بين يديه .. فساله شارلى شان قائلا :

ـ كم رصاصة اطلقت منه ؟.

ـ واحدة بطبيعة الحال ..

ـ ربما .. اتقصد تلك التى ذهبت بحياة سوان ؟

ـ نعم ..

ـ احتفظ اذن بهذا السلاح فقد تكون فائدته مزدوجة .. وقد يلقى ضوء على الجريمة الاولى .

فقال هولت : اتظن ذلك حقا ؟.

ـ وآمل ان يتحقق ظنى ..

ثم التفت الى الطبيب وقال له

ـ سأنتظر نتيجة التشريح واخراج الرصاصة بصبر فارغ.. فهى تهمنى كثيرا ..

وقال الطبيب وهو يضع قبعته على راسه . الافضل ان نبادر بنقل الجثة الى المشرحة فى الحال .. ونحصل على اسرع نتائج..

فقال له شان وهو يشير الى الدكتور سوان :

ـ وما الذى تستنتجه الآن من طريقة القتل ؟.

فذهب الطبيب الى الجسم الممدد .. وانحنى عليه ، وفحص الجرح فى عناية ثم قال : ارى آثار البارود المحترق على قميصه.. فلابد انه قتل عن قرب .. من شخص كان يمشى بجواره مثلا .

فقال شان : انه احتمال معقول .. واعتقد انه قتل فى مكان غير هذه الغرفة المرتبة المنظمة .. ثم حمله القاتل اليها ..

فقال الطبيب: لاشك انه كان يسير بجوار قاتله وهو خالى الذهن مما بيته له .. لان المجرم اخرج المسدس من جيبه بخلسة ثم اطلقه على جانبه الايسر وهذا يبين انه كان يسير بجانبه او خلفه قليلا .

ودوى فى هذا الوقت بوق سيارة فى الخارج .. فالتفت

الطبيب الى النافذة وقال : انه (الكنر) .. لقد طلبت منه ان يوافينا الى هنا لنقل الجثة الى المشرحة ..
وبينما كان الطبيب يعاون (الكنر) السائق على حمل الجثة .. خرج شان وهولت من المنزل والقيا نظرة على نافذة الغرفة التى قتل فيها سوان .. وقال هولت:عندما تركتك بالأمس وعدت الى الفندق .. وثب الى ذهنى خاطر غريب وهو أن صاحب هذا المنزل لابد أن يكون قد ترك مفاتيحه مع أحد قبل مغادرته له..
فقاطعه شان قائلا :
ـ هذا هو عين ما افكر فيه الآن .. ولكن !. هل تعلم من هو مالك هذا المنزل؟.
ـ نعم .. انه رجل ثرى يسافر فى مثل هذا الوقت كل عام الى سان فرنسيسكو .. وقدأرسلت اليه برقية أسأله فيها عما اذاكان يترك مفاتيح منزله مع احد فى الانحاء القريبة ام انه يأخذها معه؟.
ـ انى اهنئك .. لقد أصبحت انت أيضا عبقريا !.
وبعد قليل .. انطلقت السيارة التى تحمل الجثة الى رينو.. بينما ركب شارلى وهولت سيارة صغيرة ذات مقعدين .. وأسرعا الى القصر ..
ولما وصلا الى هناك قال الشريف وهما يهبطان من السيارة :
ـ لا أدرى كيف نجد نزلاء هذا القصر ومن بينهم قاتل مستر سوان الذى ينتظرنا بغير شك !.
فقال شارل وهو يهز رأسه : ربما !. ـ
ثم اضاف :
ـ من هنا الآن ؟. رايدر وروماتو ووارد ثم هيوز بيتون وشقيقته اليس كذلك ؟.
ـ وسنج العجوز..
ـ نعم .. وسنج العجوز وافريل وسيسيل الخدم الثلاثة !.
فقال هولت مداعبا : نعم .. لقد نسيت مس افريل الطاهية البدينة !.
انني لا أكاد اتصور ما قلته يا مستر شان من أن كلب لادونا يعتبر قرينة قوية فى الجريمة !. هل استنتجت شيئا من الحب الذى كان بينه وبين مس افريل؟ ام تعتقد ان الطاهيةقتلت لادونا لغيرتها على الكلب !.
ولم يتمالك شان نفسه من الضحك وقال : كل شىء محتمل فى هذه الجريمة ومع ذلك يجب علينا ان نتذرع بالصبر .

ودخل الاثنان من الباب الخلفى فقابلهما سنج ومعه مكنسة طويلة . وما كاد يقع نظره على شان حتى تسمر فى مكانه وصاح :

ــ ما هذا يا سيدى !. وكيف .. ومتى خرجت ؟ ومن اين جئت !..

فقال هولت :

ــ لا تشغل بالك بمستر شان يا سنج . والآن .. هل استيقظ احد من اهل القصر ؟.

ــ كلا . لم يستيقظ احد سواى !.

ولكنهما حينما دخلا القصر وجدا ان شهادة سنج لم تكن من الدقة بمكان عظيم !. اذ ان مس افريل كانت تعمل فى المطبخ فحيتهما بابتسامة عريضة . كما ان مس بيتون كانت جالسة فى البهو تقرا فى كتاب على مقربة من المدفاة .

وصاح هولت متهللا :

ــ هالو !. لقد استيقظت مبكرة هذا الصباح .

وتقدمت اليه الفتاة وقد اشرق وجهها بابتسامة عذبة . وقالت:

ــ كما استيقظت انت .. و ... وكما استيقظ مستر شان الذى لا اعتقد انه يعرف معنى النوم !.

ــ انا ؟. ولم ..

ــ الم تكن انت الذى رايتك تخرج ليلا من الباب الخلفى للمنزل غير مبال بالصقيع المتساقط ؟

وقال شان فى لهفة :

ــ ربما كنت انا .. وربما كان غيرى .. اتتفضلين بذكر ما رايته ليلة امس فى اسهاب ؟

فقالت الفتاة بعد تردد قصير :

ــ شعرت بارق حينما ذهبت الى فراشى . وحاولت عبثا ان اقنع عينى بالنوم .. ولما اعيانى التعب . تركت فراشى وذهبت الى النافذة وفتحتها .. فرايت شبحا فى الظلام يخرج من القصر مسرعا ويتجه صوب البحيرة .! فسرت فى جسمى رعدة شديدة

فقاطعها شان قائلا : هل تستطيعين ان تحددى على وجه التقريب الوقت الذى رايت فيه هذا الشبح ؟.

ــ ربما كان ذلك ما بين الثانية عشرة والواحدة صباحا .

ونظر اليها شان مليا ثم قال : هل لك أن تصفى هذا الشبح ؟.

ــ لا اعتقد يا مستر شان !. فقد كان بين الصقيع والظلام المخيم اشبه بظل يتحرك . حتى اننى لا استطيع ان اجزم ان كان رجلا أو امراة !.

وامسكت قليلا ثم قالت : ولما استبد بى الرعب ذهبت الى غرفة

اخى - وهى مجاورة لغرفتى - وذكرت له ما رايت . فطلب منى ان اعود الى فراشى وانسى كل شىء عن هذا الحادث .

وظهر هيوز بيتون فى هذه اللحظة .. ودخل البهو .. وكان شاحب اللون .. وحول عينيه هالتان سوداوان .. وما وقع نظره على مستر شان والشريف حتى قال فى قلق : ما الذى حدث الآن بحق السماء !؟

فقال له شان فى هدوء : لا شىء يا سيدى ..

ثم اضاف فى خبث وهو ينظر الى وجهه الشاحب : اراك لم تنم كثيرا هذه الليلة .. ومع ذلك فقد استيقظت مبكرا على غير عادتك !.

فقال هيوز فى غضب : اى شيطان يغمض له جفن فى هذا القصر؟. اننى لا أدرى متى تطلقون سراحنا من هذا السجن الرهيب ..

فقاطعته مس بيتون قائلة : هدىء من روعك يا عزيزى

وقال شان فى هدوء :

ـ سينتهى كل شىء فى اقرب وقت .. ولا اريد منك الآن سوى ان تخبرنى عما قلته لشقيقتك ليلة أمس .

ـ حسنا .. هل هرب احد من القصر ؟.

فقال شان وهو يفحصه فحصا دقيقا :

ـ كلا .. ولكن أحدهم غادر القصر ولم يعد اليه الا بعد أن قتل الدكتور سوان فى منزل مهجور على شاطىء البحيرة .

تلا ذلك سكون عميق !. كان وجه الفتاة لا يقل شحوبا عن وجه اخيها واخيرا قالت فى صوت خافت :

ـ ان هذا لمريع !.

فالقى شان نظرة سريعة على لسلى ثم قال لشقيقها :

ـ لا شك انك لم تسمع شيئا ليلة امس الا صوت أختك وهى توقظك وتقص عليك ..

فقال بيتون فى صبر نافد : كلا !. اننى لم أسمع شيئا

فقال شارلى وهو يتجه صوب الباب :

ـ هذا مما يؤسف له .. سأذهب الآن لاستبدال هذه الملابس واعود بعد قليل .

وأبدل شان ملابسه .. وذهب الى غرفة لويز رومانو فلما دخل عليه الفاه لا يزال مرتديا بيجامته .. فرحب به رومانو وقال : معذرة يا سيدى المفتش .. اذا لم أكن مستعدا لمقابلتك فقد تفضلت بزيارتى فجاة فى هذه الساعة المبكرة ..

فقال المفتش وهو يحاول ان يصل بنظرته الثاقبة الى اعماق نفس رومانو لى سؤال او سؤالان ..

ـ بكل سرور يا سيدى .

ـ الم تعلم .. أو تسمع ان احدا غادر القصر ليلا مابين الثانية عشرة والواحدة صباحا ؟.

ـ كلا .. فاننى اذا استغرقت فى النوم لا اشعر بشىء ياسيدى

ـ ولكن ما الذى حدث ؟.

ـ لقد وجد الدكتور سوان قتيلا .

فقال رومانو فى هدوء غريب : سوان ؟. نعم !. كان هذا الشخص لا يعرف كيف يسيطر على لسانه !. لقد كان يعلم كثيرا من تفاصيل موت لادونا !. ولم يستطع أن يحكم لسانه معى رغم معرفتنا ..

ـ ما الذى قاله لك ؟.

ـ لا اتذكر بالضبط .. وكان ما علمته ان اصابعه الجشعة قبضت من مدة وجيزة على مبلغ كبير من المال .. انه مجرم خطير هذا الرجل !.

فقال شان محتدا .

ـ هل هذا كل ما تعرفه ؟!

ـ نعم يا سيدى .

ـ قول هراء .. ان كتمانك هذا لا يؤول فى مصلحتك، والافضل لك ان تنتظر فى تاهو كشاهد حتى تنتهى الجهات المختصة من التحقيق ، على أن يقبض عليك لانك متهم بالقتل !.

فصاح رومانو فى حنق سيدى المفتش !. انك توجه الى اهانة شديدة او تعتقد اننى اعرف اسم قاتلها واخفيه عنك !! اننى لا أعرفه يا سيدى .. واقسم لك على ذلك اذا اردت .

ولم يتكلم شان !. بل اكتفى بان انحنى فى ادب جم .. وخرج من الغرفة فى هدوء !.

❊ ❊ ❊

ولما عاد شارلى الى البهو .. وجد هيوز بيتون يقطع المكان جيئة وذهابا بينما جلست شقيقته مع الشريف دون هولت يتبادلان الحديث فى صوت خافت !

اما جون رايدر .. فكان يخفى وجهه فى احدى الصحف الصباحية .. وهو منهمك فى القراءة . فتقدم منه شان وقال له الم تسمع بحادثنا الجديد ؟

فنظر اليه رايدر نظرة غريبة وقال له : اى حادث .؟ اننى لم اسمع شيئا !

فقال شان : لا شيء غير عادى !. فقد قتل الدكتور سوان

فسمع صوت يقول فى ذعر : الدكتور ســوان .! يا الهى !» ماذا تقول ؟.

كان صوت مستر وارد الذى دخل البهو فى تلك اللحظة وكان وجهه شاحبا كوجوه الموتى

وقال رايدر فى حقد شديد : لقد كان رجلا دنيئا .. ولو ان القتل اكثر بغير شك مما يستحقه !.

وهنا اقبل سنج . وقال فى لهجة خشنة : الطعام ياسادة !

وبعد قليل كان جميع ضيوف مستر وارد مجتمعين حــــول المائدة فى غرفة الطعام .

***

وفى اثناء تناول القهوة بعد الانتهاء من الطعام قــال هولت لمس بيتون وشقيقها انه سيرسل اليهما الزورق البخارى ليقلهما الى الفندق

فقال رومانو : وهل يوجد مكان لى فى الزورق يامس بيتون؟

فقال دون هولت فى صوت اجش : ولم ؟. انك لن تبـارح هذا القصر .

ـ ولكن مستر شان قد اذن لى ..

فنظر الشريف الى شان فى ذهول

فقال شان فى بساطة : نعم .. لقد اذنت له

وخرج دون هولت .. وتبعه شان الذى استوقفه عندالباب الخارجي وقال له فى صوت خافت : هل معك المسدس الذىعثرنا عليه فى المنزل المهجور

ـ نعم .. ها هو

وفكر شان قليلا ثم قال : فى اى ساعة يقوم قطار الصباح من رينو الى اوكلاند

ـ فى الساعة العاشرة والنصف

ثم اضاف فى حيرة : هل تريد الرحيل .؟

ـ انا ؟. كلا

فلم يحن الوقت بعد ..
ـ لم تسألنى اذن عن موعد سفر القطار ؟.
ـ سنبحث هذا الامر فى الفندق !.
ومد دون هولت يده مصافحا وهو يقول : الى اللقاء لقد تناولنا طعاما طيبا .. وهو على ما ارجح الشىء الوحيد الذى حصلنا عليه .

ـ كلا .. فقد حصلنا ايضا من مس بيتون على دفاع حار لاخيها وبرهان على انه كان فى غرفته وقتما قتل الدكتور سوان
فهتف هولت : نعم .. نعم ، ولكنى لم اعر هذا الامر ادنى انتباه
وافترق الاثنان .. فذهب الشريف الى رينو ، وعاد مستر شان الى غرفته فى الطابق الثانى ..

***

جلس شان ينظف المسدس بمنديل صغير ويفحصه بدقة وعناية ، وبعد قليل سمع طرقا على الباب .. فقال فى هدوء : من ؟!
ـ انا يا سيدى !.

وعرف شان فى الطارق صوت الخادم الصينى العجوز .. فتبلل وجهه بسرور غامض وقال : ادخل .. ادخل يا سنج ..
ودخل الخادم .. وما وقع نظره على المسدس حتى اتسعت حدقتاه .. وفغر فاه ووقف صامتا فقال له شان : هل رأيت هذا المسدس من قبل ؟.
ـ كلا ! لم اره .. ولا اعرفه !.
ـ اواثق انت من ذلك ؟
ـ ان شفتى سنج لا تعرفان الكذب ..
وعقد سنج حاجبيه واضاف :

ـ هل عثرت على القاتل يا سيدى ..
ـ كلا ..
وهم سنج بالانصراف وهو يقول : لقد حضرت لاسأل سيدى ان كان يريد خشبا لمدفأته ام لا .. والآن ليسمح لى بالانصراف .. فالعمل كثير فى هذا القصر .
وانصرف الخادم فى صمت .. أما شان .. فقد لبث يتبعه بنظره وعلى وجهه أمارات التفكير العميق .. حتى خرج من الغرفة !.

الفصل السادس عشر

ســـنج ايضا !..

عاد (كاش) بالزورق البخارى فى منتصف الساعة العاشرة ..
وعاد الزورق بضيوف القصر الى رينو ..
وعندما بلغوا الفندق أسرع شان الى الداخل فوجد مستر سام هولت جالسا فى القاعة الكبرى بجوار المدفأة . فما كاد يسمع صوت شـان حتى نهض ومد يده الى الامام وقد تهلل وجهه بابتسـامة عريضة .

وحياه المفتش فى حـرارة وهو يقول : امامنـا الآن امور كثيرة لنطرحها على بساط البحث !. وقد وصلنا الى المرحلة التى يجب أن نعمل فيها على جناح السرعة .

ثم تلفت حوله وقال : أين مستر دون هولت ؟.
ـ لقد ذهب منذ برهة ليتفقـــد اصطبلاته . واغلب ظنى انه سيعود بعد قليل . والآن .. ما هى الامور التى يجب أن نبحثها ؟

فسكت شان قليلا وقال : ساجد نفسى مضطرا الى العودة الى شخص يؤلك التحدث عنه فى هذه الجريمة .
فهز العجوز رأسه وقال فى بطء : أتقصد سنج ؟.
ولم يجب شان عن سؤاله بعد أن ادار دفة الحديث وقال :
ـ وسنستعين بأحد العلماء .
فهتف الآخر : أحد العلماء .. ولماذا ؟.

فأجاب شان : لانى أريده على أن يتولى فحص المسدس الذى قتلت به لادونا . والمسدس الآخر الذىعثرناعليهفى المنزل المهجور
فهز سام هولت كتفيه فى غير مبالاة وقال : وما فائدة ذلك ؟
ـ سنقارن نتيجة فحصهما بنتيجة فحص الرصاصتين .

ـ لا شك ان لادونا قتلت من المسدس الذى وجد بجانبها .. كما ان الدكتور سوان قتل من المسدس الذى عثر عليه مدفونا فى الجليد
فقال شان وهو يبتسم : ربما كان من الافضل ان نتأكد من صحة هذه النظرية يا مستر سام .

وبعد قليل دخل مستر كاش وهو يحمل حقائب مس بيتون التى تبعته هى وشقيقها . وما كاد الشقيقان ينتهيان من مصـافحة

مستر سام حتى كان دون هولت قد عاد من اصطبلاته واتجه توا الى لسلى . فضغط على يدها الرقيقة فى حرارة . ثم صافح شان وشقيقها بعد ذلك .

وبادره المفتش بقوله : احضر لنا مسدس لادونا على عجل .

فانطلق هولت وعاد بالمسدس بعد قليل واخرج من جيبه لفافة صغيرة اعطاها كذلك لمستر شان وهو يقول : لقد انتهى الطبيب من تشريح جثة الدكتور سوان .. وفى هذه اللفافة الرصاصة التى وجدت فى جثته . ومعها ايضا الرصاصة التى قتلت بها لادونا .

ـ حسنا !. لقد قطعنا شوطا بعيدا .

ثم نظر فى ساعته وقال :

ـ سيقوم قطار من رينو الى سان فرنسيسكو بعد عشر دقائق، واريد أن تختار لى شخصا امينا من اتباعك ليسافر الى سان فرنسيسكو .. بهذا المظروف ..

ووضع شان المسدسين والرصاصتين فى مظروف اصفر كبير، ثم كتب خطابا قصيرا واغلق المظروف فى عناية وكتب عليه عنوان العالم وناوله لدون هولت . الذى ناوله بدوره الى كاش وقال له : خذ سيارتى الى المحطة .. وابذل كل ما فى وسعك لكى تدرك القطار المسافر الى سان فرنسيسكو .

وانصرف كاش مسرعا بالمظروف

* * *

وبعد انصراف مستر كاش . استأذن شان من رفاقه وذهب الى التليفون فى الغرفة المجاورة واتصل بمس بيشر سكرتيرة لادونا وسألها :

ـ هل سمعت بمقتل الدكتور سوان ؟.

فقالت مس بيشر بعد تردد : نعم .. لقد سمعت .،

ـ ان المسألة ازدادت تعقيدا .. اليس كذلك ؟

ـ وهذا مما يؤسف له .

ـ هل تسمحين يا مس بيشر ان أطرح عليك سؤالا واحدا لا مفر منه ؟.

ـ اننى طوع امرك يا مستر شان .،

ـ حسنا شكرا لك . الا تذكرين من هو هذا الشخص الذى

اشارت اليه لادونا فى مذكراتها .. واخذتها به الشفقة لانه كان لا يميز بين الالوان ؟.

ــ نعم .. اننى اذكر شيئا من هذا القبيل . واذكر ايضا اننى سألتها وقتئذ عن هذا الشخص فأبت ان تبوح لى باسمه .

وشعر شان بخيبة أمل كبيرة ولكنه قال : حسنا .. شكرا لك يا مس بيشر

وعاد شان الى القاعة . فالفى سام هولت فى مكانه حيث تركه فقال له :

ــ لا شك أن الشريف سرد لك ما حدث فى الليلة السابقة .

ــ نعم !. لقد حدثنى فى ايجاز .. هل تعتقد ان الدكتور سوان كان يعلم شيئا عن مقتل لادونا ؟

ــ نعم .. اننى واثق من ذلك .. وواثق ايضا من انه يوجد شخص آخر يعرف شيئا عن الجريمة الاولى !

ــ ربما !. ولكن .. من هو هذا الشخص ؟.

ــ مستر لويز رومانو

ــ زوجها الرابع ؟..

ــ نعم .. زوجها الرابع .. والوارث الوحيد لكل ثروتها .. وقد حاولت عبثا أن أنتزع منه شيئا . ولكنى ساعيد محاولتى عله يفضى الينا بشىء . هيا بنا اليه الآن .. انه هنا بالفندق .

***

وبعد دقائق معدودة .. كان رومانو ماثلا امام مستر شان وسام هولت والشريف . وكان رومانو بادى الغضب والضيق .. ظاهر الارتباك .. حتى أنه ما كاد يقع نظره عليهم حتى صاح فى شان لقد قلت لك يا سيدى الف مرة اننى لا اعرف شيئا .. فلم كل هذه المضايقات ؟.

وتقدم دون هولت خطوة منه وقال :

ــ اننى أعرف ما يمنعك من ذكر الحقيقة .. ولكنك ستفضى بها رغم كل شىء .. والا فقد اضطر ازاء ذلك ان القى بك فى السجن لانك لست فوق الشبهات !.

وارتبك رومانو وقال فى يأس : حسنا .. ساخبرك بكل شىء .. بعد ان ذهبت الى غرفة المكتب .. والقت الي لادونا بالاوراق المالية .. عدت الى غرفتى .. ولبثت برهة اراقب الانوار المضيئة

فى المطار .. ثم سمعت ازيز الطائرة . فادركت انها ستغادر تاهو الى الفندق . ولما لم اكن حددت معها موعدا لمقابلتها فى رينو . فقد خطر لى ان اذهب اليها مرة ثانية لهذا الغرض

و ... فتحت باب غرفتى .. وخرجت الى الممشى .. فرايت باب غرفة المكتب يفتح ويخرج منه رجل أوحى الي مظهـره بانه لم يكن بالداخل لغرض شريف !. اذ انه كان يتلفت حوله يمنة ويسرة كاللص .. ثم اندفع فى سرعة الى الغرفة المجاورة

وتحققت هواجسى !. فلم تمض ثوان معدودات حتى دوى طلق نارى فى غـرفة المكتب !. هـذا الطلق الذى اودى بحيـاة لادونا المسكينة !.

وقال دون هولت فى لهفة : ومن هو هذا الرجل ؟. هل تحققت منه ؟..

فقال رومانو فى صـوت متأثر : نعم ! لقـد رايته ... و ... وعرفته !. انه الخادم الصينى العجوز .. سنج !.

وساد سكون عميق !. كان سام هولت فيه يدق الارض بقدمه دقات سريعة متململة .. ثم خرج من الغرفة وبصحبته شـان .. وقال فى حزن :

ــ لا يدور بنا التحقيق الا حول نقطة واحدة .. وهى الرجوع المرة بعد الاخرى الى سنج المسـكين !

فقال شان مطمئنا : حقا !. ولكن رومانو هو الرجل الوحيـد الذى يفيد من موت لادونا . ومن المحتمل أن يكون هو الذى قتلها .

ولا يبعد انه بشهادته هذه .. أراد ان يبعد عن نفسـه الشبهة .. فلم يجد امامه سوى الخادم المسكين .. ف ...

فقاطعه سام قائلا : ولكنى اعتقد ان رومانو لم يذكر الا الصدق! ولا ادرى كيف يخرج سنج المسكين من هذا المأزق الحرج

ــ اتعتقد ذلك ؟.

ــ نعم .. لانه اذا كان رومانو قد ابتدع قصة سنج هذه من منذياته .. لما وصل بها الى هذه الدرجة من الاحكام والاتقان مهما كانت عبقريته .

الا يجب أن يقول انه راى سنج يتسلل الى المـكتب ثم سمع الطلق النارى بدل ان يقول انه رآه يخرج من الغرفة . وبعد ذلك دوى الطلق ؟

كلا يا مستر شان !. فقصة رومانو صحيحة لا غبار عليها . ولا شك ان سنج حينما احضر الغطاء للكلب . وجد لادونا بمفردها .. فخرج من المكتب ودخل الغرفة المجاورة وفتح نافذتها ليهيىء لنفسه طريق الفرار . ثم عاد ثانية الى المكتب من الشرفة . وقتلها وخرج ثانية من نفس الطريق !.

ومن المستحيل ان يفطن رومانو الى كل ذلك فيقول انه سمع الطلقة بعد أن خرج سنج من غرفة المكتب ودخل الى الغرفة المجاورة .

ووضع سام يده برفق على كتف شان وقال فى صوت به رنة من الحزن :

ـ لا تحاول أن تطمئننى يا عزيزى !. فانت تعلم فى قرارة نفسك أن سنج المسكين فى موقف لا يحسد عليه !. وكل ما تبقى لنا هو أن نبحث عن وسيلة نخرجه بها سليما .. لانه لم يقدم على هذا القتل الا تحت ظروف قاهرة فهو مثال الاخلاص والوفاء لسيده . وربما دفع الى ذلك العمل دفعا على غير ارادته !.

ووصلا الى القاعة الكبيرة حيث أدركهما دون هولت .. وقال : ما رايكما فى قصة رومانو هذه ؟.

فقال شان : لم أنته بعد الى رأى معين فيها .

ثم سكت قليلا وأردف :

ـ ولكنى اعتقد اننا « هجرنا » تاهو مدة طويلة .. ويحسن أن نعود اليها .

* * *

وبينما كان شارلى شان يهم بركوب الزورق البخارى .. هرع اليه دون هولت وهو يهتف قائلا : صبرا لحظة يا مستر شان .. لقد وردت الآن برقية من سان فرنسيسكو من مالك المنزل المهجور .. ردا على برقيتى التى ارسلتها اليه اساله فيها عما اذا كان يترك مفاتيح منزله مع أحد الجيران ..

فقال شان فى لهفة : وماذا قال فيها ؟.

ـ قال انه يترك مفاتيحه كل عام مع سنج .!

فتنهد شان وقال : مسكين هذا الصينى العجوز .!

الفصل السابع عشر
فـــرار

عندما وصل شان الى قصر مستر وارد قصد توا الى المطبخ حيث وجد مس افريل وسنج منهمكين فى اعداد الطعام ..

وحيت الطاهية البدينة المفتش بابتسامة عريضة بينما نظر اليه سنج نظرة ارتباك وحيرة .. فتقدم منه المفتش وقال له فى صوت اجش :

ـ سنج .! يجب ان اتكلم معك على انفراد ..

وخرج من المطبخ .. وتبعه الخادم العجوز فى صمت .. حتى اذا ما ابتعدا قليلا التفت اليه شان وسأله : هل تحتفظ بمفاتيح احد المنازل المجاورة ؟

وفوجىء سنج فقال مرتجفا : نعم يا سيدى .. انى احتفظ معى دائما بهذه المفاتيح التى يتركها لى المالك فى مثل هذا الفصل من العام ..

ـ واين هى ؟.

ـ معلقة فى الممر المجاور لنا ..

ـ ارنيها ولا تبطىء ..

فحاول الخادم ان يتخلص منه بدعوى ضيق وقته .. وكثرة العمل .. ولكن شان نهره واضطره الى الاذعان

وذهب سنج الى الممر ومعه المفتش .. حتى اذا ما وصلا الى المكان الذى تعود أن يعلق فيه المفاتيح .. وقف سنج وقال ميهوتا : لقد اختفت المفاتيح

ـ واين اختفت ؟.

ـ لست أدرى يا سيدى

ففكر شان قليلا وقال : متى رأيتها آخر مرة فى هذا المكان ؟..

ـ لست ادرى !. فربما كان ذلك بالامس .. أو فى الاسبوع الماضى .. لم يدر بخلدى ان اتفقدها

ـ وهل تظن انها سرقت أو اخذها احد خلسة ؟

ـ لا أعتقد يا سيدى . وما فائدتها !. انها لا تساوى قروشا معدودة

ثم قال فجاة : آه !. لقد فهمت .. هل سرق شىء من المنزل ؟..

فقال شان بصوت رهيب : كلا !. بل قتل فيه الدكتور سوان !.. والشخص الذى قتله كان يحمل معه المفاتيح !.

فقال سنج فى هدوء :

ــ هذا مما يؤسف له يا سيدى ..

وأومأ شان برأسه .. وانصرف مسرعا الى غرفته فابدل ملابسه . وهبط الى بهو الطابق الاول .. وهناك .. وجد مستر وارد . وجون رايدر جالسين يتبادلان الحديث فى صوت خافت .. وما رآه صاحب الدار حتى رحب به .. ودعاه الى الجلوس بجانبه .

ولم يكد يستقر به المقام حتى بادره جون رايدر بأن قال فى لهجة متذمرة :

ــ هل تعتقد يا مستر شان ان هناك ما يستدعى استبقائى فى القصر ؟.

فقال شان فى بساطة : كلا .. فلا توجد فى الواقع ــ حتى الآن ــ أية شبهة ضدك

فنظر اليه مستر وارد نظرة فاحصة ثم قال فى خبث :

ــ يخيل الي انك قطعت شوطا طويلا فى حل طلاسم هذه الجريمه يا مستر شان !.

ــ ربما !..

وأقبل سنج كعادته يحمل الطعام ..

ولما انتهوا من طعامهم .. صعد شارلى شان الى غرفته . وتصفح المذكرات التى كتبتها لادونا . فلم يعثر فيها على شيء ذى بال

وما كاد شان يضع المذكرات على مائدة صغيرة امامه حتى شعر بتضاعف نشاطه وازدياد رغبته فى البحث عن قاتل المطربة المسكينة ..

فترك غرفته . وهبط الدرج الخلفى . وخرج الى حديقة القصر ..

كانت أشعة الشمس قد اذابت ما تجمد على الارض من جليد فلم يبق منه سوى طبقة رقيقة أشبه بغلالة من حرير شفاف ..

وعادت الى شان نزعته القديمة فى فحص غصون الاشجار

الملقاة على الارض !. وكأنه لا يزال مصمما ـ كما قال ـ على هوايته لعلم النبات .. ودراسته لانواع اشجار الصنوبر !.

واخيرا . ترك الاشجار !. وهواية الاشجار !. وذهب الى البناء المقام عند نهاية المطار حيث توجد مفاتيح انوار الارشاد .

*** *** ***

ولم يدر بخلد شان .. ان دون هولت فى نفس اللحظة التى خرج هو فيها من القصر ليواصل عمله وتنقيبه . كان هو ومس بيتون يمتطيان صهوة جوادين مطهمين ويسيران بين الحقول الواسعة الخضراء ..

وجرى بينهما حديث عذب رقيق .. وفجأة أدارت مس بيتون دفة الحديث الى ناحية اخرى فقالت لصاحبها : اما وقد صفا كل منا للآخر .. فيحسن بى أن اعترف لك بسر ظل مطويا فى صدرى .

ـ أى سر تقصدين ؟.

فقالت فى تردد : انه يتعلق بمقتل لادونا ..

ونظر اليها دون هولت مبهوتا .. وقال :

ـ يتعلق بمقتل لادونا ؟. اى سر يا عزيزتى ؟.

ـ لقد كنت خبيثة معك !. ولا أدرى لم لم اذكر الحقيقة برمتها حينما سألنى مستر شارلى شان .. ربما خشيت أن اتهم بشهادتى . بريئا يدان بسببى !. فاقضى بقية عمرى شقية معذبة الضمير .

فقال الشريف فى لهفة : وما هى الحقيقة اذن ؟.

ـ كنت أطل من نافذة غرفتى حينما رأيت رجلا يجرى من غرفة المكتب ـ بطريق الشرفة ـ الى الغرفة المجاورة لها

ـ ومن هو هذا الرجل ؟.

ـ سنج !. وكان يحمل تحت ابطه غطاء لكلب لادونا على ما اذكر

وضغط دون هولت على يدها فى رفق وقال :

ـ لقد اسديت الي خدمة جليلة بهذه الشهادة

وما عاد هولت الى الفندق حتى وجد سام جالسا بمفرده فى القاعة .. فبادره بقوله :

ـ لم يبق لدى أقل شك فى أن سنج هو القاتل !. والمعلومات التى اعتمد عليها استقيتها من مصدر جدير بالثقة .

واعاد هولت على مسامع ابيه قصة مس بيتون .. ثم اضاف قائلا :

ـ سأذهب الآن للقبض عليه ..
فقال سام فى مرارة :

ـ هون عن نفسك .. ولا تسرع بايقاع هذا العجوز المسكين قبل ان تستانس براي مستر شان !.

اذهب أولا الى قلم الطب الشرعى لتاتي بالتقرير النهائى لتشريح جثة الدكتور سوان .. حتى يعود مستر شان من القصر ..
ورضخ هولت لرغبة ابيه .. وانصرف من الفندق مسرعا ..

واتصل سام هولت تليفونيا بالقصر .. وقص على مستر شان ما سمعه من ابنه .. وزاد عليه : لقد سالت الطبيب ان كان قد وضع الاغطية الصوفية على المقعد الكبير فى غرفة المكتب ـ وهو الذى وجدنا على ذراعه الخشبية قطعة الزغب الصوفية الصغيرة ـ فأجاب سلبا .. واكد لى أنه لف الجثة بمجرد ان أخذ الاغطية ولم تمس لادونا فى اثناء حمل جثتها احد المقاعد

وعلى هذا .. وبعد شهادة مستر رومانو .. ومس بيتون التى رات سنج وهو يحمل غطاء الكلب .. تكون قطعة الزغب دليلا قويا على دخول سنج غرفة المكتب !.

اجل !. لا شك انه القاتل يا مستر شان .. وهذا مما يدمى قلبى أسى !.
ولشد ما كانت دهشة مستر سام حينما قال له المفتش فى بساطة :

ـ وربما يزداد يقينك بانه القاتل اذا قلت لك اننى عدت الى القصر منذ بضع دقائق .. فلم اجد لسنج اثرا !.

فهتف سام : يا الهى !. وما الذى عزمت عليه ؟.

ـ لم اعزم على شىء بعد !. لقد اعترف لى بانه هو الذى يحمل فعلا مفاتيح المنزل المهجور .. فلما طلبتها منه ادعى انه يضعها فى خطاف بالممر الخارجى فلما ذهبنا لتفقدها .. وجدناها قد اختفت ..

والعجيب ان سنج اخذ معه حقيبة ملابسه .. وشهدت مس

افريل بانها راته وهو يحصي بعض الاوراق المالية .. وان مستر وارد ودعه والدموع حيرى فى ما قيه ..

ــ وماذا قال مستر وارد فى ذلك ؟.

ــ انكر كل شيء !. فلما واجهته بالطاهية أنكرت انكارا تاما .. وعبثا حاولت ان استخلص منها الحقيقة .. فقد ادعت مس افريل أنها قالت ذلك على سبيل المبالغة والتدليل على عطف مستر وارد على خدمه .. لانه لم يدر بخلدها ان سفر سنج له علاقة بالجريمة ..

وسكت مستر سام ثم قال : الم تحاول ان تتبع اثره .

ــ كلا ..

ــ ولم ؟..

فقال شان فى هدوء :

ــ سأتتبع من هو اهم منه ..

فقال سام فى عجب شديد :

ــ ومن يكون هو اهم من سنج ؟. اهم من القاتل ؟.

ــ نعم !. سأتتبع القاتل ..

فصاح العجوز فى حيرة : ماذا تعنى يا مستر شان ؟.

ــ لا شيء !. سأكون بالفندق بعد قليل .. فالى اللقاء يا عزيزى ..

* * *

ولما وصل شان الى الفندق .. قابل سام هولت .. وعاد بهما الحديث ثانية الى سنج .. فانحنى شان على العجوز واسر له بضع كلمات ثم اضطجع فى مقعده وهو يرمق سام بنظرة فاحصة ..

وظل العجوز صامتا برهة طويلة ثم قال :

ــ لقد بلغت الآن الثامنة والسبعين من عمرى وقد قضيت هذه السنوات الطوال فى خدمة بلدى . وحفظ الامن به .. واخيرا وقد فقدت بصرى !. لا يفكر أحد ممن أسديت لهم جلائل الخدمات فى أخذ يدى اذا ما رآنى فى الطريق منفردا . اللهم الا سنج .. فهو الرجل الوحيد الذى ظل على اخلاصه وحبه لى . افلا يحق لى البكاء عليه يا مستر شان . افلا اتمنى الا تعثروا على اى أثر يدل عليه ؟..

ونظر اليه شان نظرة طويلة تنم عن فرط ما به من تاثر . ولم يجب ..

الفصل الثامن عشر

بعد العاصفة ..

ولما عاد دون هولت الى الفندق .. وجد والده ومستر شان على اهبة العودة الى القصر .. واستقل الثلاثة الزورق البخارى الذى انطلق بهم مسرعا يشق عباب البحيرة .

وقال شان فى شىء من الغموض :

ـ لقد اوشكت مهمتنا ان تنتهى !.

فقال دون هولت :

ـ هل نحن ذاهبون للقبض على القاتل ؟.

فابتسم شان وقال : ساذهب لاعداد حقيبتى استعدادا للسفر .. فسأترك تاهو الليلة واعود الى هونولولو .

ولم يزد على ذلك .. رغم الحاح الشريف ووالده فى معرفة ما يدور فى خلده !.

وعندما دخل الثلاثة بهو الطابق الاول وجدوا جون رايدر وديدلى وارد جالسين على المائدة .. فنهض صاحب الدار لاستقبالهم . ودعاهم لتناول الطعام . وقال رايدر : الم يتمكن مستر شان من معرفة سر اختفاء سنج ؟

فاقترب شان بمقعده من المائدة وقال : لقد تمكنت .

وساد سكون عميق ، وانتظر الجميع كلامه بصبر فارغ . وهم ينظرون اليه فى اهتمام !.

وقال شان :

ـ من الاسف الشديد يا مستر وارد . ان كل القرائن التى حصلنا عليها تبين بصفة قاطعة ان سنج هو الذى اطلق الرصاصة التى سمعناها فى غرفة المكتب وهرعنا على اثرها فوجدنا لادونا المسكينة قد فارقت الحياة !

فصاح وارد : مهما تكن طبيعة هذه القرائن التى تتحدث عنها .. فمن المستحيل ان يكون سنج هو الذى قتل لادونا ..

فقال شان فى هدوء :

ـ وما رايك ان كان سنج قد اعترف بنفسه .!

فنهض وارد على قدميه فجأة وصاح قائلا : اين هو ؟. اين هو سأذهب اليه فى الحال .. وابين لكم فى جلاء انه لا ..
فقاطعه شان قائلا :

ـ هون عن نفسك يا مستر وارد .. فلقد اراد دون هولت ان يلقى القبض عليه .. ولكن الرجل اختفى عن الابصار ، ومن الصعب أن تعثر على صينى هارب .!

ثم ذهب شان الى غرفته .. وعاد بعد قليل بحقيبته الكبيرة .. وهو يحملها فى صعوبة .. فقال وارد متأثرا : هل عزمت حقا على الرحيل ؟. يؤسفنى أن تفارقنا بهذه السرعة يا مستر شان .. أفلا تشرب الخمر ولو مرة واحدة فى فراقنا هذا .؟

فقال شان مبتسما : لا مانع من ان اخطىء مرة واحدة من أجلك ..

ـ شكرا لك ..

وذهب وارد بنفسه واحضر زجاجتين من الخمر .. وبضع كؤوس وهو يقول : هذا الشراب الازرق اخف كثيرا من الاحمر وقد احضرت هذه الزجاجة خصيصا لك لأننى اميل الى الخمر الثقيلة ..

فقال شان متلطفا : يسرنى أن أقوم بصب الكؤوس .

ودار بالصحفة على الجميع . وانتظر شان حتى بقى عليها كأسان .. كأس من الشراب الأزرق وهى له .. واخرى من الاحمر .. وقدم الصحفة الى مستر وارد .. وهو يقول مازحا : خذ كأسك الثقيلة .. واترك لى الزرقاء

وابتسم وارد .. ولكن ابتسامته ما لبثت أن تلاشت .. وارتسمت على وجهه آثار الحيرة والارتباك !. وعقد شان حاجبيه وقال فى صوت خشن ارتعدت له فرائص صاحب الدار : خذ كأسك الحمراء يا سيدى !.

ورفع مستر وارد بصره اليه !. ولم يجب .. بل مد يده المرتجفة الى الصحفة ووضعها على الكأس الزرقاء .. ثم رفعها فجأة ووضعها على الحمراء .. ولكنه عاد فتناول الزرقاء !.

وتهلل وجه شان !. بينما فغر دون هولت فاه من هول المفاجأة .. وقال شان فى هدوء :

ـ اتذكر وقتما وجدتك فى غرفة المكتب واردت ان تحرر لى

شيكا باتعابى . . فادعيت أننى أسمع شيئا خارج الغرفة وخرجت لاستطلاع جلية الامر ؟.

فقال وارد بصوت خافت :

ـ نعم أذكر هذا . .

ـ ولكنك لا تذكر بطبيعة الحال أننى انتهزت هذه الفرصة ووضعت المداد الاحمر فى مكان الاسود والاسود مكان الاحمر . . فما كان منك الا أن كتبت الشيك بالاحمر ظنا منك أنه الاسود !.

ـ لقد تعمدت أن . . .

فقاطعه شان قائلا :

ـ وانا الآخر توقعت أنك ستدعى معرفتك بأنك حررته بالاحمر . . والآن هل تستطيع ان تنكر تناولك الكأس الزرقاء بدل الحمراء ؟. مع علمك بأننى لم اقبل الا شرب الخمر الخفيفة ؟.

فسكت وارد قليلا . . وقال : وما الذى ترمى اليه من وراء كل هذا ؟.

ـ لا شىء . . سوى أنك مصاب بعمى الالوان يا عزيزى !.

فاصفر وجه وارد وقال : وماذا فى ذلك ؟

وجلس شان على مقعده وقال فى بساطة : ان الشخص الذى قتل لادونا . أرسلته أولا لاستحضار وشاحها الاخضر فعاد خطأ بوشاح مس بيتون الفاتح اللون !. وأخيرا خلط بين غطاءى الصندوقين الاصفر والقرمزى !

كلا !. شكرا لك يا مستر رايدر . ورفض الكأس الزرقاء التى كان يقدمها له جون . . ثم اضاف فى صوت رهيب : لا استطيع ان أشرب الخمر مع رجل سأقبض عليه بتهمة القتل .

فصاح وارد :

ـ القتل ؟. . هل فقدت عقلك يا مستر شان ؟. اننى كنت معك فى البهو حينما دوت الطلقة !. ولا شك انك لا تنكر ذلك . ولايمكنك أن تتجاهل أننى اسرعت معك جنبا لجنب الى غرفة مكتبى ! لقد قلت منذ لحظة أن سنج هو القاتل

فضحك شان وقال : كلا !. لم اقل سوى انه هو الذى اطلق الطلقة التى هرولنا على اثر دويها الى غرفة المكتب .

ـ اليس معنى ذلك انه القاتل ؟.

ـ كلا !. فهو لم يصب الا شجرة الصنوبر القريبة من الشرفة.

ولم يطلق النار الا بعد ان كانت لادونا قد قتلت فعلا .. وفارقت الحياة ..

فقال وارد فى سخرية واضطراب :
– ولم تسمع الطلقة التى قتلتها ؟.

– لانك انتهزت فرصة اقتراب الطائرة من الشرفة .. ودوران مستر ميشيل حــول القصر . وارتفاع صوت المحرك الى درجة مزعجة فقتلتها . وضاع صوت الطلق النارى .. فى الضوضاء التى كان يحدثها صوت محرك الطائرة !.

والتفت الى دون هولت وقال له : لقد ماتت المسكينة فى نفس الوقت الذى كان فيه كلبها « الشقاء » ينبح بشدة .. فاعتقدت مس افريل انه يخاف من الركوب فى الطائرة .. واخيرا تبينت ان الحيوان الصغير مجنون هو الآخر بالسفر بالجو كسيدته !.

أما سبب نباحه . فهو شعوره الخفى بان سيدته قد اصيبت بسوء .. وهذا أمر كثير الحدوث فى الكلاب الوفية المخلصة !.
فهلا زلت متعجبا لان « الشقاء » كان من اهم القرائن لدى يا مستر هولت .

وهل عرفت سر اهتمامى وهوايتى اشجار الصنوبر . ودرجة صلابتها .؟ لقد جرتنى هذه الهواية الى العثور على الرصاصة التى أطلقها سنج على أحد اغصانها !.

وقال وارد : ولكنى وقت ان كانت الطائرة تحوم حول القصر .. كنت انير أضواء الارشاد .. ولقد اخبرك مستر ميشيل انها اضيئت وهو يحوم حول القصر

– نعم .. لقد قال ذلك ، ولـكنك لم تضىء الانوار يا مستر وارد ..
– هل أضيئت من نفسها ؟..
– كلا !. ولكن الذى اضاءها هو سنج !. فقد عثرت على بصمة اصبعه على المفتاح الذى تراكم عليه التراب لقلة استعماله !. اذا فاتك انى زرت البناء الصغير الذى يطل على المطار عدة مرات !.

انا لا انكر براعتك يا مستر وارد !. وحدة تفكيرك وسرعته !. فقد تركت غرفة المكتب ، وقابلت سنج على السلم الخلفى حينما كان يتحدث مع سيسيل .. وافهمته كل شىء ، فذهب عوضا عنك ! واضاء الانوار ، وعدت أنت الى غرفة المكتب وقتلت لادونا فى اثناء

ارتفاع صوت المحرك .. وذهبت ثانية الى المطار .. فلما عدنا جميعا الى البهو ، اطلق سنج رصاصته التى سمعنا دويها .. والتى لم تصب شيئا سوى شجرة الصنوبر .. ولما كان الوقت الذى من بين الطلقين قصيرا لا يتيسر للطبيب أن ينتبه اليه او يفطن الى اللحظة التى قتلت فيها لادونا فقد أصبحت واثقا من انك هيأت لنفسك مخرجا بوجودك فى مكان آخر غير مكان الجريمة وقت وقوعها !.

والتفت الى هولت وقال له :

ـ وعلى ذلك ، لم اهتم بتتبع سنج لانه فى الواقع لا يعتبر شريكا .. اذ لا يبعد انه ذهب لاضاءة الانوار لمجرد تنفيذ أمر سيده وهو لا يعلم شيئا عن قصده الجنائى . فلما قابله مستر وارد فى المطار بعد قتل لادونا .. طلب منه أن يطلق الطلقة الثانية فرضخ المسكين لانقاذ سيده ولفرط وفائه له ..

وقال دون هولت :

ـ وخرج سنج من الغرفة مسرعا ومعه غطاء الكلب الازرق الذى تخلفت منه قطعة الزغب الزرقاء .. واصطدم بالمقعد الموجود فى الغرفة المجاورة فاصيب فى ساقه وراح يعرج بها فى صباح اليوم التالى ..

وقال شان : نعم .. وهناك تفسيرات اخرى ..

فصاح وارد فى صوت مرتجف : كفى .. كفى !. لعنة الله عليك !.

فقال سام هولت :

ـ انك ارتكبت ذلك فى سورة غضب لرفضها الافضاء بسر ابنها !. ولطالما نصحتك فى صغرك الا تسترسل فى غضبك وحذرتك من ان ذلك سيقضى عليك يوما ما

فقال ديدلى فى صوت خافت :

ـ انك على حق يا مستر سام !. كما صدق مستر شان فى تفسيره .

نعم !. انا الذى قتلتها . انا الذى قتلتها.. اما سنج فلم يفعل اكثر من انه نفذ أوامرى .. وقتلت ايضا الدكتور سوان .. الذى فاجأنى وقت اطلاقى النار .. وكان على موعد معى فى المنزل المهجور لاعطيه اول دفعة من المال .. او بالاحرى من الاتاوة التى فرضها على نظير كتمانه السر ..

وساد سكون عميق . ثم قال شان فى هدوء : لقد كانت قصة مستر بيتون صحيحة من انه سمع لادونا تطلب من شخص كان معها فى الغرفة ان يحضر لها وشاحها الاخضر .. وقد حسبنا انه يختلق هذه القصة لتبرئة شقيقته .

وعدت بوشاح مس بيتون .. ولا ادرى ان كانت قد انحت عليك باللوم أم لم تفعل ولكنها تناولت وشاح مس لسلى وراحت تلوح به .. وفى هذه اللحظة .. وقع نظرك على الخطاب الذى كتبته لادونا لجون رايدر الذى رفض ان يقابلها ..

لا أعرف بالضبط ماذا كان فى هذا الخطاب . ولكنى ارجح انها كانت تطلب منه ، لعلمها بانه اعز اصدقائك واقرب ازواجها اليك ، أن ينبئك فى لطف بموت ابنك !.
فصاح وارد : انك شيطان !.

واستطرد شان :
ــ وربما تكون قد قرأت الخطاب رغما عنها .. وبعد أن حاولت منك دفعتها الى الارض .. وقتلتها !. ثم احرقت الخطاب فى المدفأة ..
وقد حمدنا الله على عثورنا على مسدسك يا مستر وارد .. مدفونا فى الثلج فهو الذى اظهر لنا أن لادونا وسوان قتلا بنفس السلاح لا بمسدس لادونا الصغير !.
وسكت المفتش قليلا ثم قال :
ــ بقى شىء واحد .. وهو السبب الذى دفعك الى ضرب سنج فى تلك الليلة التى وجدته مطروحا على الارض ..
فقال وارد فى صبر نافد : الم تحصل على كل ما تريد ؟.
فقال سام مستنتجا :

ــ ان سنج يحمل معه مفاتيح المنزل ... ومستر وارد مدمن على الخمر ... فلا شك انه ليلة ارتكاب الجريمة اراد ان يشرب شيئا من الخمر ليهدى أعصابه . فخشى سنج ان يفرط فى الشراب ويبوح بشىء فرفض أن يعطيه مفتاح دولاب الخمر . فضربه وارد واخذه منه قسرا .. وشعر بوقع اقدامك فعاد الى غرفته .. ورفض الخادم المخلص بطبيعة الحال أن يبوح بشىء من هذا .

ــ انه تعليل معقول يا مستر سام
وانحنى شان امام ديدلى وارد وقال له :
ــ يؤسفنى ان تستقدمنى لكى القى القبض عليك ؟.
فلم يجب وارد .. ووضع هولت القيود فى يديه .

الخاتمـــة

بعد أن أرسل وارد الى مركز البوليس فى رينو .. ذهب شـــان ودون هولت وسام هولت الى الفنـــدق . وتلقى الجميع اعتراف مستر وارد بدهشة كبيرة . ولا سيما مستر بيتون وشقيقته .. ولكن الاخيرة . ما لبثت أن انقلبت دهشتها الى سعادة .. اذ أن دون هولت فاجأها بخـــاتم ذهبى وهو يقول : انه حلقة اتصالنـــا الابدى .

فاحمر وجه الفتاة .. وتعلقت بعنقه .. ودفنت وجهها حجلا فى صدره العريض ..

(تمــــت)